

مجلة
الجامعة الإسلامية
بالمدينة المنورة




العدد الثاني ـ السنة العاشرة رمضان ١٣٩٧ هـ ـ أغسطس سبتمبر ١٩٧٧م

الجامعة الإسلامية

مجلة تصدر اربع مرات في السنة
من الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

المراسلات المتعلقة بالتحرير ترسل الى
الجامعة الإسلامية - المدينة المنورة
العلاقات العامة

ISLAMIC UNIVERSITY MADINA

PUBLIC – RELATIONS

إفتتاحية العدد

كلمة صاحب السمو الملكي الأمير فهد بن عبد العزيز

ولي العهد ونائب رئيس مجلس الوزراء والرئيس الأعلى للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة في الحفل السنوي لخريجي الجامعة لعام ٩٦/ ٩٧هـ مساء يوم السبت ١٦/٧/ ٩٧هـ بمقر الجامعة

أيها الأخوة . . .

أحمد الله – تبارك وتعالى – وأصلي وأسلم على نبيه محمد ، خاتم أنبيائه ورسله ، وخيرته من خلقه هادي البشرية الى خير البشرية ، ورائدها على طريق سعادتها في دنياها وأخراها ، وعلى آلـه وصحبه .

وبعـد :

يسرني أن أحضر هذا الحفل السنوي للجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة ، مهبط الوحي الالهي ، الذي عم نوره أرجاء الدنيا ، وعاصمة الاسلام الأولى التي أعطت المثل الأعلى للحياة الكريمة والحضارة الرشيدة . . هذا الحفل الذي تقيمه الجامعة ، بمناسبة تخرج فوج من أفواجها المتتالية ، الذين يتزودون منها بخير زاد من العلوم والمعارف الاسلامية ، ليعودوا منها الى بلادهم في شتى أنحاء العالم مجاهدين في سبيل نصرة دينهم واعلاء كلمة ربهم ، مساعدين أقوامهم وبلادهم على التقدم والازدهار .

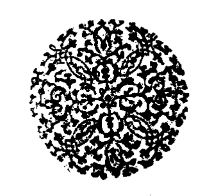
وان المملكة – وعلى رأسها جلالة الملك خالد بن عبد العزيز حفظه الله من منطلق مسئوليتها الكبرى عن نشر دعوة الاسلام دعوة الحق والخير والسلام ، في مشارق الأرض ومغاربها ، والعمل بكل امكانياتها على ما فيه خير المسلمين وعزتهم واستعادة مكانتهم في قيادة ركب الحياة على طريق الخير والهدى – لتولي هذه الجامعة التي انشئت من أجل الاسهام في تحقيق هذه الغايات السامية كل عنايتها

ورعايتها ، حتى تؤدى رسالتها ، وتحقق أهدافها بعون الله تبارك وتعالى واني لأرجو أن يكون لخريجى الجامعة الدور الكبير والأثر المرجو في الدعوة الى الله وفي تغيير الحياة الى الصورة المثلى والمستقبل الأفضل .

وعلى الشباب المسلم المثقف في كل مكان أن يواجه بايمانه وعلمه وعمله الجاد المخلص تحديات العصر ، لتعود سفينة الحياة بقيادته الواعية الرشيدة الى طريقها المستقيم الطريق الذى هدى الله عز وجل اليه عباده ورتب على سلوكهم اياه سعادتهم ورخاءهم في الدنيا وفوزهم ونعيمهم في الأخرة .

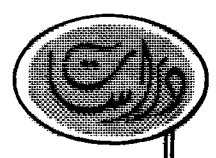
وعلى الجامعات أن تبذل كل جهودها في اعداد هذا الشباب تعليما وتثقيفا وتربية يتحمل مسئولياته في غده ، على بصيرة بدينه ، ومتطلبات عصره ، وأهداف حياته .

أسأل الله عز وجل أن يوفقنا ويعيننا جميعا على ما فيه خير ديننا ودنيانا ـ انـــه سميع مجيب . .



دراسات في

القرآن وعلومه



حول إعجاز القرآن الكريم في القرن الثالث الهجري

لفضيلة الدكتور صادق إبراهيم خطاب • أستاذ البلاغة والنقد بكلية الشريعة

القرآن الكريم منذ أن نزل على النبى الأمين محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه كان وما يزال الحجة الكبرى والمعجزة العظمى التى وقف العرب أمامها مبهورين لا يملكون جوابا وما عساهم يفعلون ، لم يكن أمامهم إلا أن يرجعوا إلى أنفسهم لعلهم يجدون مخرجا ولكن الحجة أعيتهم ووقفت ألسنتهم واحتبست أصواتهم وهم يستمعون إلى النبى صلى الله عليه وسلم يبلغ الناس قوله تعالى : (وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين . . فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التى وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين) (١)

وقوله تعالى : (أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين) (٢)

وقوله تعالى : (قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا) (٣)

ولكنهم عجزوا أن يأتوا بمثله أو بأقصر سورة وهم أصحاب لسن وفصاحة وبيان وإقناع مع حرصهم البالغ على تكذيب الرسول فيما يدعيه أنه مرسل به من ربه وبدأوا يتخبطون فقالوا : ما هذا إلا سحر مفترى ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين ويقولون ان هى إلا اساطير الأولين اكتتبها فهى تملى عليه بكرة وأصيلا ومع هذا أخذوا يتحاشون سماع القرآن الكريم خوفا من ان

١ ـ سورة البقرة ٢٣ ، ٢٤ ٢ ـ سورة هود ١٣ ٣ ـ سورة الاسراء ٨٨

يؤثر في نفوسهم ويهديهم برغم أنوفهم ولنستمع إلى الوليد بن المغيرة أحد خصوم الدعوة الألداء بعد أن استمع إلى بعض آى الذكر الحكيم قال : « والله لقد سمعت من محمد كلاما ما هو من كلام الإنس ولا من كلام الجن وان له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أعلاه لمثمر وإن أسفله لمغدق » .

كان هذا موقف العرب عند بدء الدعوة ولكن بعد أن اتسعت الفتوح وانتشر الاسلام واختلط العرب بغيرهم من أهل البلاد التى فتحوها شُغل الناس بالقرآن الكريم يتدارسونه ويوضحون معانيه ويبحثون عن ألفاظه وتراكيبه وما فيه من علوم وفنون فأضحت آياته ميدانا لدراسات مختلفة خاصة البلاغية منها يحاولون بذلك بيان الوجه الذى من أجله عجز الناس عن محاكاته أو الإتيان بأقصر سورة منه وكان لانقسام المسلمين إلى فرق وطوائف أثر بالغ في هذه الدراسات التى تدور حول القرآن وما فيه من معان وأغراض وأسرار وأقدم ما ظهر من الكتب في هذا الشأن هو كتاب « مجاز القرآن » لأبي عبيدة معمر بن المثنى المتوفي ٢٠٨ هـ .

ويقول أبو عبيدة عن سبب تأليفه هذا الكتاب : إن الفضل بن الربيع وزير الرشيد ثم الأمين استقدمه من البصرة فلما بلغ مجلسه ببغداد وكان به ابراهيم بن اسماعيل الكاتب سأله الكاتب عن معنى قوله تعالى (طلعها كأنه رءوس الشياطين) وإنما يقع الوعد والوعيد بما عرف مثله وهذا لم يعرف فقال له أبو عبيدة :

إنما كلم الله تعالى العرب على قدر كلامهم . أما سمعت قول امرىء القيس :

أيقتلنى والمشرفي مضاجعى
ومسنونة زرق كأنياب أغوال

وهم لم يروا الغول قط ولكنهم لما كان أمر الغول يهولهم ويفزعهم أوعداوبه فاستحسن الحاضرون هذا الجواب .

ومنذ ذلك الحين عزم أبو عبيدة على أن يخرج كتابا يبين فيه ما يشتبه على الناس — فلما رجع إلى البصرة أخذ في تأليف كتابه هذا (مجاز القرآن) وهو لا يريد بكلمة (مجاز) ما يقابل الحقيقة كما هو اصطلاح المتأخرين وإنما يريد الدلالة الدقيقة لصيغ التعبير القرآنية المختلفة وقد ظهر مراده هذا في السطور الأولى من الكتاب .

جاء في فاتحته : قال الله جل ثناؤه (إن علينا جمعه وقرآنه) مجازه تأليف بعضه إلى بعض ثم قال سبحانه (فإذا

قرأناه فاتبع قرآنه) مجازه فإذا ألفنا منه شيئا فضممناه إليك فخذ به واعمل به وضمه إليك — وهكذا يمضي في كتابه مسترشدا باستعمالات العرب وما أثر عنهم في أشعارهم وأساليبهم — وأدّاه هذا الاختيار إلى أن يتحدث عما في الآيات من تشبيه وكناية وتقديم وتأخير وحذف وإضمار وتوسّع في تصور الخصائص التعبيرية كالدلالة بلفظ الخصوص على العموم وبلفظ العموم على معنى الخصوص ومخاطبة الواحد مخاطبة الجميع ، ومخاطبة الجميع مخاطبة الواحد . كما تنبه في ثنايا ذلك إلى الصورة العامة للالتفات وان كان لم يسمه باسمه يقول : ومن مجاز ما جاءت مخاطبته مخاطبة الشاهد ثم تركت وحولت مخاطبته إلى الغائب قال تعالى : (حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم) أى بكم .

والذى يقرأ كتاب أبي عبيدة يلاحظ أنه اختار الآيات التى تصور طرقا مختلفة في الصياغة والدلالة متمثلا بما يشبهها من أشعار العرب وأساليبهم وشارحا لما تتضمنه من لفظ غريب أو معنى بعيد وما كان أبدا يعنى بكلمة (مجاز) المعنى الذى أراده البلاغيون يقول شيخ الاسلام ابن تيمية (١) :

(أول من عرف أنه تكلم بلفظ المجاز أبو عبيدة معمر ابن المثنى في كتابه ولكن لم يعن بالمجاز ما هو قسيم الحقيقة وإنما عنّى بمجاز الآية ما يعبر به عن الآية) .

وفي النصف الأول من القرن الثاني الهجرى ظهر أبو عثمان عمرو بن بحر المعروف بالجاحظ المتوفي ٢٥٥ ه فألف كتبا كثيرة نقف عند اثنين منها هما (البيان والتبيين) و (الحيوان) وقد تحدث في كتابه الأول عن الفصاحة والبلاغة عند العرب وعند غيرهم وأكثر من الحديث عن جزالة الألفاظ وفخامتها ورقتها وعذوبتها ونشر ذلك في كل جوانب كتابه كما عرض لتلاقي الكلمة مع الكلمة ملاحظا أن من الألفاظ ما يتنافر بعضه من بعض وأوجب أن تكون الكلمات كأفراد الأسرة الواحدة التى تقوم بينها واشجة الرحم ، وعلى الجملة فقد ألمّ الجاحظ في كتابه هذا بالصور البيانية المختلفة وبكثير من فنون البديع غير أنه لم يسق ذلك في تعريفات وتحديدات فقد كان مشغولا بسوق النموذج البلاغية من غير أن يعنى بتوضيح دلالة المثال على القاعدة التى يقررها .

١ ـ كتاب الايمان ص ٧٣

وكتب الجاحظ وإن لم تكن في موضوعنا الذى نعالجه نصا إلا أن بالمسلم حاجة إلى قراءتها ليستطيع تمييز الكلام الجيد من غيره — وكما نعلم فإنه لا يقف على وجوه إعجاز القرآن إلا من عرف معرفة بينة وجوه البلاغة العربية وتكونت له فيها ملكة يقيس بها الجودة والرداءة في الكلام بحيث يميز بين نمط شاعر وشاعر ونمط كاتب وكاتب وبحيث يعرف مراتب الكلام من الفصاحة .

ولا شك أن الجاحظ فيما كتب كان خبيرا بالأساليب الفصيحة يميزها ويذكر خصائصها ويكشف عن سبب حسنها أو رداءتها فهو صيرفيّ بارع في هذا الشأن وسنورد طرفا مما أتي به من تأويل بعض الآيات لنتبين مذهبه في بيان ما أشكل فهمه على الناس .

وكانت عنايته في كتاب الحيوان منصبة على أنواع الحيوانات وطبائعها وخصائصها وما جاء في القرآن الكريم عنها وما ذكره العرب في ذلك وإن كان قد عرض لكثير من النصوص الأدبية وبين المراد منها وسبب حسنها أو قبحها .

يقول في تأويل آية (١)

حدثني أبو الجهجاه قال : سأل أبو عمرو المكفوف عن قوله تعالى (حتى إذا أتوا على وادى النمل قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لايحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون فتبسم ضاحكا من قولها) فقلت : إن تدبيرا يعجب منه نبي من الأنبياء ثم يعظم خطره حتى يضحكه لعجب — قال : فقال ليس التأويل ماذهبت إليه فإنه قد يضحك النبى عليه السلام من الأنبياء من كلام الصبى ومن نادرة غريبة وكل شيء يظهر من غير معدنه كالنادرة تسمع من المجنون فهو يضحك — فتبسم سليمان عندى على أنه استظرف ذلك المقدار من النملة فهذا هو التأويل .

ويقول (٢) في تأويل قوله تعالى (إنها تخرج من أصل الجحيم طلعها كأنه رءوس الشياطين) وليس أن الناس رأوا شيطانا قط على صورة — ولكن لما كان الله تعالى قد جعل في طباع جميع الأمم استقباح جميع صور الشياطين واستسماجه وكراهته وأجرى على السنة جميعهم ضرب المثل في ذلك رجع بالإيحاش والتنفير وبالاخافه والتفزيع لما قد جعله الله في طباع الأولين والآخرين وعند جميع الأمم على خلاف طبائع جميع الأمم .

١ ـ كتاب الحيوان ج ٤ ص ٢٢

٢ ـ كتاب الحيوان حـ ٤ ص ٣٩

ويقول (١) في تأويل قول الله عز وجل (ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما) وقوله عز اسمه (أكالون للسحت) إنهقد يقال لهم ذلك وان شربوا بتلك الأموال الأنبذة ولبسوا الحلل وركبوا الدواب ولم ينفقوا منها درهما واحدا في سبيل الأكل وقد قال الله عز وجل : (إنما يأكلون في بطونهم نارا) .

وقال الشاعر في أخذ السنين من أجزاء الحمر :

أكل الدهـــر ما تجسم مـــنها
وتَبَقَّى مُصَاصَها المكنونا

وقال الشاعر :

مرت بنا تختال في أربع
يأكل منها بعضها بعضا

ثم يعلق على هذه النصوص بقوله :

إذا قالوا أكل الأسد فإنما يذهبون إلى الأكل المعروف وإذا قالوا أكله الأَسْوَد فإنما يعنون النهش واللدغ والعض فقط .

ويقول في باب آخر في مجاز الذوق وهو قول الرجل إذا بالغ في عقوبة عبده : ذق وكيف ذقته ؟ وكيف وجدت طعمه ؟

وقال عز وجل (ذق إنك أنت العزيز الكريم)

ويختم كلامه بقوله (٢) : وللعرب إقدام على الكلام ثقة بفهم أصحابهم عنهم وهذه فضيلة أخرى وكما جوزوا بقولهم أكل وإنما عض وأكل وإنما أفنى وأكل وإنما أحاله . وأكل وإنما أبطل عينه جوزوا أيضا أن يقولوا : ذقت ما ليس بطعم ثم قالوا طعمت لغير الطعام وقال العرجى :

وإن شئت حرمت النساء سواكم
وإن شئت لم أطعم نقاخا ولا بردا

وقال الله تعالى : (إن الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فإنه مني) يريد لم يذق طعمه

وعلى هذا النهج وضحّ الجاحظ كثيرا من المعاني التى ربما أشكل فهمها على غير الواقفين على اسرار العربيه وبيّن المراد منها مستشهدا باستعمالات العرب إذ أن القرآن الكريم نزل بلغتهم فهو يسوق اللفظ ويبين المراد منه في القرآن ويستدل على أن العرب يستعملونه هذا الاستعمال وإن جاء ذكر المجاز في كلامه فيعني به ما عناه أبو عبيدة وما يقصد منه في اللغة — ولا يستطيع منصف أن ينسب للجاحظ أو يأخذ من كلامه أنه قصد من المجاز ما ذهب إليه المتأخرون من أنه قسيم الحقيقة .

---

١ - كتاب الحيوان حـ ٥ ص ٢٣وما بعدهـــا

٢ - الحيوان حـ ٥ ص ٣٢

ولذلك نرى أن الدكتور شوقي ضيف (١) قد جانبه التوفيق حين قال : إن استعماله (يعنى الجاحظ) لكلمتى الحقيقة والمجاز في كتاب الحيوان يدخل في استعمال البلاغيين المتأخرين .

وقد أداه هذا الفهم الخاطئ لكلام الجاحظ إلى أن يحكم على ابن تيمية بالخطأ إذ يقول (٢) : إن ابن تيميه أخطأه التوفيق حين زعم أن تقسيم اللفظ إلى حقيقة ومجاز تقسيم حادث بعد القرون الثلاثة الأولى للهجرة — والنصوص التى سقناها من كلام الجاحظ فيما سبق شاهدة على صدق ما نقول .

وننتقل الآن إلى كتاب آخر ظهر في منتصف القرن الثالث الهجرى هو

كتاب تأويل مشكل القرآن لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينورى المتوفي سنة ٢٧٦ ﻫ وهو عالم سنى محافظ يكره الاعتزال والمعتزلة .

وكان غرضه من تصنيف كتاب (تأويل مشكل القرآن) الرد على الملاحدة الذين يطعنون على القرآن الكريم ويقولون : ان به تناقضا وفسادا في النظم واضطرابا في الاعراب . وإنما أداهم إلى هذا جهلهم بأساليب العربية وقصورهم عن إدراك أسرارها وفهم مراميها ومن ثمّ جاء هذا الكتاب لإظهار الحق وإبطال ما يدعون .

وقد عرض ابن قتيبة لبعض آيات الذكر الحكيم وبين المراد منها مستشهدا على ما يراه بنصوص من الشعر العربي ليقيم الدليل على ما يقول ويسقط دعوى الطاعنين وسفه المكابرين . وكان متأثرا بأبي عبيدة في كتابه (مجاز القرآن) يصنع مثل صنيعه وينسج على منواله فيعرض من صور الآيات المشكلة ويبين المعنى المراد منها على غرار ما صنع أبو عبيدة وكأنما يتحدث بلسانه ومضمون آرائه حين يصور مباحث مصنفه وجهل الملاحدة بمعرفة أسرار العربية فيقول :

(وللعرب المجازات في الكلام ومعناها طرق القول ومآخذه ففيها الاستعارة والتمثيل والقلب والتقديم والتأخير والحذف والتكرار والاخفاء والإظهار والتعريض والافصاح والكناية والإيضاح ومخاطبة الواحد مخاطبة الجميع ، والجميع خطاب الواحد ، والواحدوالجميع خطاب الاثنين ، والقصد بلفظ الخصوص لمعنى العموم وبلفظ العموم لمعنى الخصوص الى آخرما ذكره).

١ — البلاغة تطور وتاريخ ص ٥٦

٢ — نفس المرجع ص ٥٦

ولفظ المجاز عند ابن قتيبه لا يزال يستخدم بالمعنى العام كما هو عند أبي عبيدة ولم يذهب الى المعنى الاصطلاحى عند المتأخرين ولم يشر إليه في كلامه .

نراه يعرض لصور قرآنية مما يدخل عند المتأخرين في المجاز المرسل والاستعارة ويتحدث عن المقلوب وهو ان يوصف الشيء بضد صفته كتسميتهم اللديغ سليما والفلاة مفازة كما يتكلم عن التقديم والتأخير في الآية الكريمة فضحكت فبشرناها باسحق) أى بشرناها فضحكت كما تحدث عن الحذف والاختصار والتعريض والكناية ومخالفة ظاهر اللفظ معناه وعن الاستفهام يـأتي للتقرير أو التعجب أو التوبيخ وعن الأمر يكون للتهديد أو التأديب أو الإباحة ومنه عام يراد به خاص وجمع يراد به واحد وواحد يراد به جمع ، وقد يعود الضمير على صنفين وهو لأحدهما أو على واحد من اثنين وهو لهما جميعا . وهو يفيض في ذكر صور كثيرة من آى الذكر الحكيم عارضا لمعناها شارحا للمراد منها موضحا ما فيها من بيان على الحد المعروف عند العرب الذين نزل القرآن بلغتهم .

والواقع أن ابن قتيبة كان متأثرا كل التأثر بأبي عبيده معمر بن المثنى حتى لنستطيع أن نقول : إنه لم يزد عليه شيئا ذا بال إلا ما عرف من دقة التبويب وإلا ما توسع فيه عند الحديث عن بعض الكنايات .

وابن قتيبه يسوى بين اللفظ والمعنى في البلاغة ويجعل المزية لهما جميعا وكأنه بذلك يرد على الجاحظ مذهبه في تقديم اللفظ على المعنى وجعل المزية له حيث يقول : (المعاني مطروحة في الطريق يعرفها العربي والعجمى) ولكن ابن قتيبة يجعل المعنى شريكا للفظ في الحسن ويقسم الكلام على هذا الأساس إلى ما حسن لفظه ومعناه وما حسن لفظه دون معناه وما حسن معناه دون لفظه وما ساء وقبح في لفظه ومعناه جميعا وإن كان لم يقف عند القسم الأخير لأنه لا يدخل فعلا في الكلام البليغ .

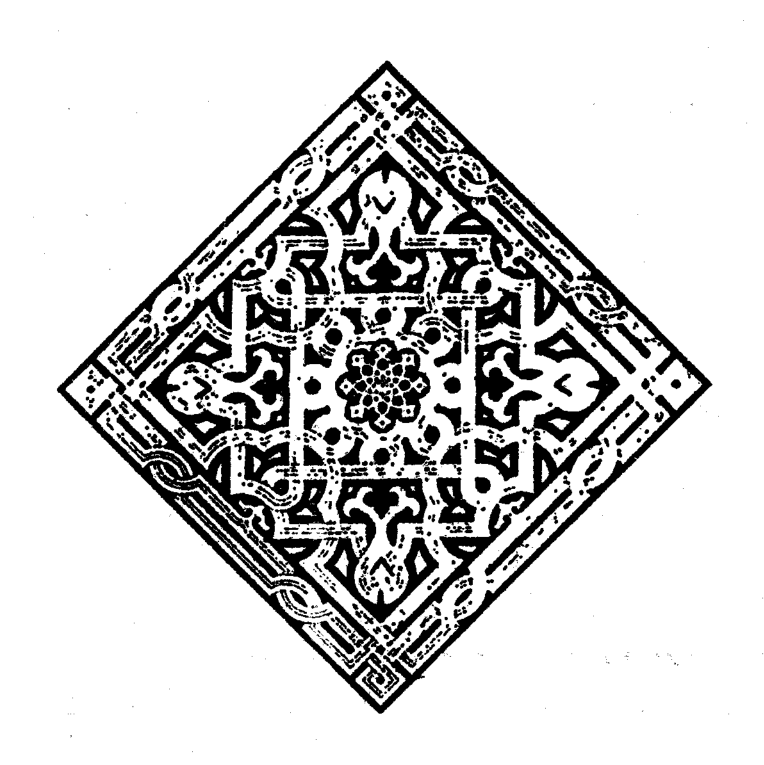
ومن هنا نتبين مذهب ابن قتيبة في الحكم على الكلام وسبب الحسن فيه وأنه لكى يكون الكلام بليغا لا بد أن يجتمع فيه حسن اللفظ وحسن المعنى جميعا.

ولا يبقى معنا بعد ذلك لنوفيّ البحث في علماء القرن الثالث الهجرى سوى ملاحظات عابرة نثرها الإمام اللغوى النحوى (المبرد) المتوفي سنة ٢٨٥ هـ في كتابه الكامل .

وقد عرض في كتابه هذا نماذج شعرية ونثرية كثيرة متبعا لها بالشرح اللغوى ومشيرا أحيانا إلى ما فيها من التفات أو إطناب أو تقديم أو تأخير واحيانا يذكر كلمة المجاز ولكن بالمعنى اللغوى . ولعل أعظم ما خلفه للبلاغيين للسير على هديه هو ما وضحه لهم بشأن الكلام وتنوعه : ذلك أن الفيلسوف الكندى قال له يوما : إني أجد في كلام العرب حشوا : يقولون : عبد الله قائم ، وإن عبد الله قائم ، وإن عبد الله لقائم والمعنى واحد . فأجابه المبرد قائلا : بل المعاني مختلفة فعبد الله قائم : إخبار عن قيامه ، وإن عبد الله قائم جواب عن سؤال سائل . وإن عبد الله لقائم جواب عن إنكار منكر .

وقد كانت هذه الإجابة سببا في بحث البلاغيين لباب من أبواب علم المعاني سموه (أضرب الخبر) وسموا الضرب الأول ابتدائيا والثاني طلبيا والثالث إنكاريا .

هذا ما يسره الله مع ضيق الوقت وقلة المراجع ونعتذر للقارىء الكريم وللبحث بقية ان شاء الله تعالى وبالله التوفيق . .



القاضي عياض

ومفهومه للإعجاز القرآني

لفضيلة الدكتور
أحمد جمال العمري
كلية الدعوة وأصول الدين

هو عيَاض بن موسى بن عياض بن عمرون . . أبو الفضل اليَحْصُبىّ السِّبْتىّ الغرناطى الأندلسى (١) ، القاضى الإمام العلامة .

ولد بمدينة سبْتَة في شهر شعبان سنة ست وتسعين وأربعمائة (٤٩٦)ه لذا فهو أندلسى الأصل . قال ابنه محمد : « كان أجدادنا في القديم بالأندلس ثم انتقلوا الى مدينة فاس ، وكان لهم استقرار بالقيروان ، لا أدرى قبل حلولهم بالأندلس أو بعد ذلك ، وانتقل عمرون إلى سِبْتَة بعد سكنى فاس . »

رحلاته العلمية : في سبيل العلم . .

رحل عياض إلى الأندلس سنة تسع وخمسمائه ٥٠٩ هـ) طالبا للعلم ، فأخذ بقرطبة عن مجموعة غير قليلة من العلماء . وأجاز له بعضهم ، ثم انتقل إلى المشرق ، فأخذ عن مجموعة أخرى من العلماء ، فهو بذلك جمع إلى جانب علم المغاربة علوم المشارقة ، حيث نهل من المنبع والمصب معا .

أساتذته : تذكر المصادر القديمة عشرات الشيوخ والأساتذة الذين تلمذ لهم الرجل .

ففى قرطبة : أخذ عن القاضى أبي عبد الله محمد بن على بن حمدين . كما أخذ عن أبي الحسين بن سراج ، وأبي محمد بن عناب وغيرهم ، وأجاز له أبو على الغساني .

وفي المشرق : أخذ عن القاضى أبي على حسين بن محمد الصدفي ، وأخذ أيضا عن ابي عبد الله المازني ، وأجاز له الشيخ أبو بكر الطرطوشي . وذكر ولده محمد مجموعة أخرى من الشيوخ منهم : أحمد بن بقى ،

---

١ ـ اليحصبى : بفتح الياء وسكون الحاء وضم الصاد وفتحها وكسرها ـ نسبة الى يحصب بن مالك ، قبيلة من حمير .
والسبتى : نسبة الى مدينة سبتة ، والغرناطى نسبة الى غرناطة المدينة الاندلسية المشهورة .

وأحمد بن محمد بن محمد بن مكحول ، وأبو الطاهر احمد بن محمد السلفى ، والحسن بن محمد بن سكره . . وغيرهم

وقال صاحب الصلة البشكوالية — بعد أن ذكر بعض شيوخه — : وقد اجتمع له من الشيوخ بين مَنْ سمع منه ، وبين من أجاز له مائة شيخ .

وكانت الحصيلة العلمية التى استقاها من هؤلاء العلماء كبيرة جدا ، يقولون : إنه صار إمام وقته في الحديث وعلومه ، والتفسير وعلومه . . كما صار من أهل التفنن في العلم ، واليقظة والفهم ، حتى انه بعد عودته من رحلاته العلمية ، أجلسه أهل سبة للمناظرة في المدونة ، وهو ابن ثلاثين سنة أو ينيف عنها .

ثم أُجلس للشورى ، ثم ولى قضاء بلده مدة طويلة ، حمدت سيرته فيها ، ثم نقل إلى قضاء غرناطة في سنة إحدى وثلاثين وخمسمائة (٥٣١ هـ) .

ولقد أشارت المصـــادر القديمة بمكانته العلمية ، فقالت ، إنه كان « فقيها أصوليا ، عالما بالنحو واللغة وكلام العرب وأيامهم ، وأنسابهم بصيراً بالأحكام ، عاقداً للشروط ، بصيراً حافظاً لمذهب مالك . . رياناً في علم الأدب ، خطيبا بليغا .

كما تحدثت عن كريم أخلاقه ، فقالت إنه كان صبوراً حليماً ، جميل العشرة ، جواداً سمحاً ، كثير الصدقة دؤوبا على العمل ، صلبا في الحق .

ونظراً لمكانته الدينية والعلمية — قربة الموحدون ، حكام المغرب في عصره ، حيث رحل إلى أميرهم بمدينة سَلاَ ، فأجزل له العطاء ، وأوجب بره ، .

وظل عياض في رحابهم ، إلى أن اضطربت أمور الموحِّدين عام ثلاثة وأربعين وخمسمائة (٥٤٣ هـ) حيث رحل إلى مراكش مشرّداً ، بعيداً عن وطنه ، فكانت بها وفاته في شهر جمادى الثانية . . وقيل في شهر رمضان سنة أربع وأربعين وخمسمائة (٥٤٤ هـ) ودفن في باب إيلان . . رحمه الله .

مصنفاته :

صنف القاضى عياض مجموعة ضخمة من المصنفات أهمها :

١ — الإعلام بحدود قواعد الاسلام .
٢ — الإلماع في ضبط الرواية وتقييد السماع .
٣ — ترتيب المدارك وتقريب المسالك ، لمعرفة مذهب مالك .
٤ — الشفا بتعريف حقوق المصطفى .
٥ — مشارق الأنوار في تفسير غريب حديث الموطأ والبخارى ومسلم .

٦ – المعلم في شرح صحيح مسلم .

وللأسف الشديد ضاع معظم مؤلفاته التى تقدر بعشرين مؤلفا ، ولم يبق منها إلا النزر اليسير ، وأهم الكتب التى أفلتت من يد الزمن « كتاب الشفا » الذى يبرز عقلية الرجل ، ومنهجه في الفهم ، وطريقته في التأليف ، ومن هذا الكتاب نستطيع أن نعرف مفهوم الرجل للإعجاز القرآني .

لم يخصص القاضى عياض للإعجاز القرآني كتابا مستقلا ، ولكنه تناول هذا الموضوع بين ثنايا كتابه « الشفا بتعريف حقوق المصطفى (١) » – صلى الله عليه وسلم ، وأثناء حديثه عن معجزات الرسول . فقد خصص فصلا صغيرا جعل عنوانه « فصل في إعجاز القرآن » ذكر فيه أوجه الإعجاز القرآني كما رآها هو .

فهو يرى أن الإعجاز القرآني ينحصر في أربعة أوجه :

أولها : حُسْنُ تأليفه ، والتئام كلمه وفصاحتُهُ ، ووجوه إيجازه وبلاغته الخارقة عادة العرب .

وثانيها : صورةُ نظمِه العجيب ، والأسلوب الغريب ، المخالف لأساليب كلام العرب ، ومناهج نظمها ونثرها الذى جاء عليه ، ووقَفَتْ مقاطعُ آيه ، وانتهت فواصل كلماته إليه ، ولم يُوجَدْ قبله ولا بَعْدَه نظير له .

وثالثها : ما انطوى عليه من الإخبار بالمغيبات ، وما لم يكُنْ ولم يَقَعْ ، فوُجد كما وَرَدَ على الوَجْه الذى أَخْبر

والوجه الرابع : ما أنبأ به من أخبار القرون السالفة ، والأمم البائدة ، والشرائع الدائرة مما كان لا يعلَمُ منه القصة الواحدة إلاّ الفذّ من أحبار أهل الكتاب الذى قطع عمرَهُ في تعلم ذلك .

ويعلل القاضى عياض للأسباب التى جعلت من « حُسنِ تأليف القرآن « إلتئام كلمه » وجهاً من أوجه الإعجاز التى تميز بها فيقول :

« وذلك أنهم (أى العرب) كانوا أرباب هذا الشأن وفرسان الكلام ، فقد خُصّوا من البلاغة والحِكَم بمالَمْ يُخَصّ به غيرُهم من الأمم ، وأوتوا من ذَرَابة اللسان (١) ما لم يُؤتَ إنسان ،

١ – طبع هذا الكتاب فى دار الفكر ببيروت ولكنها طبعة غير محققة وبها بعض الاخطاء والتصحيفات . انظر ص ٢٥٨ من الجزء الاول من هذه الطبعة .

١ – ذرابة اللسان : حذقه

ومِنْ فَصْلِ الخطاب ما يُقَيِّد الألْباب وجعل الله لهم ذلك طبعاً وخلقه ، وفيهم غريزةً وقُوّةً ، يأتون منه على البديهةِ بالعَجَب ، ويُدْلُونَ به الى كلِّ سببٍ ، فيخطُبُونَ بديهاً في المقامَاتِ وشَدِيدِ الخَطْبِ ، ويَرْتَجِزُونَ به بيْنَ الطّعْنِ والضَّرْبِ ، ويَمْدَحُونَ ويقدحون ، ويتوسَّلون ويتوصَّلُونَ ويرفَعُونَ ويَضَعُونَ ، فيأْتون من ذَلِكَ بالسِّحْرِ الحَلاَلِ ، ويُطوِّقون من أوصافهم أجمل من سُمْطِ الّلال فيَخْدَعُون الألباب ، ويُذَلِّلُون الصعاب ، ويُذْهِبُون الإحَن (٢) ، ويُهَيِّجُونَ الدِّمن ، ويُجَرِّؤن الجَبَان ويَبْسُطونَ يد الجعد (٣) البنان ، ويُصَيِّرونَ النَّاقِصَ كاملاً ، ويتركُون النبيه خاملا ، منهم البَدَوِيُّ ذو اللّفْظِ الجزْل ، والقول الفصل ، والكلام الفخم ، والطبع الجوهريّ ، والمنزع القويّ ، ومنهم الحَضَرِيُّ ذو البلاغة البارعة ، والألفاظ الناصعة ، والكلمات الجامعة ، والطَّبْعِ السهل ، والتَّصرُّفِ في القول القليل الكُلْفَة ، الكثير الرَّوْنَق ، الرقيق الحاشية » . . .

« ولهم في البلاغة الحجة البالغة ، والقوة الدامغة ، والقدح الفَالُج (٤) ، والمهيع الناهج (٥) لا يَشُكُّون ان الكلام طَوْعَ مُرادهم ، والبلاغَةَ مِلْكَ قِيَادِهِمْ ، قَدْ حَوَوْا فُنُونها واستنبطوا عُيُونها ، ودَخَلُوا مِنْ كلِّ بابٍ من أبوابها ، وعَلَوْا صَرْحاً لبُلُوغ أسبابها ، فقالُوا في الخطير والمَهِين ، وتفنَّنُوا في الغثِّ والسَّمين وتقاوَلُوا في القُلِّ والكُثْر ، وتَساجَلُوا في النظم والنثر . . . »

« فَمَا راعَهُمْ إلاّ رسولٌ كريم ، بكتابٍ عزيز ، لا يأتيه الباطلُ من بين يَدَيْه ولا مِنْ خَلْفِهِ ، تنزيلٌ من حكيمٍ حميد . . أُحكمت آياتُه ، وفصِّلَتْ كلماتُه ، ويَهرَتْ بلاغتُهُ العقُول ، وظهرَتْ فصاحتُه على كلِّ مَقُول ، وتظَافرَ إيجازه وإعجازُهُ ، وتظاهرتْ حقيقتهُ ومجازُه ، وتبارَتْ في الحُسْنِ مطالِعهُ ومقاطِعهُ ،

---

٢ ـ الاحن : جمع احنة وهي الحقد

٣ ـ الجعد : الكريم من الرجال ، امـا اذا قيل جعد اليدين ، او جعد الانامل فهو البخيل ، وربما لم يذكروا معه اليد .

٤ ـ القدح الفالج : السهم الفائز .

٥ ـ المهيع الناهج : الطريق السالك .

وحوَتْ كُلَّ البَيان جوامعهُ وبدائعهُ واعتدلَ مع إيجازه حُسْنُ نظمِه ، وانطبَقَ على كثرةِ فوائده مختارُ لفظه ، وهم (أى العرب) أفسح ما كانوا في هذا الباب مجالاً ، وأشهَرُ في الخطابة رجالاً ، وأكثر في السَّجْعِ والشِّعْرْ سجالاً ، وأوسَعَ في الغريب واللُّغَةِ مَقَالاً ، بلُغتهم التى بها يتحاورُون ، ومنازِعِهم التى عنْها يتناضَلُون ، صَارخاً بِهِمْ في كُلِّ حِينٍ ، ومُقَرِّعاً لهم بضعاً وعشرين عاما على رؤوس المَلأِ أجمعين . »

« وإنْ كُنْتُم في ريبٍ ممّا نزّلْنَا على عَبْدِنَا فأتوا بسورةٍ منْ مثلِه ، وادْعُوا شُهَدَاءكم من دونِ الله إن كُنْتُم صادقينَ ، فإنْ لم تَفْعَلُوا ، ولن تَفْعَلُوا ، فاتَّقُوا النارَ التى وَقُودُها الناسُ والحجارة أُعِدَّتْ للكافرين (١) »

« قُلْ لئِن اجتمعتِ الإنْسُ والجنُّ علىَ أنْ يأْتُوا بمثل هذا القرآنِ ، لا يأْتُونَ بمثلِه ، ولَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لبعضٍ ظهيراً » (٢)

« قُلْ : فَأْتُوا بعَشْرِ سُورٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيات (٣) »

« ذلك أن المفترى أَسهلُ ، ووضْع الباطِلِ والمختَلَقِ على الأخْتِيارِ أقْرَبُ واللفظ إذا نبع المعنى الصحيح كان أصعب » .

« فلم يَزَلْ يُقَرِّعُهُمْ — صلى الله عليه وسلم — أشد التقريع ، ويوبِّخُهم غاية التوبيخ ، ويسفه أحلامهم ، ويحط أعلامَهُمْ ، ويُشَتِّتُ نظامَهُمْ ، وَيذُمُّ آلهتهم وإياهم ، ويستبيح أرضَهم وديارهم وأموالهم ، وهم في كل هذا ناكصون عن معارضته ، يخادعون أنفسهم بالتشغيب بالتكذيب ، والإغراء بالافتراء . . والادِّعاء مَعَ العَجْزِ بقولهم : « لو نَشَاءُ لقُلْنَا مثل هذا » وقَدْ قال لهم الله : « ولَنْ تَفْعَلُوا فما فعلوا ولا قدروا . . »

هذا هو الوجه الأول من وجوه الإعجاز القرآني كما يراه القاضى عياض .

وعن الوجه الثاني : وهو صورة نظمه العجيب ، والأسلوب الغريب ،

---

١ — سورة البقرة الآية ٢٤

٢ — سورة الاسراء الآية ٨٨

٣ — سورة هود الآية ١٣

المخالف لأساليب كلام العرب ، يقول القاضي عياض : انه لم يُوجد قبلَه ولا بعده نظيرٌ له ، ولا استطاع أحدٌ مماثلة شيءٍ منْهُ ، بل حَارَتْ فيه عقولُهُمْ ، وتد لَّهت دُنَهُ أَحْلاَمُهم ولم يهتَدُوا إلى مِثْلِهِ في جنسِ كلامهم من نثرٍ أو نظم أو سجع أو رجز أو شعر . »

« لما سَمِعَ كَلاَمه — صلى الله عليه وسلم — الوليدُ بن المغيرة ، وقرأ عليه القُرْآنَ رَقَّ ، فجاءه أبو جهل مُنْكِراً عليه ، قال : والله ما منكُمْ أحَدٌ أعلمُ بالأشعار منيِّ ، والله ما يُشْبِهُ الذى يقول شيئاً من هذا . »

« وفي خبره الآخر — حين جمعَ قريشاً عند حضور الموسم ، وقال إن وفودَ العرب تَرِدُ فأجمعوا فيه رأيا لا يُكذِّبُ بعضكُم بعضا ، فقالوا : نقول كاهن ، قال : والله ما هو بكاهن ، ما هو بزَمْزَمَتِه (١) ولا سجعه ، قالوا : مجنون ! قال : ما هو بمجنون ولا بخنقه ولا وَسْوَسته ، قالوا : فنقول شاعر ، قال : ما هو بشاعرٍ ، قد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجَه ، وقريضه ومبسوطهُ ومقبوضَةُ . . ما هُوَ بشاعرٍ . قالوا : فنقول ساحر . قال : ما هو بساحر ولا نفثه ولا عقده ، قالُوا : فما نقول ؟ قال : ما أنْتُم بقائلين من هذا شيئا إلا وأنا أعرِفُ أَنَّهُ باطِلٌ وإنَّ أقربَ القول أنه ساحِرٌ فإنه سحر يفرِّق بين المرء وابنه ، والمرء وأخيه ، والمرء وزوجه ، والمرء وعشيرته فتفرقوا وجلسوا على السُّبُل يُحذِّرون الناسَ ، فأنزل الله تعالى في الوليد : « ذَرْني ومَنْ خلقتُ وحيداً ، وجعلتُ له مالاً ممدودا ، وبنين شُهوداً ، ومهَّدْتُ له تمهيداً : ثُمَّ يطمعُ أن أزيدَ ، كلاَّ إنَّه كان لآياتنا عنيداً ، سأُرْهِقُهُ صَعُوداً ، إنه فَكرَّ وقدَّر ، فقُتلَ كيْفَ قدَّر ، ثُمَّ قُتِل كيْفَ قَدَّر ، ثم نَظَرْ ، ثم عبسَ وبَسَرْ ثم أَدْبَر واستكبر فقال : إن هذا إلاَّ سحرٌ يؤثرُ ، إنْ هذا إلاّ قولُ البشر ، سأُصْليه سَقَرْ (٢) »

« والأخبار في هذا صحيحة كثيرة ، والإعجَازُ بكُلِّ واحِدٍ من النوعَيْن.

١ — الزمزمة : صوت خفى لايكاد يفهم (القاموس)
٢ — سورة المدثر : الآيات ١١ — ٢٦

الإيجاز والبلاغة بذاتها ، والأسلوب الغريب بذاته ، كل واحد منها نوعُ إعجاز على التحقيق ، لم تقدِر العرب على الإتيان بواحدٍ منهما ، إذْ كلُّ واحدٍ خارج عن قدْرتها مباينٌ لفصاحتها وكلامها . وإلى هذا ذهبَ غيرُ واحدٍ من أئمة المحققين .

أما الوجه الثالث – كما يراه القاضي عياض – فهو الوجه التاريخي ، الذى عبر عنه بقوله : (ما انطوى عليه من الإخبار بالمغيبات ، وما لم يكن ، ولم يقعْ . . فوُجد كما ورَد على الوجه الذى أخبر . كقوله تعالى: « لتَدْخُلُنَّ المسجدَ الحرامَ إن شاء الله آمنين » (١)

وقوله تعالى : « آلمَ ، غُلِبَتْ الرومُ في أدني الأرض ، وهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سيَغْلِبُون » (٢) وقوله : « هو الذى أرسلَ رسُولَه بالهدى ودينِ الحقّ ليُظْهِرَهُ علىَ الدِّينِ كلِّه (٣) » وقوله : « وعَدَ اللهُ الذينَ آمَنُوا مِنكُمْ وعملوا الصالحات لَيَسْتَخلِفَنَّهم في الأرْضِ ، كما استخلَفَ الذينَ من قَبْلِهِمْ ، وليمكِّنَنَّ لَهُمْ دينهُمُ الذى ارْتضَى لَهُمْ ، وليُبَدِّلَنَّهُمْ من بَعْدِ خَوْفِهِمْ أمْناً » (٤) . . »

« فكان جميع هذا كما قال : فغَلَبَتْ الرومُ فارِسَ في بضع سنين ، ودخل الناس في الاسلام ، أفواجاً ، فما مات صلى الله عليه وسلم ، وفي بلاد العرب كلّها موضعٌ لم يدخله الاسلام ، واستخلف الله المؤمنين في الأرضِ ، ومكَّنَ فيها دينَهُمْ ، وملّكَهُمْ إيَّاها من أقصى المشارق إلى أقْصَى المغارب ، كما قال صلى الله عليه وسلم : « زُوِيَتْ لى الأرضُ فأريتُ مَشَارقها ومَغَاربها ، وسيبلُغ مُلْكُ أُمتِى ما زُوِى لى منها »

وأما الوجه الرابع : من وجوه إعجاز القرآن – فهو يتصل كسابقه بالجانب التاريخي ، ولكنه لا يتناول الأمور المستقبلة ، ولكنه يتحدث عن أخبار القرون السالفة ، والأمم البائدة والشرائع الدائرة مما كانَ لا يعْلَمُ منه القصة الواحدة إلا الفذّ من أحبار أهل الكتاب على نَصِّه فيعترفُ العالمُ بذلك ، فيورده النبى – صلى الله عليه وسلم – على وَجْهِهِ ، ويأتي به على نَصِّه ، فيعترفُ العالمُ بذلك بصحته وصدقه ،

١ – سورة الفتح الآية ٢٧
٢ – سورة الروم الايات ١ – ٣
٣ – سورة التوبة الاية ٣٣
٤ – سورة النور الاية ٥٥

وأنَّ مثلَه لم ينَلْه بتعليمٍ ، وقد علِموا أنَّه — صلى الله عليه وسلم — أُميٌّ لا يقرأ ولا يكتُبُ ولا اشتغل بمدارسةٍ ولا مثافنة (٥) ، ولم يغِبْ عنهم ، ولا جَهِل حالَه أحد منهم » .

ويدلل القاضى عياض على دقة هذا الوجه فيقول :

« وقد كان أهل الكتاب كثيرا ما يسألونه — صلى الله عليه وسلم — عَنْ هذا فيُنزِل عليه من القرآن ما يَتْلُو عليهم منهُ ذِكراً ، كقصص الأنبياء مع قومهم ، وخبَر موسى والخضر ، ويوسف وإخوتِه ،وأصحاب الكهف ، وذِي القرنين ، ولقمان وابنه ، وأشباه ذلك من الأنباء وبَدْءِ الخلق ، وما في التوراةِ والإنجيل والزَّبُورِ ، وصُحُفِ ابراهيمَ وموسى مما صَدَّقَهُ فيه العلماء بها ، ولم يقدروا على تكذيبِ ما ذُكر منها ، بل أذْعَنُوا لذلك . . »

« فمن مُوَفَّق آمن بما سبق له من خير ، ومن شقِيٍّ معاندٍ حاسدٍ ، ومع هذا لم يُحْكَ عن واحدٍ من النصارى واليهود على شِدَّةِ عَدَاوتِهِمْ له ، وحرصهم على تكذيبه ، وطول احتجاجه عليهم بما في كُتُبهم ، وتقريعهم بما انطوتْ عليه مَصَاحِفُهُمْ وكثرة سُؤَالِهِمْ له — صلى الله عليه وسلم ، وتعنيتهم إياه عن أخبار أنبيائِهم وأسرار عُلومهم ، ومُستَوْدعاتِ سِيَرهم وإعلامه لَهُمْ بمكتُومِ شرائِعِهمْ ومُضَمَّنَاتِ كُتُبِهم مثْلَ سُؤَالِهِمْ عن الروح ، وذى القرنين ، وأصحاب الكهف ، وعيسى وحُكْم الرَّجْم ، ومَا حرم إسرائيل على نفسه ، وما حُرِّمَ عليهم من الأنْعام ، ومن طيِّبات كانت أُحلَّتْ لهم فَحُرِّمَتْ عليهم ببَغْيِهم ، وقولِه : (ذلك مَثَلُهُمْ في التوراة ، ومثلهم في الإنجيل) ، وغير ذلك منْ أُمورهم التى نزل فيها القرآن ، فأجابَهُمْ وعرَّفَهم بما أُوحى إليه من ذلك أنَّه أنكرَ ذلك أو كذَّبَهُ ، بل أكثرهُمْ صَرَّحَ بصحةِ نُبُوَّتِهِ ، وصدْق مقالته ، واعتَرَفَ بعناده وحَسَده إيَّاهُ ، كأهْلِ نَجْرَانَ وابن صُورِيَا وبْنَيْ أخْطب وغيرهم . »

هذه هى الوجوه التى اعتمدها القاضى عياض دليلاً على إعجاز القرآن ، وخصص لها — في كتابه « الشفا » بابا من أربعة فصول . .

فإذا نظرنا إلى ما كتبه القاضى . .

٥ — المثافنة : المجالسة والمراد بها هنا مجالسة العلماء لتلقى العلم عنهم .

وجدنا أن هذه الأوجه ليست جديدة على أذهاننا ، أو بمعنى آخر — وجدنا أنه ليس أوّل من أشار إليها . إن هذه الوجوه ليست من كدّ فكره ، ولا من إعمال عقله ، ولكنها من جمعه وتحصيله ، ونقله وتدوينه .

فالقاضى عياض شأنه شأن علماء عصره ، جال جولات واسعة بين ثنايا مؤلفات السابقين وانتقى منها ، واختصر لبعضها كى يجمع مادة علمية لهذا الباب الذى خصصه للإعجاز لذلك نستطيع أن نقول بوضوح أنه لم يأت بجديد في بحثه .

إن عصره لم يكن عصر إبداع أو إختراع . . وإنما كان عصر تجميع وتهذيب ثم إنتخاب وسرد .

إن العلماء السابقين — منذ القرن الثالث الهجرى الى حوالى منتصف القرن الخامس — قتلوا كل هذه الموضوعات بحثا وتدقيقا ، وتحليلا وتمحيصا ، وتعمقوا إلى أن توصلوا إلى آراء كثيرة طيبة وجديدة ، أما مَنْ جاء بعدهم — فكان مجهودهم متواضعا ، لم يكن في مقدورهم أن يضيفوا شيئا جديداً ، ولكنهم نتيجة لما اكتسبوه من ثقافة ، استطاعوا أن يختصروا ويهذبوا ، وينتقوا ويوفّقوا . . وفي حقيقة الأمر — لم يستطيعوا الإتيان بجديد يذكر في مجال البحث .

من هنا نستطيع أن نقول : إن القاضى عياض كان جمّاعا ناقلا ، مختصرا مهذّبا لآراء السابقين ، والدليل على ذلك قوله أحيانا : « وإلى هذا ذهب غير واحد من أئمة المحققين (١) » وقوله : « وقد اختلف أئمة أهل السنة(٢) وقوله : « وقد عَدّ جماعة من الأئمة ومقلدى الأمة . (٣) » . وهو وإن استطاع أن يلبس ما نقله واختصره ثوبا جديداً ، إلا أنه لم يستطع أن يخفى حقيقة صاحبه ، أو يحجب وجه مؤلفه .

نستطيع أن نسمع صوت الجاحظ من خلال الوجه الأول ، حين قال عن العرب :

« ولهم الحجة البالغة ، والقوة الدامغة ، القدح الناتج ، والمهيع الناهج . . . ، لا يشكون أن الكلام طوع مرادهم ، والبلاغة ملك قيادهم، قد حووا فنونها واستنبطوا عيونها ، ودخلوا من كل باب من أبوابها ، وعَلَوْا صرحه لبلوغ أسبابها ، فقالوا في الخطير والمهين ،

١ ـ الشفا ج ١ ص ٢٦٦
٢ ـ المصدر نفسه ٢٦٦/١
٣ ـ المصدر نفسه ٢٧٣/١

وتفننوا في الغث والسمين ، وتقاولوا في القُلّ والكُثْر ، وتساجلوا في النظم والنثر . . (٤) »

ونستطيع أن نرى صورة الرماني من خلال آرائه البلاغية (٥)

ونستطيع أن نسمع صوت الخطابي وهو يتحدث بعمق عن الوجه النفسى للإعجاز القرآني (٦)

كما نستطيع أن نقرأ ما كتبه الجرجاني والباقلاني عن نظم القرآن . .وهكذا .

فالقاضى عياض – وإن كان لم يُشر إلى مصادره – إلا أننا استطعنا بما لنا من خبرة في هذا الموضوع ، أن نحدد مصادره بدقة .

أضف الى ذلك – أن القاضى عياض قد كشف عن حقيقة نقله ، حين وجد أن هناك كثيرا من الآراء لم يسلكها بين أوجه الإعجاز التى حددها ، وخشى أن يفوته ذكرها . . لذلك سمعناه يقول بعد الفصول التى اعتمدها للإعجاز . .

« ومن الوجوه البينة في إعجازه من غير هذه الوجوه : أى وردت بتعجيز قوم في قضايا إعلامهم أنهم لا يفعلونها فما فعلوا ولا قدروا على ذلك . . كقوله لليهود :

« قُلْ إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة . . » وكذلك آية المباهلة ، من هذا المعنى ، حيث وفد عليه أساقفه نجران وأبوا الاسلام ، فأنزل الله تعالى عليه آية المباهلة بقوله : « فَمَنْ حَاجَّكَ فيه » .

ومنها . الروعة التى تلحق قلوب سامعيه وأسماعهم عند سماعه . . »

ثم وجد القاضى عياض انه رغم ذلك لم يستوف كل وجوه الإعجاز التى ذكرها العلماء السابقون ، فعقد فصلاً جديداً بدأه بقوله : « ومن وجوه إعجازه المعدودة . . « كونه آية باقية لا تعدم ما بقيت الدنيا مع تكفُّل الله تعالى بحفظه ، فقال : « إنّا نحنُ نزلنا الذّكْرَ وإنّا له لحافظون »

كذلك وجد القاضى عياض نفسه لم يستكمل كل جوانب موضوعه ، وان هناك آراءً أخرى كثيرة ، ذكرها العلماء ولم يسجلها ، فلم يجد من ذلك بدّاً من أن يجمعها معا ويفرد لها فصلا

---

٤ – انظر حجج النبوة للجاحظ ص ١٤٤ ومابعدها

٥ – انظر رسالة الرمانى « النكت فى اعجازالقران» وقارن ماكتبه القاضى عياض فى الوجهين الاول والثانى

٦ – انظر رسالة الخطابى «بيان اعجاز القران ص ٦٤ ومابعدها» وقارن ماكتبه القاضى فى ج ١ ص ٢٧٣

أخيراً لم يحدد له عنوانا ، بل قال في مطلعه :

« وقد عَدّ جماعة من الأئمة ومُقَلّدى الأمة في إعجازه وُجُوها كثيرة »

ولعل هذا الفصل الأخير خير دليل على صحة ما ذهبنا إليه من أن القاضى عياض كان جمّاعا ناقلا ، مختصرا مهذّبا ، فقد أجمل في هذا الفصل الأخير معظم ما قيل من آراء ووجوه حول إعجاز القرآن ، وهى وجوه متباينة ليس بينها رابط معين ، إنما تندرج جميعا تحت باب الإعجاز . قال : ومنها : أن قارئه لا يَمَلّه وسامعه لا يمجه . . . .

ومنها : جمعُه لعلوم ومعارف لم تعهد العربُ عامّة ، ولا محمد صلى الله عليه وسلم قبل نبوته خاصة بمعرفتها ولا القيام بها . . .

ومنها : جمعه فيه بين الدليل ومدلوله . .
ومنها : أن جَعَلَهُ في حيزّ المنظوم الذى لم يُعْهَدْ . . .

ومنها : تيسيره تعالى حفظَه لمتعلميه ، وتقريبه من متحفظيه . .

ومنها : مشاكلَتُهُ بعض أجزائه بعضاً ، وحسن ائتلاف أنواعها ، وإلتئام أقسامها

ومنها : الجملةُ الكثيرة التى انطوت عليها الكلمات القليلة .

وختم القاضى عياض هــذا الفصل بقوله : « وهذا كله وكثير مما ذكرنا أنه ذُكرَ في إعجاز القرآن إلى وجوه كثيرة ذكرها الأئمة لم نذكرها ، أكثرها داخل في باب بلاغته »

وكأنه وجد أن هذا السرد سيخرجه عن نطاق البحث فاستدرك قائلا : « فلا نُحِبّ أن يُعَدّ فنا منفرداً في إعجازه الاّ في باب تفصيل فنون البلاغة ، وكذلك كثير مما قدّمنا ذكره عَنْهُم يُعَدّ في خواصه وفضائله لا في إعجازه . .

وحقيقة الإعجاز الوجوه الأربعة التى ذكرنا ، فليُعتمد عليها ، وما بعدها من خواص القرآن وعجائبه التى لا تنقضى . . . »

هكذا رأينا أن القاضى عياض — في بحثه عن الإعجاز القرآني — قد جمع الوجوه جميعها ونقل كل ما ذكره العلماء الراسخون في العلم ، المبتكرون لأصوله . الذين كدّوا واجتهدوا ، جمعَ جهودهم ، وحصيلة أبحاثهم ، وخلاصة نتاجهم ، ووضعها جنبا إلى جنب ، أردف ما قاله الثاني الى ما قاله

١ — الشفا ١/٢٧٦ ومابعدها .

الأول . . وكان حصيلة جمعه ، خلاصة ما قيل عن الاعجاز القرآني من آراء ، وما كتب من بحوث منذ القرن الثالث الهجرى حتى عصره .

وقلنا . . إن هذا العمل لا يرمى إلى مرتبة الإبداع ، وإنما هو جمع وانتخاب وتلخيص وتهذيب ، يظهر من خلاله كثرة قراءات الرجلُ ، وسعة إطلاعه وصبره أيضاً .

فإذا درسنا ما سجله القاضى عياض — في كتابه — نجد أن التوفيق وإن كان قد حالفه في عملية اللّم والحصر ، إلا أنه لم يحالفه في الفهم والتبويب . فهو لم يفطن إلى موضع كل وجه من هذه الأوجه من الآخر ، ولم يدرك تحت أى الفصول يوضع أو يتدرج . لذلك ظهر بحثه مفككّاً قلقا غير مترابط لتعدد المسارات وتشتت العبارات .

كما ظهر لنا أيضا — أنه هو نفسه متردد حائر تائه بين مصنفات السابقين وآرائهم تنقصه ثـقة العالم ، وخبرة الأستاذ .

فإذا نظرنا في وجوهه الأربعة التى اختارها ، وجدنا أن الوجه الثاني وهو : (صورة نظم القرآن العجيب ، والأسلوب الغريب . .) ما هو إلا تكرار للوجه الأول (حُسن تأليفه والتئام كلمه وفصاحته وبلاغته . .) فكلا الوجهين يتدرجان تحت علوم البلاغة بَيْد أنه حين وضعهما على صورتهما هذه قد أضفى عليهما صفة التعميم . . فالوجهان الأول والثاني — في حقيقة أمرهما وجه واحد يتصل ببلاغة القرآن . . هكذا قال الجرجاني .

— كذلك الوجه الثالث وهو : (ما انطوى عليه (القرآن) من الإخبار بالمغيبات . .) والوجه الرابع (ما أنبأ به من أخبار القرون السابقة ، والأمم البائدة . .) كلاهما يتدرج تحت الجانب التاريخى ، فهما في واقع الأمر وجه واحد يصور إعجار القرآن من حيث الزمن . . واتصاله بحركة التاريخ في الماضى والمستقبل .

ومعروف أن القاضى عياض كان يهتدى بآراء أهل السنة . . ومع ذلك فقد ضلّله عنصر النقل والاقتباس ، فوقع في المحظور حين لم يفهم ما ذكره المعتزلة من القول « بالصَّرْفة » فنراه يذكر ما ذهب إليه أبو الحسن الرماني المعتزلى — من أن القرآن « مما يمكن أن يدخل مثلُهُ تحت مقدور البشر ، ويقدرهم عليه ، ولكنه لم يكن هذا . . فمنعهم الله هذا وعجزّهم عنه (١)»

---

١ – الشفا ٢٦٧/١

وهو لا يدرى أن هذا الرأى أنكره أهل السنة وحاربوه ، وسفهوا آراء القائلين به . هذا من حيث الشكل العام أو المظهر . .

فإذا ما درسنا أوجه الإعجاز الأربعة التى إختارها القاضى عياض ، وأمعنا النظر فيها ، وجدنا أن الوجه الأول في حقيقة أمره ليس من وجوه الإعجاز ، وإنما هو في وضعه الدقيق شاهد من شواهد الإعجاز ، ودليل من أدلته القاطعة .

أما الوجه الثاني : الذى يتعلق بنظم القرآن وأسلوبه ، فهو ما توافق عليه جُل الباحثين والعلماء الذين بحثوا في إعجاز القرآن . وحاولوا الكشف عن أسراره ، لقد أجمعوا على أن هذا الأسلوب الذى انفرد به القرآن مخالف لاساليب كلام العرب ومناهج نظمها ونثرها . . وأن نظمه جاء على صورة لم تقع للعرب ، وإن جمعت الطيب الحسن من كل أسلوب .

وأما الوجه الثالث : الذى اختاره القاضى عياض وهو الإخبار بالمغيبات » فهو في حقيقته أمره ليس وجها من وجوه الإعجاز يمكن أن نقطع الخصم عن المعارضة ونمسك به عن العناد واللجاج « إذ كثير من الكهان كانوا يرجمون بالغيب فيصيبون ويخطئون ، ولو كان القرآن حين تحدى العرب قد أشار إلى هذا الوجه من التحدى كما أقروا بالعجز عنه ، ولما شهدت عليهم الحياة به ، بل لكان لهم على هذا الوجه سبيل إلى المجادلة والمحاجّة والمعارضة، ولاستدعوا إليهم كهنتهم وأصحاب الرؤى عندهم ، ولكان لهم قول إلى جانب هذا القول الذى جاء به القرآن . . وإن بَعُدَ ما بين القولين في مقام الصدق واليقين ، ولكن الخصم العنيد المتجبر لا يستسلم حتى يرمى بآخر شيء في يده ، ولو كان عوداً من الحطب يقاوم به السيوف والرماح (١) »

وأما الوجه الرابع : « ما أنبأ به من أخبار القرون السالفة ، والأمم البائدة . . » فهو كسابقه ، لا يمكن أن يكون معجزة قائمة للتحدى القاطع المفحم . . وإن كان هو وسابقه مما يضفى على إعجاز القرآن جلالاً وروعة ، ومما يزيده إشراقاً وألَقاً »

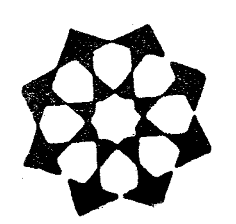
إذن فالوجوه الأربعة التى اختارها القاضى . . في أغلبها أدلة أو شواهد على الإعجاز أما الوجه الحقيقى ، فهو ذلك الوجه الذى ألحقه الرجل بهذه

---

١ – عبدالكريم الخطيب : اعجاز القران ص٢٨٩ .

الوجوه الأربعة ، وكأنه يرى أنه نافلة ، وليس أصلاً في باب الإعجاز ، وهو : « الروعة التي تلحق قلوب سامعيه وأسماعهم عند سماعه . فهذا الوجه — في رأينا — هو عمدة وجوه الاعجاز القرآني على الاطلاق ، إن لم يكن وحده وجه الاعجاز ، وهو الوجه عينه الذى توصّل إليه الخطّابي قبله بنحو قرنين من الزمان . فالروعة التى تعتريهم عند تلاوته — هى مناط الاعجاز الحقيقى ، وهى المعجزة القائمة فيه أبد الدهر ، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، وإن كان القاضى عياض قد جعله حاشية في وجوه الاعجاز ، من باب تحصيل الحاصل .

د. احمد جمال العمرى





لفضيلة الشيخ عبد الرءوف اللبيدي
الاستاذ المساعد بكلية الشريعة

أخى :

علام تشيح بوجهك عنىّ
إذا ما التقينا بعُرض الطريقْ
وحينا تحدّق عيناك فيَّ
كأني عبد بسوق الرقيقْ
فما كنت يوما مسيئا إليك
وما كنت يوما مضيع الحقوقْ

زرعت لك الأرض شتى الثمارِ
فأنت بها فاكهٌ لا تريمْ
أقوم عليها بياض النهارِ
وأحرسها في الظلام البهيمْ
وكم لطمتنى رياح الشتاء
وكم صفعتنى رياح السمومْ
فآبت يداي بسدّ الكفافِ
وآبت يداك بغنم عظيمْ
وما إن حقدتُ وما إن حسدتُ
وقلت مشيئة رب حكيمْ

وهــذا بنـاؤك قــد شيَّدَتْـهُ
يــدايَ عــلى سـابحات الغيــومْ
تخـيرت أحجــاره زاهيـــات
لآلــئُ تضحك فــيها النجـــومْ
تقــوّس ظــهري اطــول انحنـاءٍ
وهــرّأ كــفي طــين الشــومْ
وكـــان نصـــيبى أني بقيــتُ
بكـــوخ حقــير أقاسي الهـموم
وكـــان نصـــيبك قــصرا منيفــاً
تفيــأ فيــه ظــلال النعــيمْ
ومـــا إن حقــدت وما إن حســـدتُ
وقلت مشــيئة رب رحــيمْ

وهـــذا الــرداء الذى قــد لبســتَ
كساك جمــال الشــباب النّضرْ
تمــيس بــه ميســان الربيــعِ
تــألّــق غــبّ ســحاب مطـــرْ
أطـاف بجسمك حــاوا أنيــقاً
إطــافة بــرعم ورد عطـــرْ
جعلت ســداه ضــياء النجـــومِ
ولحمــته من شــعاع القمـــرْ
وعشـــت أنا في زريّ الثــياب
تمــزّق معظمــها وانــدثــرْ
ومـــا إن حقــدت وما إن حســـدت
وقلت مشيئة بـــارى البشرْ

وهــذا حــذاؤك تختــال فــيهِ
يكــاد ســناه يــزيغ البــصرْ
ظـلات مُكــبّاً عليــه النهــارَ
وفي الليــل طـــال عليّ السهرْ
أنســقه قطعــةً قطعــةً
وأُحكــــم فيه « غــروز » الإبــرْ
إلى أن تكــامل بــين يـــديّ
مــثال الجمــال وملهى النظــرْ
مشــيت بــه مشيةَ الكــبريــاء
وأنعــلق رجلى الثرى والحجرْ
وما إن حقــدت وما إن حســدت
وقــلتُ مشــيئة رب قــدَرْ

إلام تظــل أخــى لا تبــالى
بــأمــري ولا تســتبين الــرؤى
نسـيتَ الإلــه وهــديَ الرسول
ورحــتَ تسـير وراء الهــوى
وإني أخــوك أخــوك الــذى
يودّ إخــاءك طــول المــدى
ســواء عطفت وكنت رؤوفــا
أم اغتــال قلبك حبّ الــدُّنــا
عــلى دين ربي ســأقضى الحــياة
وأدعــو بدعــوى رسول الهــدى

عبد الرؤوف اللبــدى

دراسات في

السيرة والتاريخ الإسلامي

ثمار من غرس النبوة

رجال ومواقف

لفضيلة الشيخ محمد الشال – كلية الشريعة

ثم عرف الفرس من أمر العرب أنهم جادون . وأنهم في غزوتهم ليسوا طلاب أغارة للتزود بزاد أو التبلغ بمقام . فقد وضعوا أيديهم على الكثير من سواد العراق وهم وأن تريثوا في الغزو فليس ذلك عن ضعف أو بلوغ غاية ولكنهم يروون رأيهم ويجمعون جموعهم ويتلمسون نبأ أعدائهم – وقد قابل الفرس نبأ غزو العرب باستخفاف المتكبر وسخرية المستخف – فما كان للعرب في ماضيهم دولة ولا كان لهم في حياتهم هدف . بل كان أمرهم مضيعا مع هوى الفرس تارة وهوى الروم أخرى . وانهم راضون من حياتهم بانتجاع الكلأ وتلمس المرعى والرضا بالكفاف وتوسد الخيال الشعرى المهدهد على الأمل والمروض على الحب . فما بالهم يغيرون ولا يخافون . ويغزون ولا يترددون . ويقيمون ولا يرجعون ، ثم تبلغ بهم الجرأة أن يطلعوا النزال وأن يراجعوا الرأى .

وهل في دعوة محمد صلى الله عليه وسلم ما يحى الموات وينبت الأجادب ويجمع الشتات ويوحد الرأى ويقضى على الهوى ويحدد الأهداف ويستخف بالملك العريض والجاه الواسع . وما كان لأهله من ملك ولا لجماعته من تاريخ .

نعم راجع الفرس الرأى فيما بينهم ثم استقر أمرهم على لقاء العرب على كره ونزالهم على هون . فجمعوا الجموع القاضية والجيوش الساحقة حتى يبيدوا من العرب الجمع القليل ويقضوا على الأمل العريض ، ثم يتبعونهم في ديارهم ليبددوا منهم الأحلام ويفرقوا منهم الكلمة ويعيدوهم إلى سيرتهم الاولى من انتجاع الكلأ وتلمس المرعى واستجداء ذوى الثراء والميل مع الأهواء .

وخرجت جيوش الفرس بقيادة أعظم قوادهم رستم يحف به أمراء للجند مترفون واتخذوا أماكنهم غربي الفرات على أبواب القادسية ومن ورائهم الثراء العريض والمدن العامرة وجعلوا بينهم وبين جيش المسلمين رافدا من روافد الفرات يعلوه جسر لسهل حراسته والذود عنه .

ومن ينظر الى الجيش الكثيف والجند العديد لا يخال ألا أنهم سيقضون على العرب في غدوة نزال أو روحة منه . ولكنهم يقيمون ويطول بهم المقام حتى ليحار الناظر من عددهم وعدتهم . والمتطلع الى جيش العرب وعدته » ويتساءل ما الذى يمنع الفرس من منازلة العرب وليس لهم في ماضيهم جولة مع الفرس رجعوا منها بهزيمة أو آبوا منها بنصر — نعم ما الذى يمنعهم من نزالهم والعدد العربي قليل والزاد يسير والعتاد خفيف ، والتردد في اللقاء أنما يكون عند تعادل الجيشين لكل منهما لا يبدأ بحرب عسى أن لا يصبر الخصم على طول الأقامه مع كمال الأهبة فيرضى من الغنيمة بالسلامة ويسعد من المعركة بالعافية — ويرسل سعد بن أبي وقاص الى عمر أن القوم لم يبدأو بنزال وقد طال المقام واستمر التأهب ولكن الخليفة الحكيم يأمر قائده بالتريث والانتظار . ويطلب منه ألا يبدأ بعدوان وألا يمل من طول المقام .

ونجد أوامر عمر من نفس سعد ونفوس المسلمين سعة وقبولا فيصابرون العدو حتى ينفذ صبره ويطاولونه حتى يمل مقامه ، فيرسل الى سعد أن أرسل إلى من رسلك من نبادله الرأى ، ويجمع سعد مجلس الشورى من خاصته ويعرض عليهم أن تذهب منهم طائفة الى رستم يبسطون له دعوتهم ويحددون له هدفهم — ويتقدم ربعى بن عامر ويقول لسعد إن الأعاجم لهم آراء وآداب ومتى نأتهم جميعا يروا أنا قد احتفلنا بهم فلا تزدهم على رجل فوافقه الجمع وأمره سعد بأن يذهب الى رستم ، فيركب فرسا له قصيرة غير مظهمة ولا فارهه ومعه سيفه المرهف مغمورا في لفافة من ثوب خلق ورمحه غمده من أد يم بال — وترسه من أديم البقر ودرعه وعمامته مما يجلل به فرسه عند امتطائه فلما وصل الى الجسر حبسه حراسه حتى يستأذنوا له وارسلوا الى قائدهم وعرف من أمره أنه رجل واحد ولكنه جمع له مجلسه ليستشيرهم في لقاء العربي البادى فأشاروا عليه بأن يهئ له من المظهر ما يأخذ بالنفوس إن كانت كنفوسهم ويرهب الأفئدة إن كانت كأفئدتهم ويعقد الألسنة إن كانت

كألسنتهم ويعشى الأبصار ان كانت كأبصارهم .

وحسبوا أن هذا المظهر المترف سيكون له في نفس العربي الذى لم يألف النعمة ولم يتقلب في مظاهر الثراء وقع أبلغ من وقعه في نفوسهم أن لم يكن من مبالغة التقدير فسوف يكون من غفلة المفاجأة — ويأمر رستم بأن تبسط البسط وأن تصفف النمارق . وأن يكثروا من مظاهر الثراء وآثار النعمة وأن يوضع له سرير من ذهب ، ثم يلبس القائد زينته ويتكئ على الوسائد المنسوجة من الذهب . وأقبل ربعى بن عامر يسير وهو راكب فرسه في وسط جموع من جند الفرس وحرس القائد وهم ينظرون الى مظهره وبزته وسلاحه وعدته في كثير من الاستخفاف أو كثير من الاشفاق — ولعلهم كانوا يتهامسون اذا كان هذا رسول العرب فما أخف وزنهم وما أقل شأنهم — ولعل غاية العرب أن نكسوا عريهم البادى وأن تشبعهم من جوع ونرويهم من ظمأ .

وربعى لا يلتفت الى الأبصار الشاخصة ولا يستمع الى النفوس الهاجسة ولكنه يسير على سمته لم ترهبه كثرة الجمع ولم يؤخذ بمظاهر الثراء — فلما وصل الى أدني البسط قيل له أنزل عن فرسك فأصم أذنيه عن الأمر الذليل وهمز فرسه فسارت على البسط الوثيرة حتى استوت عليها ثم نزل عنها وربطها بوسادتين من وسائد الحرير المنسوج بالذهب عمد اليهما فشقهما ثم أدخل الحبل فيهما .

ولقد عقدت المناجأة والجرأة ألسنة القوم وقائدهم فلم يمنعوه وإن أنكروا عليه — وتقدم إليه أحدهم وقال له ضع سلاحك فقال له إني لم آتكم فأضع سلاحى بأمركم أنتم دعوتموني فإن أبيتم أن آتيكم إلا كما أريد وإلا رجعت فأخبروا رستم بمقالة ربعى فقال ائذنوا له هل هو الا رجل واحد . ونظر ربعى الى سمات القوم فوجد عليها سحابات من الغيظ المكبوت والحقد المتأجج فأراد أن يزيد النار ضراما فأقبل يتوكأ على رمحه يمشى وئيدا قريب الخطو وهو يزج النمارق والبسط برمحه ، فما ترك لهم نمرقة ولا بساطا ألا أفسده وتركه متهتكا مخرقا — فلما دنا من رستم تعلق به الحراس فجلس على الأرض وركز رمحه بالبسط فقالوا له ما حملك على هذا قال — إنا لا نحب القعود على زينتكم هذه .

وعرف القوم أنهم أخطأوا التقدير حينما حسبوا أن مظاهر النعمة ستبهر ابن الصحراء أو تشتت عليه رأيه — أو تروع منه فؤاده — وعرف ربعى ما يهدف اليه القوم من المبالغة في أظهار مظاهر الثراء وأسباب الترف . وما خرج ربعى بفعله عن آدابه أو حاد عما تدعوه اليه أخلاقه — ولكنه أراد أن يبصر القوم بغايته قبل أن يتكلم بها ، وأن يعرفهم أن هذه المظاهر قد رانت على قلوبهم فلم يصل اليها نداء لحرية أو صوت يدعو الى كرامة . أو دعوة تحث على مساوة وأنهم واهمون أن ظنوا أن غاية ربعى ومن خلفه طلب شيء من دنياهم أو الظفر بشيء من ديارهم —

ويقول رستم لربعى ما جاء بكم قال — الله ابتعثنا والله جاء بنا لنخرج من شاء من عبادة العباد الى عبادة الله ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ومن جور الاديان الى عدل الأسلام فأرسلنا بدينه الى خلقه لندعوهم اليه فمن قبل منا ذلك قبلنا ذلك منه ورجعنا عنه . وتركناه وأرضه يليها دوننا . ومن أبي قاتلناه أبدا حتى نقضى الى موعود الله — قال له رستم وما موعود الله قال الجنة لمن مات على قتال من أبي ، والظفر لمن بقى — فقال رستم — قد سمعت مقالتكم فهل لكم أن تؤخروا هذا الأمر حتى ننظر فيه وتنظروا — قال نعم . كم أحب أليكم أيوما أو يومين — قال لا بل حتى نكاتب أهل رأينا ورؤساء قومنا .

وأراد رستم أن يقرب ربيعا منه وأن يدنيه وأن يحسن له القول ويزين له الحديث لعله يجد منه إيناسا به أو ركونا اليه فيمنيه أو يعده لعله بهذا يرجع الى قومه بوجه غير الذى جاء به ، ولكن ربعيا يبدد الوهم بالجد من القول فيقول إن مما سن لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمل به أئمتنا أن لا نمكن الأعداء من آذاننا — ولا نؤجلهم عند اللقاء أكثر من ثلاث فنحن مترددون عنكم ثلاثا ، فانظر في أمرك وأمرهم واختر واحدة من ثلاث بعد الأجل — أختر الأسلام وندعك وأرضك — أو الجزية فتقبل ونكف عنك وإن كنت عن نصرنا غنيا تركناك منه — وإن كنت اليه محتاجا منعناك — أو المنابذة في اليوم الرابع ولسنا نبدؤك فيما بيننا وبين اليوم الرابع إلا أن تبدأنا وأنا كفيل لك بذلك على أصحابي وعلى جميع من ترى من قومى — قال أسيدهم أنت؟ قال لا ولكن المسلمين كالجسد لبعضهم من بعض يجير أدناهم على أعلاهم

وخلا رستم برؤساء قومه وقال لهم ما ترون — هل رأيتم كلاما قط أوضح ولا أعز من كلام هذا الرجل — قالوا معاذ الله لك أن تميل الى شيء من هذا وتدع دينك الى دين هذا الأعرابي الجائع — أما ترى الى ثيابه — فقال ويحكم لا تنظروا الى الثياب ولكن انظروا الى الرأى والكلام والسيرة — إن العرب تستخف باللباس والمآكل ويصونون الأحساب وهم ليسوا مثلكم في اللباس ولا يرون فيه ما ترون .

وعجب القوم من كلام قائدهم وظنوا به الظنون في تقديره للعرب مثل هذا التقدير . وأرادوا أن يؤيدوا ظنهم أو يدفعوا وهمهم — فتقدموا الى ربعى وتناولوا سلاحه وهم يزهدونه فيه — فقال لهم هل لكم الى أن تروني فأريكم — ثم أخرج سيفه من خرقه كأنه شعلة نار — فقال القوم أغمده فغمده — ثم رمى ترسا لهم فخرقه ورموا هم وقاميته من الأديم فسلمت فقال لهم يا أهل فارس إنكم عظمتم الطعام واللباس والشراب . وإنا صغرناهن وعرف الفرس حينما رأوا بريق سيفه أن له مضاء ولصاحبه عزيمة — فأسرعوا الى طلب إغماده كما رأوا عندما انخرق ترسهم وسلمت وقايته مع تفاوت الصلابة أن الذى خرق ترسهم أنما هى قوة عزيمة —ربعى وصلابة إيمانه بدعوته . وأن الذى حفظ ترسه الجلدى من رميهم انها رمية الأذلاء المستضعفين — وأني للنفوس الذليلة أن يكون لها قوة وللمستضعفين من الناس أن يكون لهم مضاء .

ثم رجع ربعى الى أن ينظر الى الأجل . فلما كان من الغد بعثوا أن ابعثوا إلينا ذلك الرجل فبعث إليهم سعد حذيفة بن محصن فأقبل في بذة صاحبه وهيأته وسمته وسلاحه — وعملوا له كما عملوا لصاحبه ، وعمل هو معهم مثل ما عمله صاحبه . فلما وقف على رستم قال له ما بالك جئت ولم يجئ صاحبنا بالأمس . قال إن أميرنا يحب أن يعدل بيننا في الشدة والرخاء ، فهذه نوبتى ، ثم سأله رستم عما جاء بهم فما زاد ولا نقص عن قول ربعى ، فسأله الموادعة الى أجل فقال له لكم ثلاثة أيام من أمس ، فلما لم يجد عنده إلا ذلك رده وأقبل على أصحابه . فقال لهم ويحكم ألا ترون الى ما أرى جاءنا الأول بالأمس فغلبنا على أرضنا وحقر ما نعظم وأقام فرسه على ما نحفل به من غالى الحرير وربطه به ، وقد ذهب الى قومه في يمن الطائر مع فضل عقله وجاءنا هذا اليوم فما رأينا منه إلا ما رأينا من صاحب

الأمس ثم رجع كما رجع أخوه فأغضبهم وأغضبوه .

فلما كان من الغد أرسل أن ابعثوا إلينا رجلاً آخر منكم فأرسلوا اليه المغيرة بن شعبه . فعملوا له مثل ما عملوا لصاحبيه . وعمل هو معهم مثل ما عمل صاحباه ثم زاد أن جلس على سرير رستم واتكأ على وسادته فوثبوا عليه وأنزلوه وحقروا فعله وشأنه ، فلم يغضب المغيرة مما فعل به ولعله أراد أن يرى من فعالهم ما يكون فيه الدليل على مهانتهم وذلتهم وسفاهة رأيهم ثم يريهم من أمر العرب فيما بينهم ما تتوق اليه نفوسهم ، وما يؤلب عامتهم على خاصتهم ، فيكون عمل بعمله هذا فوق ما يعمله جيش قوى العتاد كثير الجند — فلما رأى منهم ما رأى قال لهم كانت تبلغنا عنكم الأحلام ولا أرى قوما أسفه منكم — وإنا معشر العرب سواء لا يستعبد بعضنا بعضا إلا أن يكون محاربا لصاحبه فظننت أنكم تواسون قومكم كما نتواسى ، وكان أحسن من الذى صنعتم أن تخبروني أن بعضكم أرباب بعض . وأن هذا الأمر لا يستقيم فيكم فلا نصنعه وأنا لم آتكم ولكنكم دعوتموني ، اليوم علمت أن ريحكم ذاهبة وأنكم مغلوبون . وأن ملكا لا يقوم على هذه السيرة ولا على هذه العقول (١) .

وبلغ المغيرة بمقالته ما أراد وحقق لنفسه ما قصد فوصلت مقالته إلى نفوس ظامئة الى الحرية والى قلوب مطوية على ضغينة ، وهى وإن تظاهرت بالرضا فما ذلك إلا لضعف حيلتها أو فقدان قيادتها . وقال المستضعفون صدق والله العربي — وقال السادة والله لقد رمى العربي بكلام لا يزال عبيدنا ينزعون اليه — ثم قالوا قاتل الله من سبق منا ما كان أحمقهم حين كانوا يصغرون أمر هذه الأمة — ثم مازحه رستم ظنا منه أن المغيرة قد كره ما حصل من قومه ، ثم مد رستم يده الى كنانة المغيرة فأخرج منها سهما وقال له ما هذه المغازل التى معك — فقال له المغيرة ما ضر الجمرة ألا تكون طويلة ثم قال وما بال سيفك رثا قال رث الكسوة حديد المضربة واستنبأه نبأ قومه فقال مقالة صاحبيه ولكنه تخير من اللفظ ما يثير الحمية حتى يفضحه على المطاوله — وما ترك رستم الا وهو متوعد ومنذر .

(١) راجع تاريخ الطبرى

ولما انصرف المغيرة خلا رستم بخاصته بعد أن رأى من أمر العربي الجد الجاد فقال لهم أما ترون من أمر هؤلاء القوم أنهم لم يختلفوا — وسلكوا طريقا واحدا ولزموا أمرا واحدا — هؤلاء والله الرجال صادقين كانوا أم كاذبين والله لئن كان بلغ من أربهم وصونهم لسرهم أن لا يختلفوا فما قوم أبلغ مما أرادوا منهم — ولئن كانوا صادقين ما يقوم لهؤلاء شيء .

ولقد ترك المغيرة القوم وقد اختلط عليهم الأمر وتشتت منهم الرأى وتنازع الهوى . فالسادة يودون الأبقاء على أبهة الحكم والسلطان والرئاسة والعبيد سمعوآ نداء الحرية التى ينزعون اليها وعرفوا أنهم إن فاتتهم الفرصة المواتية على أيدى المسمين اليوم فقل أن تعود .

ورأى القائد وذوو االرأى معه بوادر التمرد تسرى في جنبات جيشه ، فأمر بالقيود والسلاسل فقيدت بها الجند وشدت بها الرجال ، وأني لمكره أن يدافع عن ديار وأني لمستعبد أن يدافع عن أوطانه وليس له في هذا الوطن رأى مسموع ولا حق مصان ولا حياة كريمة .

وما عرف الفرس أن القلوب اذا طويت على ضغن من طول الأذلال فقل أن تستجيب لنداء أو تخف لنجدة وما غناء من قيد بالقيود وقرن في السلاسل في الدفاع عن الأوطان والذود عن الحمى .

ولقد كشف ربعى وأخواه للفرس عما يدور في المجتمع الجديد من حرية في الرأى ووحدة في الهدف وسمو في المقصد . وأعلموهم أنهم وإن لم يكن لهم في التاريخ صفحات ولا بين الأمم وزن إلا أنهم من اليوم سوف يكون لهم منهج من الحرية الصادقة يأخذون أنفسهم به وينشرونه في الناس وأنهم إن جاءوا الى بلادهم اليوم وإن ذهبوا الى بلاد غيرهم غدا فهم لا تطلعون فتحا لاغتصاب أرزاق ولا لاستعباد شعوب ولا لاحتلال ديار — وأنما هم يرفعون راية حرية الأنسان أينما حلوا — وأنهم لسمو ما جاءهم به محمد صلى الله عليه وسلم من توحيد الكلمة ونكران الذات وحرية الرأى وأخوة الأنسان لأخيه لم يرضوا أن يعيشوا ناعمين بالحرية وغيرهم يرسف في أغلال العبودية وأن الأنسانية التى طال عليها الظلام لا بدلها من نور ساطع قوى ينفذ الى النفوس المظلومة فيضئ لها السبيل ويوضح الطريق ويحدد الغاية —

وأن العرب قد حملوا الأرواح على الأكف في سبيل دعوة الحق والعدالة فمن مات في سبيلها مات ونفسه راضية لأنه يدافع عن مبادئ الأسعاد للأنسانية ومن بقى منهم سره أن ينعم الناس بما ينعم به —

ونحن في هذه الآونة التى تمر بالعرب والمسلمين نحتاج الى الكثير من أمثال ربعي وأخويه ، والرأى لا ينضج إلا في ظلال الحرية ولاءيمان لا يقوى إلا في كنف الرحمة — كما نحتاج الى الكثير من أمثال سعد ممن يأخذون أمرهم بالشورى المبرأة من الأرهاب البعيدة عن الأعجاب بالرأى الاستعداد به ، لأنه لا يستقيم أمر أمة استبد قادتها برأيهم أو أرهبوا غيرهم حتى لا يجهروا برأى — والطريق لا توضح معالمه إلا اذا كثرت السواعد المتعاونة على تمهيده وتبودلت الآراء في حرية تامة وأمن كامل .

أما أن نقتل في النفوس حب الخير بالأرهاب . أو نقضى على الآراء الناضجة بالأهمال أو نحول بين الناس وبين أبداء آرائهم بالقسوة ، فأن هذا امر يجعل اليأس يتطرق الى القلوب فلا تخلص النصح ولا تنطوى على محبة ، وقل أن يرتفع شأن أمة وقلوب بنيها متنافرة من القسوه أو متعادية بسبب الحرمان .





لفضيلة الشيخ محمد أبو زيد طنطاوى - كلية الدعوة وأصول الدين

بعد أن تم لموسى بن نصير فتح بلاد المغرب وبعد استقرار الإدارة العربية في شمال إفريقيا أخذ يتطلع لفتح أسبانيا وبدأ يعد من مدينة القيروان الخطط لنشر الإسلام في هذه البقعة من أرض أوربـا ويجمع الأخبار عنها ويستفسر عن أحوالها . وصارت مدينة طنجة مركز عمليات موسى بن نصير في تلك المرحلة الإستطلاعية بسبب قربها من أسبانيا ولموقعها المباشر على بحر الزقاق (مضيق جبل طارق) المؤدى إلى تلك البلاد الأوربية - وأقام في طنجة منذ تم فتحها أشهر قادة البربر المسلمين وهو طارق بن زياد الذى صار الساعد الأيمن لموسى بن نصير في إعداد خطة فتح أسبانيا وفي سائر العمليات الحربيه الكبرى التى تطلبها تنفيذ تلك الخطة .

وساعد طارقا في تلك المرحلة عاملان أولهما : أنه من البربر السكان الأصليين لإفريقية والخبيرين بأحوال أسبانيا وما حفلت به من خيرات وثروات . وثانيهما : أنه ثمرة من ثمار القوة الجديدة للدولة العربية الاسلامية فهو من قبيلة نفزاوة ومن أسرة اشتهرت بسبقها إلى اعتناق الاسلام . إذ أسلم والد طارق أيام عقبة بن نافع الفهرى والتحق هو بعد وفاة والده بخدمة المسلمين وكان إذ ذاك صغير السن ولكنه كان يتمتع بقدر كبير من الحماسة والغيرة على الدين الإسلامى الأمر الذى جعله من أشد المقربين إلى موسى بن نصير ومن الطبقة الأولى من رجال البربر الذين اختصهم بسره وثقته المطلقة

وأشركه مشاركة عملية في رفع راية الإسلام – وأثبت طارق بن زياد أنه خير أمين على تنفيذ خطط موسى بن نصير التي بدأ يعدها لفتح أسبانيا . ذلك أن موسى بن نصير بعد أن فتح طنجة اتجه إلى مدينة سبتة التي كان يحكمها إذ ذاك رجل من الروم يدعى يوليان . ولكن هذه المدينة استعصت عليه فآثر إرجاء الاستيلاء عليها وكلف طارق بن زياد الذى عينه على طنجة مهمة الاتصال بهذا الحاكم وجعل مدينة سبتة نافذة يطل منها المسلمون على اسبانيا ودراسة أحوالها . وكشف موسى بن نصير بذلك عن مقدرة سياسية فائقة حين آثر العمل في هذه المرحلة بطريق غير مباشر وتقديم طارق بن زياد للقيام بالعمل في هذه الجبهة . ذلك أن طارقا كان أقدر على الاتصال بالبربر التابعين لحاكم سبتة وكلهم ممن خبروا أسبانيا وانتقلوا بين أرجائها .

ولم تلبث تطورات الأوضاع في سبتة أن هيأت لطارق بن زياد السير قدما في سبيل تنفيذ خطط موسى بن نصير . فقد رأى يوليان حاكم سبتة أن الحكمة تفرض عليه التقرب من القوة الاسلامية الجديدة التي صارت تجاور أملاكه مباشرة وأن يقيم معها علاقات ودية تعوضه عن الضعف الذى رب إلى سلطانه في سبتة . وكان يوليان أصلاً عاملاً من عمال دولة الروم وحكم إقليم مرطانية الطنجية بحكم كونه قائدا عاما مفوضا من قبل الامبراطور . وتولى يوليان إدارة هذا الإقليم وهو صغير السن ثم طال به الزمن دون أن تتمكن دولة الروم من عزله أو استبدال غيره به بسبب انشغالها بالحروب ضد العرب المسلمين الفاتحين في شمال إفريقيا . واصبح يوليان مطلق التصرف في ولايته وله صلات ودية كثيرة مع أهلها من البربر وزعماء القبائل المجاورة له حتى صار خبيرا بتقاليدهم وعاداتهم . وأجاد القيام بها إلى درجة جعلته يبدو كأحد أبناء البلاد الأصليين لا تابعا لامبراطورية الروم ولا يمكن كشف حقيقة لونه السياسى في سهولة ويسر فاختلط على كثير من المؤرخين أمر يوليان حتى ذكر البعض أنه من البربر على حين قال البعض الآخر أنه من القوط دون أن يفطنوا إلى تبعيته أصلا لامبراطورية الروم . ولما انهار سلطان الروم في (إفريقية) بعد الفتوح العربية أخذ يوليان يعمل على تقوية روابطه بدولة القوط في أسبانيا على نحو ما فعل مع جيرانه من البربر ليدعم مركزه ويحفظ أملاكه . ورحب ملك القوط

إذ ذاك واسمه (غيطشة) بولاء يوليان بسبب أهمية سبتة لحماية دولته . فهى تتمتع بمركز جغرافي فريد يجعلها مفتاح أسبانيا والحارس الذى يحميها من هجوم قد يشن عليها من الجانب الإفريقى . فهى قبالة الجزيرة الخضراء من أرض أسبانيا وتسيطر على المياه التى بينها وبين تلك الرقعة الأسبانية . هذا وتتمتع سبتة بموقع طبيعى يجعلها حصنا منيعا في استطاعته أن يقاوم زمنا طويلا أى هجوم مفاجئ قد تتعرض له . فيوجد على بعد ميلين منها جبل موسى (نسبة الى موسى بن نصير) كما يحيط ماء البحر بها من ثلاث جهات مما زاد في مناعتها وقوتها . هذا إلى أنه قام على مقربة منها دار لصناعة السفن التى استخدمت في العبور إلى الأندلس .

ورأى يوليان على الرغم من دعم صلاته بدولة القوط في أسبانيا أن تطور الأوضاع في بلاد المغرب واستقرار الفتوح الاسلامية بها يفرض عليه حسن الجوار مع الادارة العربية الجديدة وتجنب الاصطدام بها . ولذا رحب يوليان بسياسة موسى بن نصير الذى آثر عدم الاستمرار في الاستيلاء على سبتة . وكان موسى قد ترك لقائده طارق بن زياد في طنجة مهمة تنظيم علاقة الجوار مع حاكم هذه المدينة الهامة الذى يعتبر مفتاح بلاد الأندلس ونجح طارق في دعم صداقته ليوليان وبدأ يطل من هذه المدينة على أسبانيا ويدرس أحوالها دون أن يثير مخاوف القوط أو يبعث الريبة في نفوسهم باستعدادات المسلمين الحربية وسارت الأمور بعد ذلك في سبتة بما ساعد موسى بن نصير على أن يكمل دراسته الخاصة بفتح أسبانيا ويعرف المزيد من الأخبار التى تهيئ للمسلمين القيام بفتوحهم في هذا الميدان الجديد . وسبب ذلك أن دولة القوط في أسبانيا تعرضت لاضطرابات شديدة تردد صداها في مدينة سبتة ودفعت بحاكمها يوليان إلى الانتقال من سياسة حسن جواره للمسلمين إلى سياسة التحالف والاتفاق على تحقيق المصالح المشتركة بينهما . ذلك أن أحد كبار رجال القوط واسمه رودريك وهو الذى عرفه العرب باسم لوذريق استطاع أن يطيح بالملك الحاكم وهو غيطشة ثم اعتلى العرش . ولم يكتف لوذريق بذلك وإنما أخذ يعمل على إنزال أشد ألوان الأذى بأبناء غيطشة وسائر آل بيته . وآتت هذه السياسة الخرقاء من جانب لوذريق ثمرة لم يكن يتوقعها على الاطلاق ذلك من أبناء غيطشة حين اشتدت بهم المتاعب وسدت في وجوههم السبل

أخذوا يلجئون إلى جهة أخرى يستمدون منها العون والمساعدة على استرداد حقهم المسلوب . وكان موسى بن نصير قد بدأ يتطلع إلى أسبانيا عن طريق نافذة سبتة . ولم تلبث الأحداث أن جعلت سبتة تقوم بدور مباشر في نقل صورة كاملة عن تلك الأحوال السائدة في أسبانيا إلى موسى بن نصير فضلا عن قيامها بدور الوساطة بين أبناء غيطشة وموسى بن نصير . ووجد أبناء غيطشة من يوليان حاكم سبتة رسولا إلى موسى بن نصير وساعدا ومعاضدا لمشاريعهم بسبب سوء العلاقات التى وقعت إذ ذاك بين هذا الحاكم وبين لوذريق . وتذكر المراجع أن سبب سوء العلاقات يرجع إلى اعتداء لوذريق على شرف ابنة يوليان التى كانت تتعلم في طليطلة . وكانت العادة قد جرت على أن يبعث كبار رجال الدولة من القوط بأبنائهم إلى طليطلة ليتأدبوا بآداب البيت المالك وليكون ذلك سبيلا لتأليف القلوب .

وأسهمت المراجع في قصة ابنة يوليان فوصفتها بأنها بارعة الجمال فلما صارت عند لوذريق وقعت عينه عليها فأعجبته وأحبها حبا شديدا ولم يملك نفسه حتى أكرهها فاحتالت حتى أعلمت والدها بذلك سراً بمكاتبة خفية . فأحفظه شأنها جدا واشتدت حميته وقال «ودين المسيح لأزيلن ملكه وسلطانه ولأحفرن تحت قدميه) . ورأى يوليان أن يحتال أولا لاستدعاء ابنته من بلاط لوذريق فخرج بنفسه في يوم من أيام الشتاء البارد دون أن يأبه بمخاطر الطريق وعندما وصل إلى طليطلة أوجس منه لوذريق خيفة بسبب حضوره في ذلك الوقت غير الملائم وسأله « عمّا لديه وما جاء فيه ولم جاء في مثل وقته » فأجاب يوليان بأن « سبب حضوره هو أن زوجته مريضة مرض الموت وأنها في شدة شوقها لرؤية ابنتها التى هى عنده وتمنيها لقاء ها قبل الموت وإلحاحها عليه في إحضارها وأنه أحب اسعافها ورجا بلوغ أمنيتها منه » وانخدع لوذريق بهذه الحجة وسمح لابنة يوليان بالعودة إلى ابيها بعد ان استوثق منها بألا تطلعه على ما حدث بينهما .

وبعد أن استقر يوليان ومعه ابنته في سبته بدأ يكشف نواياه صراحة وأخذ يساعد أبناء غيطشة والعناصر المناوئة للوذريق في أسبانيا . فأعد يوليان حملة نزلت بأسبانيا واشتركت مع الثوار في أعمالهم الحربية لكن قوات لوذريق استطاعت الحصول على النصر ودمرت حملة يوليان واضطرتها للعودة إلى

سبتة . وما أن انتهت هذه الحروب في أسبانيا عن فوز لوذريق حتى أيقن يوليان أنه لم يعد أمامه مفر من الإتجاه نحو السلطات العربية في القيروان وطلب مساعدتها ضد لوذريق . واتصل يوليان بطارق بن زياد طالبا مساعدة العرب له ضد لوذريق . ونقل طارق أخبار المفاوضات التي دارت بينه وبين يوليان إلى موسى بن نصير الذى وجد أن الوقت قد حان لفتح الأندلس . ثم تحقق موسى من صدق ما نقله إليه طارق حين ذهب يوليان نفسه إلى القيروان ليعرض وجهة نظره على السلطات العربية هناك إذ أكد يوليان لموسى بن نصير الخير الوافر الذى سيعود على العرب من القيام بغزو الأندلس ومساعدتهم له ضد لوذريق . ووجد موسى بن نصير أن كل الظروف قد أصبحت سانحة للانتقال إلى ميدان جديد حافل بالمجد والفخار وأعلن موافقته على مساعدته ضد لوذريق واستطاع بذلك أن يستفيد من الموقف السياسى الذى ساد حكام الأندلس وأن يسخره لخدمة الجيوش الإسلامية المجاهدة .

وكتب موسى بن نصير إلى الخليفة الوليد بن عبد الملك يستأذنه في فتح تلك البلاد ويشرح له اضطراب أحوالها وأن الفرصة غدت مواتية بعد مؤامرة يوليان ضد لوذريق . غير أن الخليفة أمر موسى بأن يختبر الأندلس ويدرس أحوالها بنفسه بإرسال حملات استطلاعية إليها . وعهد موسى ابن نصير إلى يوليان نفسه القيام بإغارة على جنوب أسبانيا ليتحقق بذلك من أمرين : أولهما أن يوليان جاد في دعواه ضد لوذريق وكراهيته له ولحكومته في أسبانيا . وثانيهما أن يعرف من المقاومة التي يتعرض لها يوليان مدى قوة القوط وما لديهم من استعداد حربي . وقام يوليان فعلا بإغارة سريعة على جنوب أسبانيا ورجع منها محملا بالكثير من الغنائم والسبي .

فتح جزيرة طريف :

وأراد موسى بن نصير أن يقف بعد ذلك بنفسه على أحوال أسبانيا فأعد حملة من المسلمين جعل على رأسها أحد قادته المشهورين بالمغامرة والشجاعة وهو أبو زرعة طريف بن مالك فبعث هذا القائد إلى الأندلس في اربعمائه من خيرة الفدائيين وذلك على سفن قدمها لهم يوليان . ونزل المسلمون في جزيرة صغيرة اسمها بالوماس وهى التي صارت تحمل بعد ذلك اسم القائد المسلم وعرفت بجزيرة طريف .

وبادرت قوة مكونة من أبناء غيطشة التي اشتركت في الحملة إلى مساعدة

المسلمين وحراسة المضيق وذلك في شهر رمضان عام ٩٢ هـ (يوليو ٧١١ م) وشن طريف من مركزه بتلك الجزيرة عدة حملات استطلاعية على سواحل أسبانيا الجنوبية حيث درس تحصيناتها وعرف الكثير من أحوال أهلها ومدى علاقتهم بحكامها من القوط . وأخيرا عاد طريف إلى بلاد المغرب فقدم تقريراً مفصلا عن إغاراته إلى موسى بن نصير وشرح له في إسهاب أحوال أسبانيا . وقد أكدت غارة طريف لموسى ابن نصير صدق الأقوال التى نقلها إليه يوليان عن انهيار الأحوال في أسبانيا وافتقارها إلى أسباب الدفاع بسبب انشغال القواد بملاذهم وانصرافهم إلى أعمال الطغيان وسلب ثروات البلاد لأنفسهم . فلم يلق طريف نوعا من أنواع المقاومة كما لم يقابل قوة من قوات القوط أثناء استطلاعه لأحوال جنوب أسبانيا . هذا إلى أن مبادرة أفراد بيت غيطشة إلى مساعدته وحراستهم لخطوط مواصلات المسمين جاء دليلا واضحا على الأنقسام الذى ساد الطبقة الحاكم من القوط وأن لوذريق لا لا يحكم إلاً بالعنف والقسوة وهو أمر لن يكفل له مقاومة المسلمين طويلا عندما يبدأ الفتح الاسلامى للبلاد هذا إلى أن يوليان برهن مرة أخرى بما قدمه من مساعدات لحملة طريف على أنه كاره فعلا للوذريق وأن المؤامرة التى دبرها مع ابناء غيطشة ضد هذا الحاكم المستبد مؤامرة لها خطرها وأن خيوطها صحيحة وسليمة .

وبعودة حملة طريف انتهى موسى بن نصير من دور الحملات الاستطلاعية وبدأ الإعـــداد الفعلى للفتح المنظم لأسبانيا . وأثبت موسى بن نصير مقدرة حربية فائقة في هذا السبيل إذ دارت الاستعدادات الحربية التى قام بها دون أن يتسرب أمرها إلى القوط ودون أن يتنبه يوليان نفسه إلى حقيقة أهدافها وجوهر مراميها — فقد استطاع موسى بن نصير أن يوهم يوليان بأن استعداداته الواسعة النطاق التى اعقبت حملة طريف ما هى إلا حملة قوية لمساعدة أبناء غيطشة ضـــد لوذريق وأخفى عنه تماما أنها ستكون الحلقة الأولى في سلسلة الفتح المنظم لأسبانيا واعد موسى بن نصير حملة مكونة من خمسة آلاف جندى حتى لا يثير كثرة عددها ريبة يوليان أو مخاوفه وفي الوقت نفسه سار موسى بن نصير في ذلك الإعداد على النهج الذى سارت عليه الفتوح الإسلامية الكبرى في شتى الجهات وهو القيام أولا بإرسال حملة صغيرة العدد يتبعها إمدادات لا تنتهى

سواء من حيث الكثرة أو حسن الاستعداد حتى يتم تحقيق الأهداف الحربية . وانتدب موسى لقيادة هذه الحملة الاسلامية الأولى على الاندلس أحسن قادة المسلمين إذ ذاك وأشدهم ثقة به وهو :

طارق بن زياد

جاء اختيار موسى بن نصير لطارق بن زياد لقيادة هذه الحملة خطوة موفقة وأكد بعد نظر موسى وسعة خبرته الحربية . فطارق من البربر الذين عرفوا أرض الأندلس معرفة وثيقة لأنهم يرونها امتدادا لبلادهم لا فارق بين بيئتها وبيئتهم . يضاف إلى ذلك أن طارقا هو الذى تولى بنفسه جمع المعلومات عن بلاد الاندلس وتولى مفاوضات يوليان وصار خبيرا بالميدان الجديد في سائر نواحيه الحربية والسياسية . وعمل موسى بن نصير على أن يشد أزر طارق الذى عهد اليه بالقيادة العليا للحملة إذ ضم إليه هيئة من كبار رجال الحرب من العرب والبربر ليكونوا بمثابة مجلسه الاستشارى ومساعديه في إدارة المعارك ومن اولئك القادة العرب عبد الملك بن أبي عامر المغافرى وعلقمة اللخمى وأحد موالى الخليفة الوليد بن عبد الملك واسمه مغيث الرومى . وكان القائد الأخير يعتبر مندوب الخلافة الحربي في تلك الحملة التى أعدها موسى بن نصير وحلقة الاتصال بين السلطات المركزية في دمشق ومقر القيادة الاسلامية في القيروان وكلف موسى بن نصير بعد ذلك يوليان بأن يقدم للقوات الاسلامية السفن اللازمة لنقلها إلى أسبانيا كما يتولى حراستها ويقوم بمهمة الدليل لها . وكان السبب في إصرار موسى بن نصير على الاعتماد في نقل الجند بسفن يوليان هو حرصه الشديد على إخفاء تحركات هذه الحملة عن العيون والجواسيس فالاسطول الاسلامى كان قد تم إعداده على عهد موسى بن نصير وصارت له قاعدةهامة في تونس كما ظهر نشاطه في السيطرة على الجزر الهامة في غرب البحر المتوسط . ولذا كانت تحركات هذا الأسطول محط أنظار الجميع ولا يمكن إخفاء أمرها . ولما كان موسى بن نصير يستهدف مفاجـــأة القوط بالأندلس لم يكن أمامه سوى الاعتماد على سفن يوليان التى لا تثير الريبة في نفوس من يشاهدها وهى تعبر بحر الزقاق (مضيق جبل طارق) . وكان لدى يوليان أربع سفن لا تتسع لنقل أفراد الحملة مرة واحدة ولذا تمت عملية عبور بحر الزقاق على دفعات . وأخذت كل جماعة يتم نقلها تختفى

في جهات خصصت لها على الشاطئ الأسباني حتى انتهى الجميع من العبور وذلك عام ٩٢ هـ (٧١١ م) .

وبادر طارق بن زياد بتحصين القاعدة الأولى التى استولى عليها في جنوب أسبانيا قبل التوغل في داخل البلاد . ثم استولى على بلدة الجزيرة الخضراء قبالة جبل طارق . وصار بحر الزقاق (مضيق جبل طارق) في قبضة المسلمين وعلى اتصال وثيق بسبتة قاعدة الاتصال الأولى ببلاد المغرب . وتمت المرحلة الأولى بذلك من نزول الحملة الاسلامية في أسبانيا دون مقاومة تذكر . وكان السبب في ذلك هو أن موسى بن نصير اختار وقت قيام حملة طارق وفق أدق المعلومات التى وصلته . وكانت المخابرات الإسلامية تتبع حركات لوذريق وتتحين الوقت المناسب لبدء الحملة . وسرعان ما سنحت الفرصة حين ذهب لوذريق إلى أقصى شمال اسبانيا ليخمد ثورة قام بها سكان جبال البرانس المعروفة باسم القبائل البسقاوية . وكانت تلك الجموع القبلية مشهورة بالمراس وقوة الشكيمة مما جعل لوذريق يأخذ معظم جيشه معه وأصبح جنوب أسبانيا خالياً تماما من أسباب الدفاع عنها ولذلك لم تشعر سلطات القوط بنزول المسلمين في جنوب البلاد إلا بعد أن استقرت دعائمهم ومكنوا لأنفسهم على بحر الزقاق. فعبأت قوات سريعة وأرسلتها على عجل للهجوم على المسلمين تحت قيادة (بنج) المعروف باسم (بنشو) في المراجع الأسبانية . ولكن القوط لقوا هزيمة فادحة ولم ينج منهم إلا واحد استطاع الهرب والذهاب إلى معسكر لوذريق في أقصى الشمال ونقل إليه أنباء تلك الكارثة وهجوم المسلمين على البلاد . وكان لوذريق يقيم في مدينة بنبلونة بأقصى الشمال حيث يدير الحرب ضد القبائل البسقاوية . ولذا صمم على العودة سريعا إلى الجنوب والهجوم على المسلمين قبل أن يتوغلوا في داخل البلاد . وكان لوذريق من أشهر رجال القوط في ميدان الحروب إذ قدر تماما الخطر الذى أحاط بدولته بسبب نجاح المسلمين في اتخاذ قاعدة لهم عند جبل طارق وأدرك أنهم جاءوا للفتح وليس للإغارة من أجل السلب والنهب والحصول على المغانم كما راجت الإشاعات بذلك . ومن ثم عمد إلى جمع صفوف القوط لمواجهة المسلمين فاتصل بأبناء غيطشة وصالحهم ليكونوا جميعاً يداً واحدة. ولكن أعمال لوذريق في تلك السبيل جاءت متأخرة لأن بيت غيطشة ظل على ولائه سرا للخطة التى وضعها يوليان ولم ينس ما حل به من

أذى واضطهاد وتشريد على يد لوذريق . وفي الوقت نفسه ظل أبناء هذا البيت في اعتقادهم بأن المسلمين لم يأتوا للفتح ولكن للحصول على المغانم مقابل مساعدتهم في القضاء على لوذريق .

وزحف لوذريق بجيشه سريعا واحتل قرطبة ليحول بين المسلمين وبين الاستيلاء عليها لأنها المفتاح الذى يسيطر على سهول الأندلس الجنوبية الشرقية ويمكن لصاحبها من الاستقرار في البلاد .

وكان طارق بن زياد يريد فعلا الاستيلاء على قرطبة فقد زحف على هذه المدينة بعد انتصاره في جنوب أسبانيا وسلك الطريق المـار بجزيرة طريف (الجزيرة الخضراء) ثم زحف شمالا بعد ذلك حتى اقترب من بحيرة الخندق التى يخترقها نهر صغير يسمى (البرباط) . وفي ذلك المكان مدينة صغيرة سماها المسلمون (بكة) ونسبوا إليها النهر الذى صار يعرف باسم (وادى بكة) وحرف بعض المسلمين هذه التسمية الى (وادى لكة) . وعند وادى بكة عرف طارق بن زياد عن طريق عيونه أن لوذريق علم بنبأ الحملة الإسلامية وأنه وصل الى قرطبة واستولى عليها كما أنه تابع زحفه جنوبا واتخذ معسكره عند بلدة شذونة في سهل البرباط وأنه صار بذلك على أهبة القتال . وذكرت بعض المراجع أن جيش القوط بقيادة لوذريق بلغ عدده مائة الف مقاتل وضم عددا عظيما من الفرسان . ويرجح أن هذا العدد مبالغ فيه . وأدرك طارق بن زياد أن العدد الذى معه من جند المسلمين لا يكفى لقتال قوات لوذريق الهائلة ولذا أرسل إلى موسى بن نصير يشرح له الموقف ويطلب إليه ارسال الإمدادات بسرعة فأمده موسى بن نصير بحملة عددها خمسة آلاف مقاتل بقيادة طريف بن مالك الذى قاد أول حركة استطلاعية في ارض اسبانيا . ونقل هؤلاء الجنود مرة واحدة على سفن الأسطول العربي إلى إسبانيا . ووصلت الإمدادات الإسلامية إلى طارق في اللحظة الحاسمة التى كان القوط على وشك شن الهجوم على المسلمين . وأعد طارق بن زياد قواته للمعركة ثم وقف بين جنده خطيبا يحثهم على الاستبسال في القتال شأنه في ذلك شأن قادة الفتوح العربية الذين دأبوا على رفع روح جندهم المعنوية بإلقاء خطاب حماسى بينهم قبل نشوب المعركة . وتعتبر خطبة طارق من روائع الأدب العربي ومما جاء في هذه الخطبة ـ :

« أيها الناس : أين المفر ؟ البحر من

ورائكم والعدو أمامكم وليس لكم والله إلاّ الصبر والصدق .

واعلموا أنكم في هذه الجزيرة أضيع من الأيتام في مأدبة اللئام وقد استقبلكم عدوكم بجيوشه وأسلحته . وأقواته موفورة وأنتم لا وزر لكم إلا سيوفكم ولا أقوات لكم إلاّ ما تستخلصونه من أيدى عدوكم . وإن امتدت بكم الأيام على افتقاركم ولم تنجزوا لكم أمرا ذهبت ريحكم وتعوضت القلوب عن رعبها فيكم الجرأة عليكم . فادفعوا عن أنفسكم خذلان هذه العاقبة من أمركم بمناجزة هذا الطاغية فقد ألقت به إليكم مدينته الحصينة . وإن انتهاز الفرصة فيه لممكن إن سمحتم لأنفسكم بالموت . وإني لم أحذركم أمرا أنا عنه بنجوة ولا حملتكم على خطة أرخص متاعا فيها للنفوس أبدأ بنفسي . واعلموا أنكم إن صبرتم على الأشـق قليلا استمتعتم بالأرفة الألذ طويلا . فلا ترغبوا بأنفسكم عن نفسى فما حظكم فيه بأوفي من حظى . وقد بلغكم مـا أنشأت هذه الجزيرة من الحور الحسان من بنات اليونان الرافلات في الدر والمرجان والحلل المنسوجة بالعقيان المقصورات في قصور الملوك ذوى التيجان . وقد انتخبكم الوليد بن عبد الملك أمير المؤمنين من الأبطال عربانا ورضيكم لملوك هذه الجزيرة أصهارا وأختانا ثقة منه بارتياحكم للطعان واستماحكم بمجالدة الأبطال والفرسان ليكون حظه منكم ثواب الله على إعلاء كلمته وإظهار دينه بهذه الجزيرة وليكون مغنمها لكم من دونه ومن دون المؤمنين سواكم . والله تعالى ولى أنجادكم على ما يكون لكم ذكرا في الدارين .

أيها الناس : ما فعلت من شئ فافعلوا مثله إن حملت فاحملوا وإن وقفت فقفوا ثم كونوا كهيئة رجل واحد في القتال . وإني عامد إلى طاغيتهم بحيث لا أنهيه حتى أخالطه وأمثل دونه فإن قتلت فلا تهنوا ولا تحزنوا ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم وتولوا الدبر لعدوكم فتبدوا بين قتيل وأسير . وإياكم إياكم أن ترضوا بالدنية ولا تعطوا بأيديكم وارغبوا فيما عجل لكم من الكرامة الراحة من المهانة والذلة . وما قد أجل لكم من ثواب الشهادة فإنكم إن تفعلوا والله معكم ومفيدكم تبوءوا بالخسران المبين وسوء الحديث غدا بين من عرفكم من المسلمين وهأنذا حامل حتى أغشاه فاحملوا بحملتى »

وفي الوقت الذى أثرت فيه خطبة طارق تأثيرا كبيرا في نفوس جنوده

ورفعت من روحهم المعنوية كانت العناصر الحانقة على لوذريق تحدث أعمالها وتدفع بكثير من اولئك الغاضبين إلى الانضمام إلى جيش طارق . ووقف الفريقان على ضفتى النهر أخيرا استعدادا للقتال . وكان المسلمون ببساطتهم ويقظتهم موضع الهيبة في النفوس على حين كان منظر القوط يدعو إلى السخرية الازدراء . إذ جلس لوذريق في عربة مطهمة يجرها جوادان وعليه أثواب الحرير البراقة وهو يحاول عبثا بث روح الحماسة في جنده . وكان في جيشه اثنان من إخوة غيطشة وهما : أبه وششبرت اللذان صالحهما بغية توحيد صفوف القوط وجعل أحدهما على الخيالة التى كانت عماد جيش القوط .

وفي يوم الأحد ٢٨ من رمضان عام ٩٢ هـ (١٩ يوليو ٧١١ م) بدأت المناوشات بين الجانبين على وادى البرباط بالقرب من بلدة شذونة . واستمرت المناوشات ثلاثة أيام اظهر فيها كل من الجانبين الكثير من ضروب الشجاعة والبسالة دون أن يحصل أحدهما على نصر يذكر . غير أن أتباع يوليان نشطوا في أثناء القتال وبثوا رجالاتهم وسط جند لوذريق ليصرفوهم عنه ويؤكدون لهم أن المسلمين لم يأتوا إلى الاندلس للفتح والاستقرار ولكن للقضاء على هذا الطاغية وأنه إذا تم القضاء على حكم لوذريق عادت البلاد ملكا لهم ينعمون بخيراتها . ونجحت دعايات يوليان بين فرسان القوط خاصة تلك التى كان يتولى قيادتها أحد إخوة غيطشة ملك القوط السابق الذى قضى عليه لوذريق . وفي اليوم الرابع من المعركة ظهرت نتائج دعايات يوليان بين صفوف جيش لوذريق . فقد تخلى عنه جماعات الخيالة التى كانت العمود الفقرى للعمليات الحربية وأدى ذلك إلى وقوع الاضطراب بين سائر جند القوط وهرب الكثيرون منهم طلبا للنجاة . هذا إلى أن غالبية الجيش اشتملت على أعداد كبيرة من العبيد الساخطين على حكم القوط المتمنين زواله ووجدوا في تلك المعركة فرصتهم للخلاص مما حل بهم من ظلم واضطهاد ولما أخذت مظاهر الفوضى تسود الجيش بسبب انسحاب الخيالة تراخى العبيد عن القتال وانتهت المعركة بانتصار المسلمين . وفر لوذريق تاركا عددا كبيرا من القتلى على أرض الميدان .

وحسب البعض أن لوذريق غرق في النهر الذى دارت المعركة بقربه لأن الجند وجدوا على الشاطئ بعد انتهاء القتال خفه دون أن يعثروا له على أثر غير أن لوذريق أبي الاستسلام بعد

الهزيمة الساحقة التى نزلت به وفر إلى داخل البلاد دون أن يكشف أحد أمره مستهدفا جمع فلول القوط مرة أخرى والانتقام ممن انضم من رجاله إلى المسلمين

وبعث طارق بأنباء انتصاراته إلى موسى بن نصير الذى أبلغها بدوره إلى الخليفة الوليد بن عبد الملك وبدأت راية الاسلام تعلو خفاقة فوق غرب أوربا للمرة الأولى في التاريخ . وازدادت قوات طارق بن زياد بعد معركة وادى بكة لأن الإمدادات انهالت عليه من المغرب. ورأى طارق أن يتابع زحفه دون إبطاء ليستولى على قرطبة ويقضى على ما بها من بقايا جيش القوط غير أنه لقى في الطريق إلى هذه المدينة مقاومة عنيفة جعلته يعدل عن خطته ويبادر بالاستيلاء على طليطلة عاصمة دولة القوط ويتوج بذلك انتصاراته في أسبانيا . وكان السبب في هذا التطور الجديد هو ما بلغ طا قا من أن أنصار لوذريق حين ترامت إليهم الشائعات بأن ملكهم لم يقتل بدءوا يجمعون صفوفهم مرة أخرى في طليطلة لمقاومة المسلمين . ومن ناحية أخرى أخذ أنصار الملك السابق غيطشة يجتمعون في طليطلة ويتشاورون فيما بينهم لإعلان أحدهم ملكا مكان لوذريق المهزوم . ولذا عجل طارق بإرسال جزء من جيشه للاستيلاء على قرطبة ليحمى ممتلكاته بجنوب اسبانيا على حين انطلق بنفسه سريعا إلى طليطلة قبل أن يتمكن أتباع لوذريق من تحصينها وقبل أن يصل ابناء غيطشة أيضا إلى قرار يصعب على المسلمين مواجهته . ذلك أن بيت غيطشة ظل واهما (حتى تلك الأحداث) بأن المسلمين ما جاءوا إلاَّ للمغانم مقابل مساعدة ابناء غيطشة للوصول إلى العرش واستولى طارق بن زياد على مدينة طليطلة في سهولة ويسر لأن القوط آثروا تجنب لقاء المسلمين انتظارا لما تسفر عنه استعداداتهم . وحاول طارق أن يتتبع فلول القوط الهاربة من طليطلة حتى بلغ مدينة أطلق عليها المسلمون (المائدة) على مقربة من هنارس . وهناك عثر المسلمون على كنز ثمين عبارة عن مذبح كنيسة طليطلة المحلى بأغلى ما كان لدى القوط من الذهب والجواهر . غير أن طارقا اضطر إلى العودة إلى طليطلة لأن الصيف كان قد انقضى فآثر البقاء في العاصمة دون أن يعرض جنده لبرد الشتاء القارس وفي طليطلة بلغه أن جيشه الذى بعث به إلى قرطبة قد استولى عليها .

وقد شعر موسى بن نصير أن زحف طارق وراء فلول القوط يوشك أن يعرض الفتوح الاسلامية في البلاد

الأسبانية المترامية الأطراف لخطر محقق ذلك أن خطوط مواصلات المسلمين فيما بين طليطلة والجزيرة الخضراء وبلاد المغرب صارت غير آمنة لأن المعاقل الكبرى المبعثرة على امتداد تلك الخطوط لم تخضع للمسلمين ولم يسيطر طارق إلاّ على قرطبة فقط من بين تلك المعاقل المتعددة . هذا إلى أن قرطبة لم يكن بها سوى حامية صغيرة لا تستطيع أن تؤدى رسالتها كما ينبغى إذا انبعثت أية حركة مقاومة بين صفوف القوط . وأول من شعر بالخطر الذى بات يهدد المسلمين في أسبانيا هو القائد يوليان الذى قام إذ ذاك في الجزيرة الخضراء ليؤمن خطوط مواصلات المسلمين بين أسبانيا والمغرب وذلك في الوقت الذى اندفع فيه طارق بن زياد إلى طليطلة عاصمة القوط . فقد بعث يوليان مجموعة من رجاله مع المسلمين عند توغلهم في البلاد واستطاعت بفضل خبرتها وأهلها أن تدرك ما يدور في نفوس القوط من غدر وأنهم يتجمعون وفق خطة مرسومة لإنزال الهزيمة بالمسلمين . أفضى يوليان إلى طارق بما جاءه من أخبار وطلب منه القيام بعمل حاسم لتأمين ظهر جيوشه غير أن طارقا آثر البقاء في طليطلة دون القيام بأية أعمال توسعية ثم كلف يوليان بأن يتصل بموسى بن نصير في القيروان ويطلب إليه سرعة المجئ إلى أسبانيا لانقاذ الموقف .

ولما جاءت استغاثة طارق إلى موسى بن نصير أدرك أن مخاوفه من انطلاق طارق في فتوحه بعد معركة وادى بكة لها ما يسوغها . وأسرع موسى بإعداد جيش مكون من ثمانية عشر ألفا من خيرة جنده وكان معظمهم من العرب والبربر الذين عرفوا بقوة الشكيمة وشدة المراس وممن اشتهروا ببلائهم في ميدان الحروب ببلاد المغرب وغادر موسى بلاد المغرب على عجل . وقسّم موسى بن نصير جيشه بحسب القبائل ليسهل عبورها إلى الأندلس دون أن تقع فوضى في صفوف الجند . وفي رمضان عام ٩٣ هـ (يونيه ٧١٢ م) كان موسى بن نصير قد غادر المغرب ووصل الى الجزيرة الخضراء في الأندلس وشيد بها مسجدا وانتظر هناك حتّى تم عبور سائر الجند واطمأن على سلامتهم وحسن ترتيبهم . وفي تلك الأثناء أسرع ايوليان إلى لقاء موسى بن نصير وعقد معه مجلسا حربيا للتشاور في هذا الموقف الخطير . وقرر هذا المجلس الحربي أن الضرورة تقضى بالسيطرة أولا على المعاقل التى تركها طارق والتى باتت خطرا يتهدد المسلمين

وبعث موسى بن نصير عقب هذا المجلس الحربي الهام رسالة إلى طارق بن زياد يأمره فيها بالانتظار في طليطلة وألاً يقوم بعمل حربي إلاً بإشعار آخر . ورددت بعض المراجع أن موسى لم يقدم على هذا العمل والعبور إلى الأندلس إلاً منافسة لطارق ورغبة استبدت به لينال بدوره نصيبا كبيرا من الغنائم وأن الحسد كان يأكل قلبه وأنه صمم على محاسبة طارق على أعماله وأنه رأى أن يتولى بنفسه فتوحا أخرى أعظم مما قام به هذا القائد . وقد وقعت تلك

المراجع في هذا الخطأ الفاحش لأنها صورت موسى وطارقاً تصوير القائدين المختلفين وأن كلا منهما كان يعمل دون علم الآخر . والمعروف أن طارقا لم يقم بما قام به من أعمال حربية إلاً باسم موسى بن نصير الذى تولى القيادة العليا ورسم الخطط وأمدّ طارقا بكل المساعدات الحربية ولا سيما في ساعة الخطر بعد معركة وادى بكة . هذا إلى أن طارق بن زياد كان يرسل إلى موسى بن نصير عن طريق يوليان أنباء تقدم المسلمين خطوة خطوة مما جعل القيادة العليا في القيروان تتابع الأحداث عن كثب . ومن ثم لم يكن هناك سببا يدعو موسى لأن يحقد أو يحسد طارقا على ما تم على يديه من فتح لأنه شارك في

هذا الفتح وأعد خططه . هذا إلى أن موسى لم يكن يتطلع بعبوره إلى الأندلس الى الحصول على مغانم لأن توزيع الغنائم وغيرها من ممتلكات القوط كان هو المرجع الأخير فيه . والحقيقة أن موسى ابن نصير باعتباره القائد الأعلى قد أفزعه زحف طارق السريع بعد معركة وادى بكة وتعريضه خطوط مواصلات المسلمين لخطر محقق بسبب تركه الكثير من المعاقل والمدن الهامة جريا وراء مطاردة القوط ولذلك بادر موسى برسم خطة لاسيطرة أولا على المراكز الحربية وغيرها في المدن التى كانت تهدد خطوط مواصلات المسلمين وليدعم فتوح المسلمين قبل الذهاب الى طارق في طليطلة وتنهض هذه الخطة التى وضعها موسى دليلا على أنه لم يكن يهدف إلى القيام بفتوح جديدة تغطى أخبارها وعظمتها ما قام به طارق وأن مجيئه إلى الأندلس كان ضرورة حربية ملحة وإصلاح خطأ وقع فيه قائده طارق .

فتح اشبيلية وماردة :

وعمد موسى بن نصير إلى تأمين خطوط مواصلات المسلمين بين الجزيرة الخضراء التى نزل فيها وبين قرطبة التى تعتبر مفتاح السيادة في جنوب الأندلس . فعجل بالسير في بلدة شذونة

ومنها زحف إلى قرمونة ورعواق واستولى عليهما وبذلك أصبحت المحطات الهامة على الطريق إلى قرطبة في أيدى المسلمين وصار في استطاعتهم التقدم من تلك القاعدة نحو الغرب وفتح مدينة أشبيلية التى كانت أكبر مدن القوط بعد العاصمة طليطلة ومصدر الخطر المباشر على القوات التى كانت تحت قيادة طارق في داخل البلاد . وكانت أشبيلية تعتبر نقطة التقاء للطرق الهامة في جنوب الأندلس ولا سيما التى تربط الجزيرة الخضراء بداخل البلاد . فكانت هناك طريقان يربطان أشبيلية بالجزيرة الخضراء التى جعلها موسى مركزا لالتقاء جنده في أسبانيا وكان أحد هذه الطرق بحريا والآخر بريا وعلى كل منهما محطات كثيرة ومعاقل .

هذا إلى أن اشبيلية اشتهرت بأسوارها الحصينة ومتاجرها الواسعة وبهذا أصبحت قاعدة كبيرة من قواعد الفتوح الاسلامية في أسبانيا . وبعد أن استولى موسى بن نصير على مدينة أشبيلية اكتفى بوضع حامية بها وأسرع إلى الاستيلاء على مدينة ماردة التى كانت معقلا خطيرا في أيدى القوط خلف خطوط المسلمين ووجد موسى بن نصير مدينة ماردة قوية الحصون وأشد منعة من إشبيليه فكان لها أسوار منيعة يعلوها الأبراج والحصون القوية . ثم إن فلول القوط وأنصار لوذريق جعلوا تلك المدينة ملجأ لهم بسبب بعدها عن طريق المسلمين كما كانت المسالك إليها وعرة صعبة .

ولذا استغرق حصار المسلمين لها آخر الصيف . والشتاء التالى له دون أن يسيطروا عليها ودار حولها قتال عنيف سقط فيه كثير من الضحايا . فقد أعد موسى بن نصير كمائن كثيرة أخفاها في جهات صخرية مواجهة للمدينة أنزلت ضربات قاصمة بالقوط كلما رغبوا في الخروج إلى معاقلهم وقتل كثير من المسلمين أيضا في محاولاتهم ثقب سور المدينة . ولم يستقر الأمر لموسى في ماردة إلاّ بعد جهد شاق بذل فيه الكثير من الوعود لأهلها الذين سلموا بعدها في شوال عام ٩٤ ه (يونيو ٧١٣ م) . وبعد أن غادر موسى بن نصير مدينة أشبيلية وبدأ حصار ماردة جمع القوط فلولهم في المدن المجاورة وفاجئوا الحامية الاسلامية في اشبيلية وقتلوا منها ثمانين فردا وأجبروا الباقين على الخروج من المدينة وآثر موسى ابن نصير الاستمرار في حصار ما رده حتى استولى عليها ثم بعث بابنه عبد العزيز إلى أشبيلية لطرد القوط منها واختار موسى بن نصير

بعد ذلك للمدن التى استولى عليها نفرا من خيرة قادته ممن اشتهروا باليقظة والبطولة . واضطر موسى بن نصير أمام تلك المقاومة العنيفة التى لقيها جيشه إلى أن يريح جنده في مدينة ماردة مدة شهر تقريبا قبل أن يستأنف السير إلى طليطلة لمقابلة طارق وأدرك موسى بن نصير أن القوط يهدفون إلى الهجوم على المدن التى يستولى عليها من أجل دفع طارق بن زياد إلى مغادرة طليطلة لنجدة موسى بن نصير ثم يستردون مدينة طليطلة في غيبة القوات الاسلامية عنها . ولذا عمد موسى إلى تشتيت خطة القوط بأن يظل يقاومهم أطول فترة ممكنة دون أن يطلب إلى طارق مساعدته . ولكن ما كاد موسى يغادر مدينة ماردة حتى جاءته الأخبار أن لوذريق نفسه ملك القوط الذى فر بعد معركة وادى بكة بدأ ينظم فلول جيشه ويجمع أتباعه استعدادا للهجوم على المسلمين مرة أخرى . ثم أن لوذريق بعد أن آثر البقاء ساكنا ليضرب ضربته الأخيرة في عنف وشدة اختار قوات موسى بن نصير لتكون هدفه ليهدم بذلك خطط الفتوح الاسلامية كلها في الاندلس مرة أخرى . واتخذ لوذريق مركز مقاومته في شعاب الهضاب التى تلى وادى آنه إلى الشمال في جبال سييرا دفرانشيا على أبواب قشتاله واسترااما دورة في السهل المنبسط الذى يحيط بمدينة سلمنقة .

وأجاد لوذريق إخفاء قواته في تلك الجهة الوعرة حتى إن موسى بن نصير اضطر أن يتخلى عن خطته وأن يطلب من طارق بن زياد الخروج من طليطلة وأن يلقاه في منتصف الطريق بين تلك العاصمة وماردة لينقذ المسلمين إذا ما دهمهم خطر مفاجئ . وسار طارق نحو مائة وخمسين ميلا واتخذ مكانه في الجهات المعروفة باسم (العرض) بين التاجة ونهر التتار . وسار موسى بن نصير مع قواته في طريق روماني قديم يصل ماردة وسلمنقة وبجوار نهر حمل اسمه فيما بعد وهو نهر فاموتا أى نهر موسى وذلك بعد أن اتخذ كل الاحتياطات حتى لا يؤخذ على غرة . ولما وصلت القوات الاسلامية إلى منتصف الطريق السالف الذكر اعتقد لوذريق أن الوقت قد حان ليضرب ضربته الأخيرة وأن المسلمين لن يجدوا من ينقذهم أو يبادر إلى مساعدتهم . وعند ناحية اسمها السواقي على مقربة من (ثمامس) شن لوذريق هجومه دون أن يدرى أن موسى بن نصير قد اتخذ كل الوسائل ليحمى قواته ويجنبها الأخطار . ولذا صمد المسلمون لهجوم القوط وأنزلوا بهم خسائر فادحة وقتلوا كثيراً منهم كان من بينهم لوذريق نفسه الذى قتله

مروان بن موسى بن نصير . وصار الطريق إلى طليطلة مفتوحا أمام موسى بن نصير فسار حيث التقى بطارق بن زياد وقواته التى كانت قد غادرت تلك المدينة — في سبيلها إلى مقابلته في عرض الطريق .

استعادة فتح طليطلــة :

ولما كان هجوم لوذريق على قوات موسى بن نصير شعبة من مؤامرة مزدوجة استهدف طرفها الثاني السيطرة على طليطلة وانتزاعها من المسلمين إذا ما خرج طارق منها لنجدة إخوانه فإن جماعات من القوط انتهزت خلو العاصمة من الحامية الاسلامية واستولت عليها إكمالا لحلقة المقاومة ضد المسلمين غير أن القوات الاسلامية المشتركة بقيادة موسى بن نصير وطارق بن زياد تمكنت من هزيمة القوط والسيطرة على طليطلة مرة ثانية .

وبذلك انتهت مقاومة لوذريق وجنده بمجئ قوات موسى بن نصير على عجل ولولا ذلك لانهارت أعمال طارق وأصيب جنده بكارثة مروعة .

وفي مدينة طليطلة أخذ موسى بن نصير يحاسب طارقا على اندفاعه الذى كاد ينزل بالمسلمين كارثة محققة ولا سيما بعد أن ثبت عمليا أن القوط كانوا قد أعدوا حركة مقاومة عنيفة . ورددت بعض المراجع أن موسى شد وثاق طارق وحبسه وهمَّ بقتله لولا تدخل مغيث الرومى مندوب الخلافة في الحملة الإسلامية إلى اسبانيا واسراعه بإبلاغ الحادث إلى الخليفة الوليد بن عبد الملك الذى أمر موسى بعدم إنزال الأذى بطارق . غير أن هذه الرواية استندت إلى شائعات مغرضة رددها القائد مغيث الرومى الذى كان بينه وبين موسى بن نصير سوء تفاهم فانتهز فرصة ذهابه إلى دمشق ليبلغ الخليفة انباء انتصارات المسلمين وأساء الى سمعة هذا القائد . غير أن المقطوع به هو أن موسى بن نصير عنف طارقا أو حدث عتاب بينهما لأن طارقا كان قد تقدم في الفتح اكثر مما ينبغى ولما تثبت أقدام المسلمين في البلاد بعد متحديا بذلك أوامر مولاه لكن موسى كان من الحكمة بحيث أنه سرعان ما اتفق مع طارق واشترك الرجلان اشتراكا كاملا في العمل .

واستقر رأى كل من طارق بن زياد وموسى بن نصير على القيام بمسح شامل لسائر الأراضى الأسبانية التى لم تفتح بعد ونشر الاسلام بين ربوعها وتطهيرها تطهيرا شاملا من جيوب القــوط وقلوبهم . واثبت موسى بن نصير بذلك

أنه ما زال يولى طارق بن زياد ثقته المطلقة . وأتبع موسى هذه الخطوة بعمل إدارى رائع لتنظيم أحوال البلاد فأمر وهو في طليطلة بضرب عملة ذهبية دفع منها رواتب الجند العاملين تحت إمرته . ويعتبر سك هذه العملة الذهبية دلالة على سيطرة موسى بن نصير على الأوضاع في تلك البلاد الأوربية الجديدة وعلى مهارته الفائقة في بناء إدارة عربية مستقرة الأركان في اسبانيا منذ الايام الاولى للفتح الاسلامي بها .

وكانت هذه العملة الذهبية على غرار العملة التى سكها موسى بن نصير في بلاد المغرب فكان على وجه هذه العملة اسم (محمد رسول الله) وعلى الوجه الآخر نجمة ذات ثمانية أذرع — وإلى جانب ذلك أمر موسى بن نصير بضرب عملة برنزية صغيرة لمساعدة الناس في تسهيل عملياتهم اليومية .

وبعد أن أتم موسى بن نصير تنظيماته الادارية استأنف الجهاد واتفق مع طارق بن زياد على الزحف معا نحو الشمال الشرقي لفتح حوض نهر الإبرو وما فيه من مدن واشترك طارق مع موسى في هذه الحملة لأن المقاومة الشديدة التى سبق أن أظهرها القوط حملت القيادة الاسلامية على جمع جهودها وتنسيق اعمالها بما يجنب المسلمين الأخطار مرة أخرى .

وقصدت القوات الاسلامية بقيادة موسى بن نصير مدينة سرقسطة واقتربت منها على حين غفلة من أهلها وأراد أسقف المدينة ومن معه من الرهبان جمع دخائرهم وكتبهم المقدسة والفرار بها غير أن موسى بن نصير بعث إليهم رسولا من قبله أزال مخاوفهم وأعطاهم العهود والمواثيق بالأمان . وبذلك استولى المسلمون على المدينة دون قتال وشيدوا بها مسجدا صار فيما بعد أحد المراكز الكبرى لنشر الدين الإسلامى وحضارته في أسبانيا . وقام ببناء هذا المسجد أحد التابعين في جيش موسى بن نصير وهو حنش بن عبد الله السبأى الصنعاني .

الزحف شمالاً نحو البرانس :

وتابع موسى زحفه بعد ذلك واستولى على كثير من المدن الهامة في تلك الجهات . وظلت القوات الاسلامية تتابع زحفها حتى بلغت مشارف جبال البرت (البرانس) وشاهد المسلمون سكان تلك الجبال من القبائل البسقاوية (البشكنس) واستمعوا إلى لغتهم الغريبة التركيب والاصوات ، وفي الوقت الذى كان فيه موسى بن نصير يبذل كل ما لديه من جهد لتأمين ممتلكات المسلمين شمالى مدينة سرقسطة جاءه مندوب الخلافة وهو

مغيث الرومى ومعه أمر من الخليفة الوليد بن عبد الملك لكل من موسى ابن نصير وطارق بن زياد بالمجئ إلى البلاط ومقابلته شخصيا في دمشق . ورأى موسى بحنكته الحربية ومقدرته السياسية أن هذا الاستدعاء جاء في وقت غير مناسب لأن مطاردة القوط لم تنته بعد كما أن فتح البلاء يتطلب السيطرة على المعاقل الشمالية الجبلية أضف إلى ذلك أن موسى أحس أن أمرا قد دبر له في دمشق ويحتمل ان هذا التدبير هو السر في استدعائه إلى عاصمة الخلافة ولذلك ألح على مغيث الرومى أن يؤجل تنفيذ طلب الاستدعاء حتى ينتهى من العمليات الحربية ومنحه قصراً في قرطبه يقيم فيه ريثما يفرغ المسلمون من مهمتهم . وتقدم موسى بقواته نحو مدينة قشتاله لأنها تعتبر المركز المباشر الذى يمكن أن يهدد منه القوط مدينة طليطلة وغيرها من البلاد الاسلامية ثم إن اقترابها من الجهات الجبلية الوعرة يساعد من يتحصن بها على أن يبقى على المقاومة زمنا طويلا . ولذا قسم موسى بن نصير قواته قسمين عهد بواحد منهما إلى طارق بن زياد وجعل مهمته السير وغربا على حين قاد هو الشطر الثاني واتجه في البلاد شرقا . وقصد طارق بن زياد إلى جبال كنتبرية وأخضع جماعات البسقاوية غربي نهر الأبرو . ودخل كثير من سكان تلك الجهات في الاسلام على يد طارق بن زياد وصاروا يكونون نواة كثير من الأسر الأندلسية الإسلامية التى قدر لها أن تمثل دورا هاما في تاريخ البلاد فيما بعد . وفي الوقت نفسه سار موسى بن نصير على الضفة الشرقية لنهر إبرو في إقليم قشتاله ورحب به زعماء البلاد كذلك ودخلوا في طاعة المسلمين . غير أن نفرا من فلول القوط آثروا الفرار أمام الزحف الإسلامى إلى المناطق الجبلية الساحليةالشمالية واعتصموا بمكان اسمه (الصخرة) فطارد موسى تلك الفلول حتّى بلغ (خيخوت) وجعل منها حصنا يحمى ما تم على يديه من فتوح في تلك الجهات القاصية . وصارت تلك الجهات أقصى ما وصل إليه المسلمون في منطقة (اشتريس) حيث بدأ موسى بن نصير يعد العدة للعودة من تلك البلاد النائية . وتم في ذلك الوقت أيضا اخضاع المنطقة الساحلية بين مالقة وبلنسية وإخماد الفتن التى حاول القوط القيام بها . وقام بهذه المهمة عبد العزيز بن موسى بن نصير الذى اشترك مع والده في إكمال الفتوح الإسلامية في أسبانيا . وسار هذا القائد على نهج والده في

معاملة أهالى البلاد المفتوحة بالرفق والتسامح والعدل في فرض الضرائب ومن ذلك ما حدث حين زحف عبد العزيز ابن موسى على مالقة ثم غرناطة ثم أريوله وهى كلها سلمت دون قتال .

ارتياح اهالى الأندلس للحكم الاسلامى :

وقد شعر أهالى الأندلس مع امتداد الفتح الاسلامى طلائع المساواة وخاصة في الضرائب وهو أمر لم يألفوه منذ زمن طويل . هذا إلى احترام حرية العقيدة وإزالة الإضطهاد الدينى . وردد كثير من الباحثين في التاريخ الأوربي المظاهر الجديدة التى سادت الشطر العربي من أوربا في بلاد أسبانيا عقب الفتح الاسلامى وسجلت بهذا الدين الحنيف مظاهر الحياة الجديدة التى نفحها في تلك البلاد وذكروا أن الفتح العربي كان من بعض الوجوه نعمة لأسبانيا فقد أحدث فيها ثورة اجتماعية هامة وقضى على كثير من الأدواء التى كانت تعانيها البلاد منذ قرون وتحطمت سلطة الأشراف والطبقات الممتازة أو كادت تمحى ووزعت الأراضى توزيعا عادلا فكان ذلك حسنة سابغة وعاملا في ازدهار الزراعة إبان الحكم الإسلامى . ثم كان الفتح عاملا في تحسين أحوال الطبقات المستعبدة إذ كان الاسلام أكثر معاضدة لتحرير الرقيق من النصرانية كما فهمها أحبار المملكة القوطية . وكذلك تحسنت أحوال أرقاء الضياع إذ غدوا من الزراع وتمتعوا بشئ من الاستقلال والحرية .

وكان موسى بن نصير حريصا على أن يظل المسلمون العاملون تحت رايته سواء من العرب أو البربر مثلا عليا أمام شعب أسبانيا . فلم يترفع اولئك الفاتحون المسلمون على ابناء البلاد وإنما امتزجوا معهم وصاهروهم وشاركوهم أيضا في مباهج البلاد ومسراتها يطلبون العيش في سلام جنبا إلى جنب مع أهلها . وكان شعب أسبانيا من العنصر الأيبيرى المسالم المحب لحسن العشرة . ومن ثم أنس إلى الفاتحين الجدد سواء من العرب أو البربر وأقبل عليهم طواعية لا عن ضغط وإرهاب ووجد فيهم محررين من بطش القوط وظلمهم الفاحش ولم يحاول الفاتحون إدخال ابناء الشعب قسرا في الدين الإسلامى وإنما حرصوا أولا على بيان فضائل هذا الدين حتى يتنبه الناس ويدخلوا في رحابه إيمانا بأركانه وقواعده . ثم إن موسى بن نصير عمد إلى تنظيم الأحوال المالية للبلاد حتى يجنبها الاضطرابات ويهئ لها أسباب الاستقرار . وقد طبق على أسبانيا القواعد التى اتبعها المسلمون

الفاتحون في شتى الجهات التى استولوا عليها . فالأراضى التى فتحت عنوة قسمت بين الفاتحين بعد أخذ الخمس لبيت المال . أما الجهات التى فتحت صلحا فتركت بين أصحابها مقابل دفع العشر من نتاجها . ولا شك أن هذا التنظيم المالى لم يكن عملا هينا بالنسبة لموسى بن نصير وبخاصة في تلك الجهات من غرب أوربا التى لم تعرف منذ زمن بعيد لونا من ألوان الأدارة العادلة . فالمعروف أن القوط كانوا يستبيحون لأنفسهم ثروات البلاد ويعتبرون السكان أقنانا يعملون في الأرض ولا همّ لهم إلا انتاج ما يحتاج إليه سادتهم من القوط . ولذا جاءت تنظيمات موسى بن نصير في أسبانيا وسيلة جيدة لخلق الامتزاج السليم بين الفاتحين وأهل البلاد الأصليين .فالاراضى المنبسطة في الجنوب أى جنوب الوادى الكبير اعتبرها موسى بن نصير أرضا مفتوحة عنوة فقد تم الاستيلاء عليها بعد معارك عنيفة ضد لوذريق . وقسم موسى أربعة أخماس هذه الاراضى إلى قطاعات بين الفاتحين على حين بقى الخمس ملكا للدولة . أما بقية أرض الأندلس فقد اعتبرت أرض صلح وهى الأراضى الواقعة شمال نهر الوادى الكبير من شبه جزيرة ايبريا فأخذ أهل كل ناحية لأنفسهم عهدا وهذا العهد يقرر ما عليهم من مال للدولة . وبذلك سار الاستقرار في بلاد أسبانيا سريعا حيثما سار موسى بن نصير وبدأ العرب والبربر ينتشرون في شتى الجهات في طمأنينة وسلام . واستقر العرب دائما في المناطق المنبسطة والمنخفضات أى في النواحى الدافئة قليلة المطر في الجنوب والشرق والغرب وفي ناحية سرقسطة . أما البربر فاختاروا المناطق الجبلية التى سبق أن ألفوا مثلها في وطنهم ببلاد المغرب . بينما نزل العرب في المناطق الواطئة بجنوب أسبانيا مثل شذونه واستجة فضل البربر منطقة رنده الجبلية واختاروها سكنا لهم . ونزل بعض البربر في مناطق متفرقة كذلك أو في بعض الهضاب حسبما راق لهم ذلك . واستطاع كل من العرب والبربر الامتزاج بأهالى البلاد الأصليين وارتبطوا معهم برباط الزواج . وكان للبربر خاصة أثر عظيم جدا في انتشار الاسلام في الأندلس بسبب قرب مزاجهم وطباعهم من اولئك السكان . هذا إلى أن البربر بسبب حداثة عهدهم بالاسلام كانوا شديدى الحماسة للدين الجديد لأنه صار رمز سيادتهم وعزهم . وحرص موسى بن نصير على ترك حاميات من جيشه في المدن التى فتحها وهذا هو الأمر

الذى جعل معظم أرجاء أسبانيا تعمر بالفاتحين الجدد وتمهد اسبانيا في سرعة ويسر لاعتناق الدين الاسلامى الحنيف . واستطاعت الإدارة الأسلامية التى شيدها موسى بن نصير أن تضع الحجر الأساسى لبناء الحضارة الأسلامية في أسبانيا وجعلت من تلك البلاد أعظم مركز للإشعاع الحضارى في أوربا في العصور الوسطى .

ومن ثم أخذت أسبانيا تخطو سريعا في مضمار الإزدهار العلمى وتدخل سجل التاريخ باعتبارها الشريان الذى نقل إلى أوربا ثمار الحضارة الاسلامية ومعارفهم وهيأ لسكان غرب أوربا السبيل للخروج من جهالة العصور الوسطى إلى نور الإسلام وضوء الحضارة الأسلامية الساطع . وقد استغرق الفتح الاسلامى لأسبانيا ثلاث سنوات وبضعة شهور إذ بدأ الفتح الاسلامى لاسبانيا في رجب عام ٩٢ هـ وتم في ذى القعدة عام ٩٥ هـ . ويلاحظ أن العرب اطلقوا اسم الأندلس على المناطق التى كانوا يسيطرون عليها من شبه جريرة أيبريا ولا زال اسم الأندلس يطلق على الجزء الجنوبي منها .

موسى وطارق يقابلان الـوليد فى عاصمة الأمويين :

سبق أن ذكرنا أن الخليفة الوليد بن عبد الملك استدعى كلا من موسى بن نصير وطارق بن زياد لمقابلته شخصيا في دمشق وأن موسى بن نصير أجل تنفيذ هذا الطلب حتى ينتهى من عملياته الحربية . وبعد أن فرغ موسى بن نصير من اتمام الفتح اختار مدينة أشبيلية حاضرة للبلاد وعين ولده عبد العزيز واليا على الاندلس واستخلف على المغرب الأقصى ابنه عبد الملك كما استخلف على إفريقية ابنه عبد الله . ثم غادر موسى بن نصير الأندلس وبصحبته طارق بن زياد وكبار الجند في ذى القعدة عام ٩٥ هـ (٧١٤ م) . ويقال إن يوليان كان معهم . وكان موكب موسى بن نصير إلى دمشق من الموضوعات التى أفاض في وصفها الرواة والإخــباريون العرب ونقلها المؤرخون مثل ابن عبد الحكم وابن قتيبه وابن القوطية والمراكشى وابن عذارى وابن خلكان والمقرى وابن الأثير . ويقال إن موكب موسى بن نصير اشتمل فيما عدا حاشيته الخاصة على اربعمائة من افراد الأسرة القوطية المالكة وأسر النبلاء تزين رءوسهم التيجان وتطوق أوساطهم الأحزمة الذهبية ومعهم جموع من العبيد والأسرى يحملون نفائس الغنائم . وعندما اقترب موسى من دمشق وصلته رسالتان كان لهما أكبر الأثر في اختتام حياته فيما بعد

أما الرسالة الأولى فكانت من ولى العهد سليمان بن عبد الملك يطلب فيها من موسى بن نصير أن يبطئ في الحضور إلى دمشق لأن الخليفة الوليد بن عبد الملك مريض مرض الموت وفي أيامه الأخيرة . وبذلك يحظى سليمان عندما يعتلى العرش باستقبال أعظم موكب للنصر عرفه الإسلام . ولكن موسى بن نصير رفض الاستجابة لهذا الطلب وتابع سيره إلى دمشق .

وبعد ذلك بقليل تسلم الرسالة الثانية وكانت من عند الخليفة الوليد نفسه يأمره فيها بالاسراع بالحضور إلى دمشق حتى لا تحرمه المنية من شرف مشاهدة موكب النصر القادم على عاصمة الخلافة وليتوج أيامه الأخيرة بهذا النصر المظفر . ودخل موسى بن نصير مدينة دمشق في السادس والعشرين من يناير عام ٧١٥ م (جمادى الأولى عام ٩٦ هـ) أى قبل وفاة الخليفة الوليد بأربعين يوما . وحرص موسى على أن يشرف بنفسه على طريقة سير الموكب وارتداء المشتركين فيه بثيابهم وبطريقة عرض الكنوز والغنائم . وأمر موسى « بالأموال والجواهر واللؤلؤ والياقوت والزبرجد والجزع والوطاء والكساء المنسوج بالذهب والفضة المحرشـــة باللؤلؤ والياقوت والزبرجد وضمها إلى موكب النصر مع رجاله بأرديتهم الجميلة الزاهية ثم أقبل موسى بالذين ألبسهم التيجان حتى دخل مسجد دمشق والوليد على المنبر يحمد الله » . وكان الخليفة يعاني في تلك الأيام من وطأة المرض ومع ذلك أبي إلاّ أن يخرج إلى المسجد « متحملا لأجل قدوم موسى بن نصير » ولما رأى الخليفة هذا الموكب استولت عليه الدهشة والعجب الشديد وصاح الحاضرون من الناس « موسى . موسى » وأقبل هذا القائد المظفر حتى سلم على الخليفة ووقف ثلاثون ريـــلا من أصحاب التيجان في موكب النصر عن يمين المنبر وشماله على حين وقف أمام الخليفة سائر أفراد الموكب ومراكب الغنائم المقامة على عجل . وهز هذا المنظر الباهر قلوب الحاضرين ومشاعرهم كما أثار ذكرياتهم عن فتوح المسلمين الكبرى وقالوا إن الدولة الاسلامية لم تشهد منذ فتح فارس مثل هذا الموكب الرائع ومثل تلك الغنائم الوافرة . وأخذ الخليفة يلقى خطبته في هذا المشهد الحافل وأكثر فيها الحمد لله والثناء عليه والشكر لما أيده الله ونصره . وأذهل موسى الناس بما أتي به من الخيرات والغنائم والاسرى وكان موكب النصر هذا موكبا مشهودا إذ لم ير الناس من قبل مثل هذا العدد من أمراء الغرب والأسرى الأوربيين

وقد جاءوا يقدمون الولاء والطاعة لأمير المؤمنين . وكان من أبرز ما قدمه موسى بن نصير إلى الخليفة الوليد من الغنائم التذكارية النفيسة مائدة تفوق قيمتها كل تقدير كان طارق بن زياد قد غنمها من كاتدرائية طليطلة وكان القوط قد تفننوا في صنعها فنسبها العرب إلى سليمان بن داود وسموها (مائدة سليمان) وهى بالطبع ليست مائدة سليمان بن داود وإنما أطلق عليها هذا الاسم كناية عن قدمها وعظم شأنها .

واختلفت الروايات كذلك في وصف هذه المائدة وبيان هيئتها وسبب وجودها فذكرت إحدى الروايات أن الاغنياء والموسرين من القوط دأبوا أن يوصلو للكنائس بقدر معلوم من ثرواتهم عند الوفاة وكلما تجمع المال الوفير بين المشرفين على تلك الكنائس أمروا بصناعة موائد وكراسى من الذهب والفضة تضع القساوسة عليها الأناجيل في أيام الاحتفالات من أجل المباهاة والتفاخر .

ونالت كنيسة طليطلة قدرا كبيرا من مال الوصايا وخاصة أنها كانت مقر البيت المالك ولذا تأنق الملوك في عمل مائدة لهذه الكنيسة فاقت كل الموائد في سائر اسبانيا إذ حرص كل ملك على أن يزيد في مائدة كنيسة طليطلة إعلاء لذكره وتباهيا بعاصمة ملكه حتى صار لها مركز الصدارة في جميع البلاد وتحدث الجميع بجمالها وعلو قيمتها . فكانت « مصنوعة من الذهب الخالص مرصعة بفاخر الدر والياقوت والزبرجد » . ومهما يكن من أمر تلك الروايات فمما لا شك فيه أنها أجمعت على شئ واحد هو عظمة هذا الكنز الثمين الذى فاقت أخباره ما عداه في كنوز وجدها الفاتحون في سائر مدن الاندلس . ويرجح أن هذه المائدة كانت مذبح الكنيسة الجامعة في طليطلة وأنها كانت على درجة خيالية من الجمال حتى تليق بعاصمة القوط ولتكون رمزا على ثراء دولتهم وغناها الوافر . وكان مما قدم للخليفة الدر والياقوت أكيالاً والسيوف المحلاة بالجواهر والتيجان الذهـبية المرصعة بالحجارة الثمينة وآنية الذهب والفضة وغير ذلك مما لا يحيط به وصف .

وقد اغدق الخليفة الخلع على موسى ثلاث مرات تشريفا له كما أغدق المنح لآل بيته . ولما انتهى الخليفة من منح موسى براءات الشرف والتكريم استأذن منه هذا القائد العظيم في تقديم المشتركين معه في موكب النصر فأدخل عليه موسى « ملوك البربر وملوك الروم وملوك الأسبان وملوك الفرنجة ثم أدخل

عليه رؤوس البلاد ممن كان معه من قريش والعرب » فأحسن الخليفة لهم العطايا والمنح .

* ● *

وبانتهاء يوم الاستقبال اختتم موسى بن نصير حياته العامة . ذلك أن الوليد بن عبد الملك توفي بعد ذلك اليوم بأربعين يوما فقط وخلفه سليمان بن عبد الملك عام ٩٦ هـ (٧١٥ م) وأعفى الخليفة الجديد غداة توليه العرش موسى بن نصير وكان إذ ذاك قد ناهز الثمانين من عمره من العودة إلى الأندلس . وأراد الخليفة سليمان بن عبد الملك أن يختم حياته بالحج إلى بيت الله الحرام واصطحب معه إلى مكة والمدينة موسى بن نصير . وقد توفي موسى بن نصير بالمدينة بعد أداء فريضة الحج ودفن بالبقيع في أوائل عام ٩٧ هـ .

أما طارق بن زياد فقد انتهت حياته في غموض . ولا تذكر الرواية الاسلامية أين ومتى توفي . ويقال إن مغيث الرومى وشى به وخوّف الخليفة منه . وكان الخليفة سليمان بن عبد الملك يريد أن يوليه الأندلس فعدل عن ذلك . ولكن إهمال المؤرخين لطارق بن زياد لم يحرمه نصيبه من الخلود . فقد شاءت المقادير أن تحمل اسمه أول بقعة في الأندلس وطئتها قدماه وهى جبل طارق كما سمى بحر الزقاق باسم مضيق جبل طارق . وانتقلت هذه التسمية إلى اللغات الأوربية جميعها بصيغها محرفة تحريفاً بسيطا .

ولم تشر الروايات العربية إلى مصير يوليان الذى مهّد لفتح الأندلس . وتذكر بعض الروايات أنه عاد إلى سبتة وأقطع ما حولها من الأرض وظل أميرا على سبتة نظير خدماته ولكنه بقى نصرانيا هو وبنوه الأقربون . أما ذريته فيقال إنها دخلت الاسلام بعد ذلك . أما أبناء غيطشة فقد أقطعوا ما كان لأبيهم كما عين أخ غيطشة حاكما لمدينة طليطلة .

★ ● ★

بعض مصـــادر البحث

١ – الكامل في التاريخ لابن الاثير

٢ – الحلل السندسية (طبعة ١٩٣٦) لأرسلان

٣ – المغرب في ذكر إفريقية والمغرب (طبعة ١٩١١ م) للبكرى

٤ – فتوح البلدان (طبعة ١٩٠٠ م) للبلادزى

٥ – قيام دولة المرابطين (طبعة ١٩٥٧) لحسن محمود

٦ – فتح العرب للمغرب (طبعة ١٩٤٧) لحسين مؤنس

٧ – فجر الأندلس (طبشة ١٩٥٩ م) لحسين مؤنس

٨ – تاريخ المغرب العربي (طبعة ١٩٦٥ م) لسعد زغلول عبد الحميد

٩ – الاستقصا لأخبار المغرب الأقصى (طبعة ١٨٠٤ م) للسلاوى

١٠ – المغرب الكبير (العصر الاسلامى) طبعة ١٩٦٦ للسيد عبد العزيز سالم .

١١ – بغية الملتمس في تاريخ رجال الاندلس (طبعة ١٨٨٤ هـ) للضبي

١٢ – فتوح مصر والمغرب (طبعة ١٩٢٠ م) لابن عبد الحكم

١٣ – العقد الفريد لابن عبد ربه

١٤ – الاساطيل العربية (طبعة ١٩٥٧ م) للعدوى

١٥ – البيان المغرب في اخبار المغرب لابن عذارى

١٦ – دولة الاسلام في الاندلس (طبعة ١٩٤٣) لمحمد عبد الله عنان

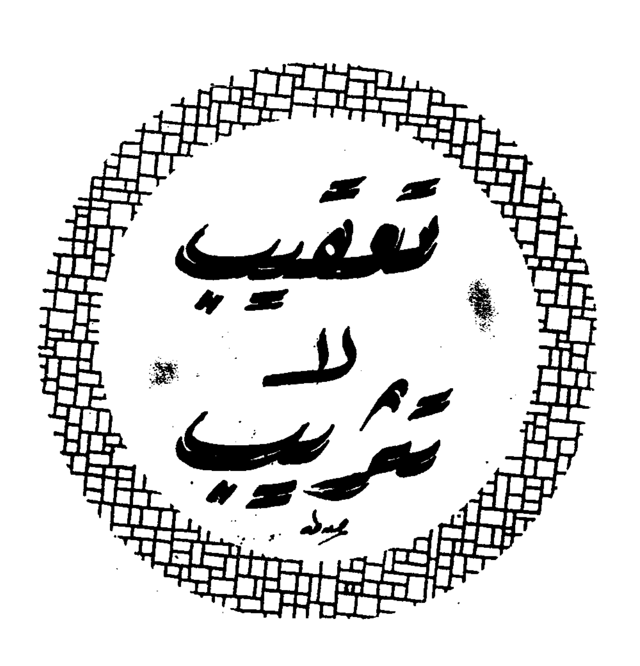
١٧ – الآثار الاندلسية (طبعة ١٩٥٦ م) لمحمد عبد الله عنان

١٨ – تاريخ المغرب الكبير لمحمد على دبوز

١٩ – النجوم الزاهرة (طبعة ١٩٢٨) لأبي المحاسن

٢٠ – نفخ الطيب من غصن الاندلس الرطيب (طبعة ١٨٥٥ م) للمقرى

٢١ – معجم البلدان لياقوت الحموى


تعقيب
لا
تثريب



من مسلم ناصح الى شيخ المقرئين في مصر ومن ثم في العالم الاسلامى كله الشيخ محمود خليل الحصرى هدانا الله واياه سواء السبيل .

الحمد لله الذى اكرم المؤمنين فجعلهم نصحة امناء ، وأنقذهم بذلك من: صفات الكافرين الغششة السفهاء . وصلى الله وسلم وبارك على صفوته من خلقه محمد وآله وصحبه ومن التزم سبيله ، ونهض بدعوته على بصيرة الى يوم الدين ..

أما بعد ، فقد سمعتك امس تتلو في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى مقربة من مثواه المبارك ، قوله تعالى : (ويل لكل همزة لمزة . .) فأثار ذلك في نفسى ضروبا من التأملات ، وكان من غرائب الاتفاق أن تعترى هذه الحالة كثيرين غيرى أيضا ، فاذا احدهم يقول لآخر وهو يحاوره : كيف سمح هذا الرجل لنفسه أن يقدم على هذه التلاوة هنا في مهبط الوحي ، وهو يعلم أن معصيته للوحى ومبلّغ الوحي لم تتلاش بعد من اذهان الناس ولم يكد يفرغ الكرام الكاتبون من تسجيلها . أبهذا اللسان نفسه الذى افتتح امس حفل الذكرى لأم كلثوم بآيات الحي القيوم ، يرتل في مسجد رسول الله آيات الله ! . .

وقال آخر : مسكين . ألم يقرأ في كتاب الله غير هذا الويل الموجه الى الهُمَزة اللُّمَزة ! . . ولم يعلم ان ثمة ويلات كثيرة لكثيرين من العاصين ، وبينهم المصلون الذين هم عن صلاتهم ساهون ، والقاسية قلوبهم من ذكر الله ،و الظالمون والأفاكون الآثمون !! . . ولا سهو عن الصلاة أهول من فقدانها روح التطهير من الفحشاء والمنكر ،حتى تصبح عادة يؤديها فاعلها كما يؤدى أي عمل آخر في معزل عن الخشوع والوعي . وأي قسوة أشد من أن يقرأ امرؤ كتاب الله ،بل يتخذ منه حرفةً للارتزاق ، ثم لا يتورع عن اقتراف المنكر الذى يخزي صاحبه في الدنيا والآخرة ! . . وهل ثمة ظلم بعد الشرك أكبر من أن يفتتح مقرئٌ حفلة غناء بآيات من الكتاب الذى اؤتمن عليه ، والذى يقول منزله تبارك اسمه (لو أنزلنا هذا القرآن على جبلٍ لرأيتَه خاشعاً متصدعاً من خشيةِ الله . . (ألا يعلم هذا المسكين أن هذا عين الافك وجماع الاثم ، وأدني دركات التلاعب بكتاب الله ! . .

يا شيخ محمود . . هذا ما يقوله عنك كل مؤمن يعي آيات الله ، ويفقه تعاليمه سبحانه ، فهل علمت ذلك ؟ . . وهل اتيح لك من يبلغكه يا أبا الأفراج ؟ ! . .

لقد والله احدثت فتقا في الاسلام يتعذر ، اذا لم يستحل ، رتقه بجرأتك على الله ، واقتحامك تلك العَقَبَة الخطيرة ، يوم رضيت لتلك (الهاوية) المغفلة أن تقوم مقام هاتيك الفَينة الصغيرة بنظر كل فاضل ، وان كبرت في منظار كل سفيه غوي من اهل الباطل ، لتتغنى وتتمعج ، كي تستثير إعجاب الغواة الهواة من اذناب الشيطان ، كما فجرت الخمر من قبل مشاعر مدمنيها ، فراحوا ينظمون في مدحها ونعتها أفانين الشعر ، وهم الذين بهم وبأضرابهم دمر الله حصون هذه الأمة في بغداد والاندلس ، إذْ استطاعوا أن يجردوها من مقوماتها ، ويصرفوها عن رسالتها ، فذلَّتْ بعد عز ، وطمع بقهرها كلُّ ذي عجز .

ولو أن أي فارغ من الخلق قدم ابنته لأسماع الغواة وأبصارهم على ذلك النحو ، ولو في موكب من الآيات والذكر الحكيم ، لما كان لفعلته سوى اثر ضئيل ، يذكره الناس ثم لا يلبثون أن ينسوه ، أما أن يقدم على ذلك شيخ أزهرى يسمى في لغة الدواوين شيخ المقارئ المصرية ، فتلك هى البدعة الشنعاء التي سيحمل إثمها وإثمَ من أخذَ بها الى يوم القيامة .

ولعلك قرأت فيما قرأت من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله : « « ومن سن في الاسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها . . » رواه مسلم

وليس كل من ارتكب سوءا يعتبر صاحب سنة سيئة ، او يقال انه احدث فتقا لا يرتق . فالحشاشون كثيرون ، والسكارى اكثر ، وتاركوا الصلاة . . والمنسلخات من آداب الاسلام بالسفور الذي ملأ ديار الاسلام إلا من رحم الله ، هؤلاء كثير كثير . ولكنهم مع ذلك لا يؤلفون السنة التى يلحق وزرُها صاحبَها الى يوم القيامة ، لانهم عديموا الوزن في قسطاس الناس ، فلا يؤبه لهم ولا يُتأسى بهم . . وانما المحدثون المحشورون في زمرة الظالمين لأنفسهم وغيرهم هم الذين يحملون صفة العلم ، ويظن بهم الفقه والفضل . . ومن أحق بأن يكون مظنة العلم والورع — في نظر العامة وأشباههم — من حملة كتاب الله ، الهادين به في بيوت الله ، الشاحنين به أمواج الاثير الى عباد الله ! . . .

اجل يا شيخ محمود . . لقد سبقت كل المبتدعين الى خرق هذا الفتق الرهيب ، لان تاريخ الاسلام لم يعرف قط واحد قبلك ، من كبار القراء او صغارهم ، قدم كريمته للغناء في محافل العابثين ، وفي موكب من آيات الكتاب المبين !

أنا لا أستبعد أن تكون قد ندمت على ما فرطت في جنب الله ، وأسفت على ما أسلفت ، فآليت أن لا تعود لمثلها — كما قيل عن لسانك — ولكن ندمك وأسفك لن يمحوا وزرك الكبير أبدا أبدا ، الا أن تعلن بكل ما وسعك من وسائل الاعلام انك كنت بما فعلت في ضلال ، وانك تشهد الله وعباده على انك اقلعت عنه الى غير رجعة ، وستعمل على تكفيره بكل ما أوتيت من قوة ، رجاء أن يتداركك الله بعفوه ومغفرته . وما أدرى اذا كنت قادرا على ذلك وجارئا عليه . . وحولك من الشياطين من لا يرى في جنايتك بأسا ، بل لا يرى فيها الا سابقة مشكورة الى العمل الصالح ! . .

استمع يا شيخ محمود الى واحدة من فضائل حملة القرآن .

في معركة المرتدين من بنى حنيفة اصابت المسلمين جولة بسبب اختلاط الطلقاء — ذوى الاسلام الحديث — بأهل السابقة العليا من المهاجرين والأنصار ، فكان الرأي

استبعاد الطلقاء عن مباشرة القتال ، وتركه لتلاميذ النبوة الناضجين الصامدين . وعُهد بلواء الإسلام الى خطيب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثابت بن قيس بن شماس رضي الله عنه ، فأراد اخوانه انّ يلهبوا رجولته ، فذكروه قائلين : ان الناس انما يُؤتون من قبل راياتهم ، فحذارِ أن نُؤتي من قِبَلِك ، فدفن ساقيه في الارض ، وهو يقول لإخوانه : « بئس حامل القرآن انا ان أُتيتم من قِبَلي »

ذلك شأن حملة القرآن من سلف هذه الأمة ، ثبات في وجه الكفر كثبات الأرض في وجه العواصف ، وتصميم على التحقق بكل عزائم القرآن حتى الموت .

فقس بهذا الطراز يا شيخ محمود اولئك الذين لا يفقهون من حملهم للقرآن سوى انه وسيلة للارتزاق ، وسبيل الى التنافس على الدنيا ، والحصول على اعجاب الفارغين العاطلين من تلاميذ الشياطين ! .

يا شيخ . . محمود ان الذين يحاربون الاسلام وينخلعون من ربقته كل يوم كثيرون لا يحصرهم إحصاء ، على حين ان الذين يلتزمون سبيله ، ويتفانون في نصرته ، هم الاقلون المضطهدون . . ولكنهم وحدهم السعداء بمرضاة ربهم ، لأنهم الثابتون على عهد نبيهم ، لا يضرهم من خالفهم حتى تقوم الساعة . فإلى أي الفريقين تنحاز يا شيخ محمود ؟ . وبأيهما تلوذ ؟ فاختر لنفسك ، وتذكر انك كادح الى ربك كدحا فملاقيه ، فلن تنفعك فتوى فلان ، ولا تصفيق فلتان ، ولا تهريج علان (يوم يعض الظالمُ على يديه يقولُ : يا ليتني اتخذتُ مع الرسول سبيلاً . ياويلتا ليتني لم أتخذْ (فلانا) خليلا ۲

ان الزلة لكبيرة يا شيخ محمود ، فأدركها بتوبة تغسلها ، واعلن ذلك على الملأ كما اقترفتها على الملأ . . تلك نصيحتي ابعث بها اليك ابراء للذمة ، وتذكيرا بالحق ، فافتح لها صدرك ، وتلقها بمثل الروح التي أملتها ، ولا تكن كذلك الذى (اذا قيل له اتق الله أخذته العزةُ بالإثم)

(ان اريد الا الاصلاح ما استطعت . وما توفيقي الا بالله ، عليه توكلت واليه انيب)

★ ● ★

هذه الكلمات كُتبت في أعقاب السقطة الفاجعة ، وكان من حقها ان تصل اليك يا شيخ محمود على صفحات احدى المجلات الاسلامية منذ ذلك اليوم . ولكن قدّر الله أن تحول الحوائل دون نشرها ، حتى تحمل الى قرائها بعض ذيول القصة التي بدأت بحفلة الذكرى ، ولا يعلم غير الله متى وأين وكيف ستنتهي . .

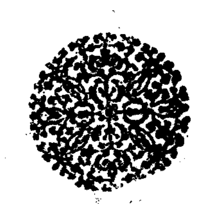
لقد سمحتم للشيطان ان يستحوذ على تلك المسكينة منذ أغفلتم تحصينها بعواصم الاسلام فلم تجد بأساً في الاستجابة لهواتف الغواية تأخذ بخطمها الى مهاوي الأخسرين أعمالاً من (أهل الفن) الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا ، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا وقديما قيل : إن من وضع قدمه في مزلقة الاثم لا يسعه التوقف قبل القاع . وهكذا فُتنت بالغناء ، وغرّها ما قرأته وما سمعت من تمجيد المضللين لأهله ، وإكبابهم على مسجلاتهم يستهلكون معها لياليهم ، حتى يصرعهم سكر الطرب ، فيسلمهم الى نوم لا يذكرون معه ربا ولا واجبا . ووجدت — وربما وجدتم — في حنجرتها نغماً يؤهلها للحاق بركب (النجوم) الذين — واللواتي — استطاعوا أن يفرضوا سلطانهم على قلوب الجماهير العمياء ، التي تكاد تتخذهم آلهة من دون الله ، فيستولون بذلك على ثروات الأمة ، ويسلبوا السفهاء وعيهم ، حتى لا يروا للحياة معنى بغير وجودهم ، فيقتلوا أنفسهم حزناً لفراقهم . .

أجل . . لقد استهوى ذلك قلبها ، اذا كان كالحصن الذي لا حامية فيه ، فلم تلبث أن سقطت في حبالة الشـياطين ، وكانت الخطوة الأولى في هذا المنحدر تلك الحفلة التي أفتاك بها بعضُ المعمّمين من عشاق الطرب ، وباركتها أنت يا شيخ محمود بالتقديم لها في زفة من آيات الله ، ثم ما لبثت الخطى أن تلاحقت في المنحدر ، فإذا هي تتخذ لنفسها اسم (ياسمين الخيام) بدل (إفراج الحصرى) وكأنها بذلك تعلن الحرب على ماضيها الاسلامي نفسه ، بالانتساب الى ذلك العربيد — الخيام — الذي أصبح مطرب المثل في عالم الضياع والدعوة الى الاستهتار . وتبع ذلك ما لا مندوحة عنه من طرح للحجاب ، وعمل مع الفرق الراقصة ، وظهور في المسارح الماجنة . . استجداءً لتصفيق المعجبين ، ومشاركة لصعاليك الفن في تجميع الملايين . . وقد رضيت أن تدفع ثمن ذلك الهُويّ كلّ ذخيرتها من طمأنينة الحياة الزوجية ، وأن يسلبها شططها هذا كل أثر للسكن والمودة والرحمة ، فأشقت الزوج ، وأيتمت البنين ، وتناست موقفها القريب الرهيب بين يدي رب العالمين ! ! ولا عجب فهي

الحصيلة الطبيعية لهذا النوع من الشذوذ عن سبيل المؤمنين . وليست مأساة (البيت الأردني) الذى دمره شطط تلك (الهاوية) الأخرى ببعيدة عن عيني افراج وأبي افراج ، لو كانوا من المستبصرين المعتبرين . .

وأخيراً . . لا أدرى والله بأى كلمة يجب أن أختم خطابي هذا إليك ، أبالدعاء لك بأن يتوب الله عليك ، فيوفقك إلى التكفير عما أسلفت في هذه المأساة من آثار يتعذر رصد عواقبها على الأجْهزة الحاسبة والحاسبين ! . أم أدعو عليك بعقاب يكافئُ ما قدمت لدينك من مَساءَة سررت بها الفاسقين ، وكسرت قلوب المؤمنين ! .

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . .



الفكر
والفلسفات المعاصرة

الاستشراق وجهوده وأهدافه

في محاربة الإسلام والتشويش على دعوته

للدكتور عبد المنعم محمد حسنين ـ كلية الدعوة واصول الدين

مقدمة

الاستشراق حركة ظهرت في العصر الحديث ، وتبدو هذه الحركة علمية في ظاهرها فهى تحاول دراسة التراث الشرقي ، ولكنها في الحقيقة تبغى — من وراء هذه الدراسة التعرف على منابع تراثنا الشرقي ، ثم تحاول صرف أهله عنه ، ليجرفهم تيار الحضارة الغربية الضالة المضللة .

والمستشرقون جماعة من علماء الغرب — من مسيحيين ويهود وملحدين درسوا اللغات الشرقية من عربيه وفارسية وعبرية وسريانية وغيرها ، وتوفر كثير منهم على دراسة اللغة العربية والاطلاع الواسع على علومها ومعارفها ، لاتخاذ هذه الدراسة وسيلة لالقاء كثير من المفتريات والاباطيل في محيط الاسلام للتهوين من شأن الدعوة الاسلامية والتقليل من اثرها في الحياة ، وفي الارتفاع بالمستوى الانساني ، وبدورها في انقاذ الانسانية وتحريرها من العبودية ، واخراجها من الظلمات الى النور .

كما أن هذه المفتريات والاباطيل تحاول التقليل من شأن الثقافة الاسلامية ، ودورها في نشر العلوم والمعارف ، وفي نقل اوربا من العصور الوسطى — عصور الجهل والظلام الى مشارف العصر الحديث ، وما ظهر فيه من علوم ومعارف يفخر بها العالم الغربي .

ويواصل الاستشراق بذل جهوده في محاربة الاسلام والتشويش على دعوته لأن المستشرقين لم يستطيعوا التخلص من نزعاتهم الموروثة واهوائهم المعادية للاسلام بحيث لم يعد خافيا ما يبذله المستشرقون من جهود في محاربة الاسلام بالتشكيك في

مصادره وتلفيق الاباطيل والالقاء بها في ساحة الشريعة الغراء ، ومحاولة اغراق المسلمين بالتيارات الفكرية المضللة ، ومحاربة اللغة العربية التى نزل بها القرآن ، ومساندة الدعوات المضللة التى قامت تحت راية الاسلام ، واستغلال وسائل الاعلام في افساد المسلمين بابعادهم عن دينهم ، والحرص على تضليل ابناء المسلمين الذين يتتلمذون عليهم .

فينبغى أن نبين خطر الاستشراق وجهوده وأهدافه في محاربة الاسلام والتشويش على دعوته ، ويجب أن نكشف الاسلحة التى يستعملها في حربه السافرة والخفية ، والوسائل التى نتقى بها شره ، ونرد بها كيد أعداء الاسلام في نحورهم ، وهذا ما سأحاوله في هذا البحث وبالله التوفيق .

* ● *

أولا : نشأة الاستشراق

يخطئ من يقول ان الاستشراق حركة علمية ، لا هدف لها الا دراسة التراث الشرقي في معتقداته وآدابه ، لان الاستشراق في الحقيقة والواقع خادم للاستعمار وأهدافه ، وهو يتخذ من دراسة التراث الشرقي وسيلة لمحاربة الاسلام ، والتشكيك في مصادره ليصرف المسلمين عن دينهم ، فلا تتحقق لهم قوة ولا عزة ، بل يظلون تابعين للغرب ، مقلدين كل ما في بلاده من الوان الفساد والانحلال .

ان الاستشراق في الحقيقة امتداد للحروب الصليبية ضد الاسلام وحقائقه الناصعه لان الحروب الصليبية لم تنته ، وانما اتخذت اشكالا والوانا مختلفة ، منها الاستشراق ، فالمستشرق يجئ الى الاسلام لابسا العلم في الظاهر ، ومدعيا البحث عن الحقيقة ولكنه في الباطن — قد عقد النية على جمع المطاعن الملفقة عن الاسلام ، فلا يلبث ان يرمى الاسلام بكل ما يحمل صدره من غل ، وينفث قلمه من سم ، فهو يتنكر لمنهج العلم الصحيح الذى من شأنه ان يعرض الحقائق ، وان يترك للناس الحكم عليها ، دون أن يمزجها بمرارة حقده ، ونفثات عداوته ، ودون ان يحاول تشويه هذه الحقائق بصورة من الصور .

والمتتبع لحركة الاستشراق يجد أنه مواكب لحركة الاستعمار الغربي لبلاد الشرق والاسلام ، مما يدل على انه امتداد للحروب الصليبية ، وشكل من اشكالها ، وقد

تنشطت حركة الاستشراق وبلغت أشدها منذ قرنين من الزمان في صورة حركة تابعة لحركة الاستعمار .

والاستشراق مصدر الفعل « استشرق » أى اتجه الى الشرق ولبس زى أهله وقد اتخذ المستشرقون من دراسة لغات الشرق وسيلة للاتجاه اليه ، فدرس كل منهم لغة أو اكثر من لغات الشرق كالعربية والفارسية والعبرية والسريانية وغيرها ، ثم درس بهذه اللغة علوم تلك اللغة وفنونها وآدابها ومعتقدات أهلها ، وكانت اللغة العربية المطلب المقصود عند الكثير من المستشرقين .

وقد اقبل المستشرقون على دراسة اللغة العربية والتخصص في علومها من نحو وصرف وأدب وبلاغة ، ليتمكنوا من اللغة ثم نظروا بعد ذلك في علوم الدين الاسلامى من عقيدة وشريعة لاتخاذ هذه الدراسة وسيلة لتلفيق الاباطيل للتشكيك في حقائق الاسلام ، وصرف المسلمين عن دينهم الذى يهديهم الى طريق التقدم والعزة ، فتتحقق بذلك أهداف الاستعمار في مواصلة احتلال بلاد المسلمين .

وأوضح دليل على صلة الاستشراق بالاستعمار ان سوق الاستشراق رائجة في أوربا وأمريكا في الدول التى لها مصالح في الدول الشرقية بعامة وفي الدول الاسلامية بخاصة وأن هذه السوق أكثر رواجا في الدول الاستعمارية التى تحاول غزو الدول الشرقية بأية صورة من صور الغزو المعروفة في العصر الحديث سواء أكان الغزوا عسكريا أم اقتصاديا أم سياسيا أم ثقافيا ، بل لا تكاد توجد سفارة من سفارات هذه الدول الاستعمارية في دولة من دول الشرق الاسلامية لا يوجد فيها مستشرق ايا كانت رتبته بين رجال السفارة والعاملين بها .

ان ارتباط الاستشراق بالاستعمار وتبعته له ، جعلت الاستشراق يواصل جهوده في محاربة الاسلام والتشويش على دعوته ، ويستعمل كل الاسلحة في حربه ، لأن هذا الدين الحنيف هو السد المنيع الذى يقف في وجه الاستعمار والعبودية لغير الله .

ان المستشرقين يعلمون من دراستهم للاسلام ان العقيدة التى جاء بها ترتكز على أسس ثابتة من الفطرة الانسانية العامه والمنطق العقلى المستقيم ، والنصوص الدينية الصريحة ، بحيث لا يمكن لعقول المفكرين والفلاسفة أن ينقضوا اصلا واحدا من أصولها اذا التزموا منهج العلم الصحيح ، ولذلك يحاول الاستشراق منذ نشأته

التشويش على دعوة الاسلام بتلفيق الاباطيل ، واتخاذ البحث العلمى ستارا يلفقون من ورائه هذه الأباطيل .

وقد صار الاستشراق مظلة لكل اعداء الاسلام من المستعمرين والملحدين وغيرهم ، فاصبح يستظل بها أصحاب العقائد الفاسده الباطلة من الشيوعيين ، وانصار المذاهب الالحادية الانحلالية في العصر الحديث ، فقد جمع هؤلاء بغضهم للاسلام ، لان اساسه التوحيد ، وهو زبدة الرسالات الالهية وغايتها ، ترتكز كلها عليه وتستند في وجودها اليه ، وتبتدئ منه وتنتهى اليه ، فكل رسول افتتح دعوته لقومه بقوله « اعبدوا الله ما لكم من اله غيره » .

والدين فطرة غرزها الله في البشر ، وقد كانوا اول الامر متفقين على التوحيد قبل ان تزين لهم الشياطين عبادة الطواغيت واتخاذ الأصنام .

والعقيدة الاسلامية عقيدة واضحة بعيدة عن اغراق الوهم ، وجموح الخيال ، وتحكم الاهواء ، وهذا ما يسعى اليه العقل في تفكيره الدائب للوصول الى الحقيقة التى ينشدها .

من هنا كان الاستشراق هو المطية التى يركبها أعداء الاسلام لعلهم يستطيعون بهذه الوسيلة التشويش على دعوته التى تتفق مع الفطرة السليمة التى فطر الله الناس عليها .

وقد بذل الاستشراق منذ نشأته جهودا عديدة متواصلة في محاربة الاسلام ، واصطنع وسائل متنوعة في حربه واستفاد من تقصير المسلمين — احيانا — في الدفاع عن دينهم والخداع بعضهم — أحيانا أخرى — بكلام بعض المستشرقين الذين يضعون السم في العسل .

وسأعرض فيما يلى جهود الاستشراق المختلفة في محاربة الاسلام ، والتشويش على دعوته وأبين أهدافه من وراء هذه العداوة الشديدة ، والله غالب على أمره ولو كره الكافرون .

ثانيا : جهود الاستشراق في محاربة الاسلام بسلاح العلم

ينبغي على المهتمين بتوجيه الدعوة واعداد الدعاة أن يكونوا على دراية تامة بالجهود التى يبذلها المستشرقون في محاربة الاسلام لأنهم ــ في الحقيقة ألد أعداء الاسلام .

والمستشرقون يتخذون العلم وسيلة للتشويش على الدعوة الاسلامية ويتسترون وراء ، البحث العلمى ، وهم يلفقون الأباطيل ، ويلقون بها في ساحة الشريعة الاسلامية ، ويحاولون تضليل شباب المسلمين الذين يتتلمذون عليهم ، واقناعهم بآرائهم الفاسدة الخبيثة ، ليشركوهم معهم في الاساءة الى الاسلام دون وعى .

ان ما يكتبه المستشرقون عن رسالة الاسلام ورسول الاسلام يفضح الحقد الدفين الكامن في قلوبهم ، ويكفى أن نذكر ــ على سبيل المثال ــ ما كتبه واحد منهم ــ هو يولد تسيهر لينكشف دورهم في الطعن على الاسلام ، والتشويش على دعوته متخذين العلم وسيلة لما يهدفون اليه ، يقول المستشرق المذكور :

« فتبشير النبى العربي ليس الا مزيجا منتخبا من معارف وآراء دينية عرفها أو استقاها بسبب اتصاله بالعناصر اليهودية والمسيحية وغيرها ، التى تأثر بها تأثرا عميقا ، والتى رآها جديرة بأن توقظ عاطفة دينية حقيقية عند بنى قومه » (١)

وهذا قول آثم ، ردد به هذا المستشرق الحاقد زعما زعمه المشركون منذ أربعة عشر قرنا ، ورد الله تعالى عليه في حينه ، فما ان قال المشركون هذا القول ، حتى فضحهم الله به ، يقول الله تعالى على لسان المشركين « وقالوا ان هذا الا افك افتراه ، وأعانه عليه قوم آخرون » ويردجل جلاله عليهم بقوله :) فقد جاءوا ظلما وزورا » ثم يقول سبحانه على لسانهم : « وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهى تملى عليه بكرة وأصيلا » ثم يرد جل وعلا عليهم بقوله « قل انزله الذى يعلم السر في السموات والارض انه كان غفوار رحيما »

ثم تحداهم سبحانه وتعالى بأن يأتوا بسورة من مثله ، فعجزوا ولم يرفع أحد رأسه يقول جل جلاله : « وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله

١ ـ جولد تسيهر : العقيدةوالشريعة فى الاسلام ، ترجمةالدكتور محمد يوسف موسى وزميله ، ص ١٥ .

وأدعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين ، فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين »

ان جولد تسيهر وأمثاله من المستشرقين أعداء الاسلام يرددون ما كان يردده مشركو قريش من قبل في موقف العناد والكبر ، غير ان مشركي قريش عدلوا عن عنادهم ، ودخلوا في دين الله ، وجاهدوا في سبيل الله ، وكان منهم سيوف الله على رقاب أعداء الله ، أما المستشرقون فمصرون على محاربة الاسلام والتشويش على دعوته با لتشكيك في القرآن الكريم ، والايهام بأنه من عمل محمد صلى الله عليه وسلم ، وأن الرسول كان يتجاوز بعض الوحى القرآني ، وينسخ بأمر الله ما سبق أن أوحاه اليه .

يقول المستشرق الحاقد اللعين جولد تسيهر الذى اتخذناه مثلا لهم « ان الرسول نفسه قد اضطر لتطوره الداخلي وبحكم الظروف التى أحاطت به الى تجاور بعض الواحى القرآني الى وحى جديد في الحقيقة والى أن ينسخ بأمر الله ما سبق ان اوحاه اليه (١) . .

والحقد واضح في مقولة هذا المستشرق ، بل لقد ذهب الحقد بعقله اذ كيف يستسيغ عقل سليم أن يصف محمدا صلى الله عليه وسلم بأنه رسول ، ثم يقول ان هذا الرسول بدل رسالة ربه ، بأمر من ربه لظروف اضطرته الى دلاك ؟ ! . . هل يعقل هذا ؟ ! . . فأى رسول يحمل رسالة الله ، ثم يكذب على الله ، ثم يظل رسولا بعد ذلك ؟ ! أليس ما يقوله ذلك المستشرق اللعين هو الحقد الذى يذهب العقول ويقلب حقائق الأشياء ؟ ! !

ألم يقرأ هذا الحاقد قول الله تعالى ردا على مفتريات المشركين بأن محمد ا يفترى على الله الكذب » ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ، ثم لقطعنا منه الوتين فما منكم من أحد عنه حاجزين (٢) ؟ ! !

ان عداوة المستشرقين للاسلام قد بدت من أفواههم ، ومن كتاباتهم المسمومة ، وما تخفى صدورهم أكبر ، فينبغى أن نقف منهم موقف الحذر دائما ، وأن نكشف زيفهم وبخاصة الذين يصطنعون الحكمة والتعقل ، ويتظاهرون بالاعجاب برسالة

---

١ ــ جولد تسيهر : العقيدة والشريعة فى الاسلام ، ص ٤١
٢ ــ سورة الحاقة : آية ٤٤ ــ ٤٧

الاسلام ليدخلوا على العقول دخول اللص في غيبة الحارس ! ! ويدسوا السم في العسل ، فلتكن عقولنا حاضرة ، ونحن نسمع أو نقرأ لهؤلاء المستشرقين ما يكتبون عن الاسلام ، ولو كان حقا وصدقا فقد تندس كلمة هنا وكلمة هناك ، فتقع موقعا قاتلا لمن لا ينتبه اليها ، ولا يأخذ حذره منها فما أكثر الذين خدعوا من المثقفين من المسلمين بهؤلاء المستشرقين ، وأخذوا مقولاتهم على أنها أحكام قاطعة لا تقبل نقاشا ، فاشتركوا مع المستشرقين في محاربة الاسلام . . ، والتشويش على دعوتهم ، وضل سعيهم ، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ، والعياذ بالله .

ان المستشرقين بعامة قد حاولوا دراسة الاسلام بنية منعقدة على جمع المطاعن الملفقة عن الاسلام ، وهم يتزيون بزى العلم والبحث عن الحقيقة ، غير أن العصبية تغلبهم عن أن يقولوا كلمة الحق ، وان ينطقوا بما في أيديهم من شواهد ، فيكابرون ويلجون في الضلال ، ويرمون الاسلام بكل ما تحمل صدورهم من غل ، وحتى من يقول منهم في الاسلام كلمة حق ، ليبعد عن نفسه تهمة التعصب ، ويلصق بنفسه صفات العالم النزيه الذى لا يداس ولا يدجل ، لا يمكن أن تسلم كتابته من بعض التعليقات المضللة فيجب أن نحتاط ، ونكون على حذر ونحن نقرأ كتابات المستشرقين أو نقتبس منها ، لأنهم لم يستطيعوا التخلص من أهوائهم ، ونزعاتهم الموروثة منذ أيام الصليبين ، فصرفوا جهودهم في محاربة الاسلام ، والتشويش على دعوته ، دعوة الحق ، التى يزهق أمامها كل باطل .

ان الاسلام يواجه عداوات متربصة به من كل جانب ، وان المسلمين في مواجهة حرب من أعدائهم المستشرقين — ورثة الصليبيين — وهذا ما يقتضيهم أن يكونوا على وعى ويقظة ، وأن يتسلح الدعاة منهم بأسلحة الثقافة الواسعة الشاملة ، وأن يتعرفوا على ما عند اعدائهم من أسلحة يحاربونهم بها ، حتى يلقوهم بأسلحة من دينهم ومن تراثهم ليردوا كيدهم ، ويبطلوا تدبيرهم ، وما يريدونه من سوء بالمسلمين وبدينهم ، والله من ورائهم محيط .

وسأعرض في هذا البحث بعض وسائل الاستشراق في محاربة الاسلام ، بتضليل المسلمين ، وصرفهم عن دينهم ولكن الله رد كيدهم في نحورهم وحرس دينه الذى ارتضاه لعباده .

ثالثا : وسائل الاستشراق فى التشويش على دعوة الاسلام

للاستشراق وسائل عديدة في التشويش على دعوة الاسلام ، ينبغى أن يتنبه اليها المسلمون ، حتى يتقوا شر أعدائهم ، ويحبطوا خططهم وسأعرض في هذا البحث أهم هذه الوسائل ، وأكثرها خطورة والله ولى الذين آمنوا .

١ ـ التبشير الصليبى :

ان الشئ الذى يجب أن لا يشك فيه المسلمون هو أن الحروب الصليبيه لم تنته فمنذ خرجت أوربا من ظلام القرون الوسطى تطلعت الى الشرق الذى كان الضعف قد دب فيه ، الأمر الذى جعله فريسة للدول الأوربية ، فاستعمرت أكثر دوله وكانت أوطان المسلمين أول ما أحكمت عليه قبضتها .

وكان الاستعمار الغربي يهدف من وراء السيطرة على أوطان المسلمين الى استغلال هذه الأوطان أرضا وبشرا ، ثم الى محاربة العقيدة واجلائها من قلوب المسلمين ، ومحاولة ما عجزت عنه الحروب الصليبية من قبل ، وذلك لما يعلمه المستعمرون ـ بواسطة أعوانهم المستشرقين ـ من خطر الاسلام على خططهم التى يرسمونها على أساس قتل المعاني الانسانية في الأوطان المستعمرة حتى تموت مشاعر الناس هناك ، فلا يحاول أحد أن يثور في وجه المستعمرين له ، المستغلين لأرضه وجهده ، الأمر الذى لا يصبر عليه المسلم ، الذى يستظل براية التوحيد فلا يخفض رأسه الا لله ، ولا يحنى قامته لغير الله ، وهذا من شأنه أن يبعث في نفسه العزة والكرامة واباء الضيم . ولهذا عمل المستعمرون ـ بواسطة المستشرقين ـ على محاربة الاسلام حربا خفية ، بعد أن حاربوا المسلمين حربا سافرة بالحديد والنار . وظهرت هذه الحرب في صورة تجنيد جيوش من المبشرين بقيادة المستشرقين ، ودفع هؤلاء المبشرين الى بلاد المسلمين ، وحمايتهم بجيوش المستعمرين ، والتمكين لهم من التغلغل في المدن والقرى وامدادهم بالمال ، ليقيموا المستشفيات والملاجئ والمدارس ليتخذوا منها شباكا لتضليل الناس ، مختفين في زى المبعوثين اليهم لانقاذهم من المرض والفقر والجهل باسم المسيح .

وكان مما حاوله المبشرون ـ بتوجيه من المستشرقين ـ محاربة اللغة العربية ـ ، واجلاؤها من الألسنة ، حتى تنقطع الصلة بين المسلمين ، وبين كتاب الله الذى هو

دستور دينهم ، ولسان شريعتهم ، وكان من تدبيرهم لتحقيق هذه الغاية أن أشاروا على المستعمرين بأن يقربوا اليهم كل من يحسن لغتهم ، وأن يمكنوا لهم من تولى المناصب العالية ، الأمر الذى دعا كثيراً من المسلمين الى تعلم لغة المستعمر وحذقها ، في الوقت الذى انصرف هؤلاء المتعلمون عن لغتهم العربية ، معتقدين أن هذا لا ينتقص شيئا من دينهم ، ولا يمس شيئا من عقيدتهم ، وبهذا أصبحت دول كثيرة من الدول الاسلامية التى كان لسانها عربيا لا تكاد تنطلق بتلك اللغة ، ولا تعرف من كلماتها الا ما تؤدى به الصلاة في ركاكة عجمية ، كما كان ذلك مشاهدا في البلاد الاسلامية الواقعة في شمالى افريقية وهذه البلاد تحاول جاهدة — الآن — بعد أن جلا الاستعمار عنها أن تسترد لسانها العربي ، بعد تلك الغربة الطويلة التى أنقطعت فيها الأسباب بينها وبينه .

وقد أستغل المبشرون وصنعهم في البلاد الاسلامية المستعمرة في التشويش على دعوة الاسلام مستفيدين من غياب اللسان العربي ، الأمر الذى أدى الى اضعاف الغيرة الدينية عند كثير من المسلمين ، وتراخى أيديهم عن التمسك بشعائر الدين ، والتأدب بآداب الاسلام والتخلق بأخلاقه .

وقد جهل المستعمرون وأعوانهم من المستشرقين والمبشرين أن السر في فشلهم في حمل المسلمين على التخلى عن دينهم هو أنهم يعملون في اتجاه مضاد لطبيعة الأشياء لأن الاسلام دين الفطرة التى فطر الله الناس عليها ، فلا يمكن للفطرة أن تنفصل عنه ، مهما بذل أعداء الاسلام من الجهد والمال .

وهذا هو السر الذى دخل به الاسلام الى أوطان كثيرة ، فغزا القلوب ، ونفذ الى العقول ، بدون جيوش زاحفة وحملات تبشبرية غازية ، وانما كان الاسلام بذاته هو الذى يفتح أوطانا بأسرها ، على يد بعض التجار الذين لم يكن من قصدهم الدعوة الى الدين ، وانما كانت هذه الدعوة تأتي عرضا في حديث جار فاذا هى تسرى بين الناس سريان العافية في الأجسام العليلة ، واذا الناس على دين الله وعلى فطرة الله .

هكذا دخل الاسلام كثيرا من بلاد افريقية ومن بلاد آسيا ودخل بلادا عديدة في اوربا ودخله كثيرون في أمريكا ، لم يدخل احد الاسلام في تلك البلاد بحملات حربية أو تبشيرية ، وانما دخله طبيعيا ، بدعوة من الفطرة ، لهذا فشلت حملات التبشير في بلاد الاسلام ، وتكسرت نصالهم على صخرة هذا الدين .

لقد كانت أهداف التبشير الصليبي – بعد الحروب الصليبية التشويش على الدعوة الاسلامية لكسب مواقع جديدة من أرض المسلمين ، فلما عجز المبشرون عن بلوغ أهدافهم ، حاول قادتهم من المستشرقين أن يشوشوا على دعوة الاسلام بالقاء الأباطيل والمفتريات في ساحة شريعته الغراء ، خصوصا بعد أن انتشر الالحاد في اوربا وأمريكا بعد أن كشف العلم الحديث للمسيحيين ما في دينهم من أمور لا يقبلها العقل كالتثليث الذى يجعل الاله الواحد ثلاثة : أب وابن وروح قدس . فخشى المبشرون الصليبيون أن يطل الاسلام بوجهه المشرق على اوربا وأمريكا فيجد قلوبا مهيأة له ، وعقولا متجاوبة معه فشجع رجال الكنيسة حركة الاستشراق ، وحمى المستعمرون هذه الحركة ، فكثر عدد المستشرقين الذين يتصلون اتصالا مباشرا بالكنيسة ، ليشوشوا على الدعوة الاسلامية ، لاضعاف سلطان الدين على نفوس المسلمين ، فيقل عزمهم في محاربة الاستعمار وطرده من بلادهم ، فتحقق بذلك أهداف الاستشراق في خدمة الصليبيين والمستعمرين ، لكن الله بالغ أمره « يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم ، والله متم نوره ولو كره الكافرون . (١)

٢ – محاولة اغراق المسلمين بالتيارات الفكرية المضللة :

ومن الوسائل التى يستعملها الاستشراق في التشويش على دعوة الاسلام محاولة اغراق المسلمين بالتيارات الفكرية المضللة ، وتصدير هذه التيارات الى أقطار المسلمين لتضليل الشباب ، وصرفهم عن دينهم ، والتشويش على دعوة الاسلام التى تتفق مع فطرة الله التى فطرهم عليها ، وأهم هذه التيارات الفكرية المضللة مايلى :

أ – المادية :

يتسم العصر الحديث بتحكم المادية في تفكير الناس وفي سلوكهم ، والمادية تنكر المشاعر الانسانية التى يعمل الدين على غرسها وتنميتها في النفوس ، من الرحمة والمودة والعطف والايثار وكل ما يشيع في كيان الانسان من عواطف انسانية نحو أهله وقرابته ومجتمعه والانسانية كلها .

وأخطر ما في المادية أنها تتملق شهوات الناس ، وتأتي اليهم من الجانب الضعيف فيهم ، حيث تميل النفوس دائما الى العاجل من كل محبوب ومرغوب عندها وقد بين الله جل وعلا طبيعة النفس البشرية في كتابه الكريم فقال تعالى :

١ – سورة الصف : آية ٨

« كلا بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة » (١) وقال جل شأنه « ان هؤلاء يحبون العاجلة ويذرون وراءهم يوما ثقيلا » (٢) .

وقد حاول أعداء الاسلام أن يستغلوا هذا الميل الى المادية في تضليل شباب المسلمين عن حقيقة دينهم ، واستفاد الاستشراق في التشويش على الدعوة الاسلامية من أقوال الصوفية الذين ينتسبون الى الاسلام ، فالصوفية يروجون أن الزهد في متاع الدنيا دليل الاتباع الصحيح للدين ، وهذا زعم باطل ، ولكن المستشرقين استفادوا منه في اغراق شباب المسلمين بتيار المادية ، ليشوشوا على الدعوة الاسلامية ويشككوا في مقررات الاسلام .

ان المادية تنكر على الدين الدعوة الى الايمان بما وراء الحس من الايمان بالله وملائكته واليوم الآخر والحساب والجنة والنار وكل ما لا يقع في مجال المدركات الحسية التى هى عمدة العقل المادى في الحكم على الأشياء وقبولها أو رفضها ، أى أن المادية تغرق الناس في الشهوات ليتخذوا من حبها دينا ، وينصرفوا عن دين الحق .

فينبغى على الدعاة الذين يتصدون لرد هذه الدعوة المضللة أن يبينوا للشباب بخاصة أن الاسلام حينما يدعو الناس الى الايمان بالحياة الآخرة ، لا يحرمهم شيئا من طيبات الحياة الدنيا ، بل أنه يطلق كل قوى الخير فيهم ، ليعملوا جادين في كل ميدان من ميادين الحياة وليقطفوا كل طيب من ثمرات عملهم وجهدهم .

ان الاسلام لم يحرم على الناس شيئا من طيبات الحياة الدنيا ، فالله جل وعلا يقول « يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله ان كنتم اياه تعبدون(٣) كما يقول سبحانه وتعالى « يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين » (٤) . ويقول عز وجل « قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق ، قل هى للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة » (٥) ويقول تعالى « من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون » (٦) ان الله دعا الناس الى

---

١ ـ سورة القيامة : آيـــة ٢٠ ـ ٢١
٢ ـ سورة الانسان : آية ٢٧
٣ ـ البقرة آية ١٣٢
٤ ـ المائدة : آية ٨٧
٥ ـ الأعراف : آية ٣٢
٦ ـ النحل : آية ٩٧

العمل الطيب ، ووعدهم بالجزاء الحسن في الدنيا والآخرة ولذلك اطلق الاسلام كل قوة من قوى الانسان الخيرة ، ولم يقف حائلا دون أية رغبة من رغبات الانسان الشريفة فاذا رسم الاسلام للانسان حدودا لا يتعداها ، واذا وضع على طريق مسيرته في الحياة معالم لا يخرج عنها ، فما ذلك الا لضمان سلامة الانسان في تلك المسيرة ، ووقايته من شهوات نفسه التي تقوده الى الهلاك ، أو تلبسه الشقاء الدائم في حياته قبل آخرته ، فمن رحمة الله تعالى بعباده أن أخذهم بأدب هذه الشريعة الغراء ، وأن حرم عليهم الخبائث التي تفسد عقولهم وقلوبهم وتغتال معالم الانسانية فيهم ، وتنزلهم الى عالم الحيوان الذى تريد المادية انزالهم اليه .

ب ـ الوجودية :

تقوم الوجودية على دعوة خادعة ، وهي أن يجد الانسان نفسه بالتحلل من كل ما يربطه بالمجتمع من نظم وقواعد وعادات وتقاليد وأن يطلق نفسه على هواها ، تهيم في كل واد ، وترعى كل ما يصادفها على طريقها من غير وعي أو تفكير أو تقدير لما يأخذ أو يدع من أمور ومن غير تقيد بشئ ما ، فلا دين ولا بيت ولا زوجة ولا وطن .

ان الوجودية ـ في الواقع ـ اخر تيار فكرى أوجدته المادية الحديثة ، فهي دعوة الى عزل الانسان عن عالمه الروحي ، وجعله جسدا حيوانيا ، لا يجد في كيانه شيئا من العواطف والمشاعر الانسانية . يقول بول سارتر زعيم الوجودية المعاصرة

« ان ما ينبغي أن تكون عليه حياة الوجودى هو توديع ما يسميه الجبناء وجدانا وضميرا والاستجابة الى داعي الحيوانية وتلبية كل ما تدعو اليه شهواته ، ونبذ كل التقاليد والتعاليم الاجتماعية وتحطيم القيود التي ابتدعتها الأديان » (١) .

ان الوجودية تفسد طبيعة الانسان ، وتدمر عقله وقلبه وروحه ، وتحوله الى حيوان بلا عقل ولا قلب ولا روح ، فهي دعوة خبيثة انتشرت في ربوع أوربا وأمريكا ، نتيجة لموجة الأنحلال والانسلاخ عن المسيحية التي انتابت هذه البلاد . وقد حركت أصابع الصهيونية تلك الدعوة وأخذ اليهود يروجونها ، لاشاعة الانحلال والفوضى في المجتمعات الأوربية والأمريكية ، ثم حاولوا تصديرها الى بلاد المسلمين بواسطة

---

(١) وليم جيمس : ارادة الاعتقاد ص ١٢١ ترجمة الدكتورمحمود حب الله .

شباب المسلمين الذين يذهبون الى بلاد الغرب طلبا للعلم ، وهم يوهمون شبابنا بأنها دعوة الى التحرر ، ويلعب المستشرقون دورا كبيرا في تضليل شباب المسلمين بهذه الدعوة ليتحرروا من الدين ومن العقل ومن الانسانية وليصيروا كالأنعام أضل فلا يخشى خطرهم على الاستعمار في أى شكل من أشكاله ، فتتحقق بذلك أهداف الاستعمار والاستشراق في محاربة الاسلام والتشويش على دعوته .

فيجب أن نحذر شباب المسلمين من هذه الدعوة الخطيرة ، ونزودهم دائما بزاد كاف من العلم بأمور دينهم ليعصمهم هذا الزاد من الزلل والتأثر بما يروجه أعداء الاسلام من دعوات ضالة مضللة ، يتخذونها وسيلة لمحاربة الاسلام ودعوته التى تخرج الناس من الظلمات الى النور ، وتجعل الانسان أفضل المخلوقات .

جـ ـ العلمانية :

ومن الوسائل التى يشوش بها الاستشراق على الدعوة الاسلامية افهام بعض أدعياء العلم من الذين ينتسبون الى الاسلام بانه يجب الفصل بين العلم والدين وهو ما يسمونه « العلمانية » وهى دعوة من الدعوات الخادعة المضللة لأنها مشتقة من العلم .

والحقيقة أن العلمانية التى يدعو اليها المستشرقون ـ ويعنون بها العلم المنعزل عن الدين ـ حركة ظهرت في أوربا نتيجة للصراع العنيف الذى نشب بين رجال العلم والكنيسة التى كانت بسلطانها القوى في القرون الوسطى متحكمة في العقل الأوربي فلا يقبل فكر أو رأى لايكون مصدره الكنيسة ورجال الدين فيها ، وكان من السلطان الدينى للكنيسة أنها تملك حق الغفران للعصاة ومرتكبى الكبائر من المسيحيين ، كما أن لها ، ـ في أتباعها ـ حق الحرمان والطرد من ملكوت الله ومن ساحة رحمته .

وقد انتهى هذا الصراع بين العلم والكنيسة بانفصال كل منهما عن الآخر ، فالعلم له رجاله ، ولهم في مجال العلم أن يقولوا ما يشاءون دون أن يكون للكنيسة حق مؤاخذتهم ، وللكنيسة رجالها الذين يقولون ما يشاءون في أمور الدين ، دون أن يكون للعلم وعلمائه موقف معهم .

واذا قام هذا الصراع بين العلم والدين في المسيحية ، لأن الكنيسة صادرت كل كلمة يقولها العلم ، وعزلت الدين عن الدنيا فأخذ العلم وجهة غير وجهة الدين ، فانه لا مجال أبدا لأن يقوم مثل هذا الصراع بين العلم والدين في رحاب الاسلام ،

لأن الاسلام يؤاخى بين العلم والدين ، ويجعل الدين علما ، والعلم رائدا هاديا الى الدين ، وكلمة العلم وما يشتق منها من أكثر الكلمات دورانا في القرآن الكريم ، فقد ورد ذكر العلم ومشتقاته أكثر من ثمانمائة وعشرين مرة في الكتاب الكريم .

فالعلم هو رسالة الاسلام ، وبالعلم يعرف الانسان ربه وخالقه ، وما يجب عليه من ولاء لله ، واستقامة على أوامره ، واجتناب لنواهيه ، حيث لا يكون عمل الا عن علم ولهذا كانت دعوة الاسلام الى طلب العلم ، والى الاجتهاد الدائب في طلبه ، يقول الله جل جلاله : « هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون » (١)

ويقول سبحانه وتعالى « يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين وأوتوا العلم درجات » (٢) ويقول عز وجل لنبيه الكريم « وقل رب زدني علما » (٣)

فالدعوة الى العلم دعوة كريمة مستحبة من كل ذى عقل ، لأن العلم سبيل الانسان الى الكمال العقلى والسمو الروحى حيث يميز به الحق من الباطل والهدى من الضلال والخير من الشر والنافع من الضار .

أما العلمانية التى يروج لها المستشرقون فتدعوا الى العلم الذى ينعزل عن الدين فلا مجال لها في الاسلام ، ولا ينبغى أن تظهر في المجتمع الاسلامى ، . . لأن الاسلام جامعة العلم والمعرفة الأمر الذى لا يمكن أن تقوم معه جفوة بين العلم والدين أبدا فلا ينبغى أن يقبل مسلم دعوة الى الفصل بين العلم والدين لأن من يقبل هذه الدعوة يكون جاهلا بحقائق الاسلام ، فلا يكون مسلما ولا عالما .

فينبغى أن نحذر المثقفين من شباب المسلمين من الانقياد الأعمى لمثل هذه الدعوات الضالة المضللة ، ومن الغرق في التيارات الفكرية التى يحاول الاستشراق اغراق المسلمين بها ، للتشويش على عقيدتهم ، وابعادهم عن دينهم الذى به صلاحهم وعزتهم » و« ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين » .

٣ ــ محاربة اللغة العربية :

من الوسائل التى يحارب الاستشراق بها الاسلام ، ويشوش بها على دعوته محاربة

(١) سورة الزمر ٩
(٢) سورة المجادلة : آية ١١
(٣) سورة طه : آية ١١٤

اللغة العربية التى نزل بها القرآن ، وقد لجأ المستشرقون الى هذه الوسيلة بعد عجزهم عن النيل من القرآن الكريم ، فأخذوا يروجون بين المثقفين من المسلمين من تلاميذهم أن اللغة العربية في حاجة الى تطور وتجديد ، وهم يهدفون من وراء دعوتهم هذه الى إضعاف اللغة العربية ، لينصرف المسلمون عنها فتنقطع الصلة بينهم وبين كتاب الله وسنة خاتم الأنبياء والمرسلين عليه الصلاة والسلام .

ان المستشرقين يتهمون اللغة العربية بالعجز عن مسايرة ركب الحضارة الحديثة ويزعمون أن اللغة العربية تعجز بقاموسها اللغوى عن حمل العلوم الفنون التى جاء بها العصر الحديث ، وأن التخلف الذى أصاب المجتمع الاسلامى سببه قصور اللغة العربية وعجزها عن نقل ما جاءت به العقول والقرائح عند الأمم الغربية ، لهذا يجب على أهل العربية – في زعمهم – أن يتركوا هذه اللغة ، ويبحثوا عن لغة أخرى حتى يلحقوا بركب الحضارة ، ويعيشوا مع أهل العصر .

وهذه دعوى باطلة من أساسها ، فاللغة العربية أوسع اللغات وأقدرها على توليد الألفاظ الجديدة ، والدليل على هذا أنها حين خرجت الى ما وراء موطنها العربي – الى دولتى الفرس والروم – استوعبت بألفاظها – من مفردات وتراكيب – كل ما وجدته من حضارات ثم انها مدت ذراعها الى حضارتي اليونان والرومان القديمتين ، فترجمت كل ما أنتجته عقول حكمائها وعلمائها . وكان للتراث العلمى المشرق الذى أنتجته العربية أثره البعيد في تنوير اوربا ، واخراجها من ظلام القرون الوسطى ، وادخالها الى هذا العصر الحديث الذى تفخر به ، فلا يعقل – بعد هذا – أن تعجز اللغة العربية عن نقل العلوم والفنون التى جاء بها العصر .

وقد لقن المستشرقون بعض تلاميذهم من المسلمين الدعوة الى العدول عن الكتابة بالحروف العربية الى الحروف اللاتينية بحجة أن عملية الطباعة بالحروف العربية شاقة بطيئة لأن لكل حرف صورا عديدة بحسب موقع الحرف في الكلمة أما كتابة الكلمات العربية بالحروف اللاتينية فانها لا تحتاج الى جهد ووقت لأن الحروف تكتب متفرقة على صورة واحدة مهما اختلف موقع الحرف في الكلمة .

وهذه دعوة خبيثة ، تهدف الى قطع الصلة بيننا وبين تراثنا القديم اذا طال الزمن وأصبحت الكتابة الافرنجية هى التى تعلمتها الأجيال المتعاقبة ، وصارت هى طريقها الى القراءة والكتابة فاذا رجع واحد من أبنائنا الى كتاب مكتوب بالحروف العربية

لا يحسن قراءته ، وبذلك تطوى صفحة مكتبتنا العربية التي تضم موروثنا من العلوم والمعارف في الدين واللغة وفنون العلم المختلفة .

كما أن في اللغة العربية حروفا لا مثيل لها في الحروف اللاتينية مثل الثاء والحاء والطاء والعين والقاف ، وهذه الحروف لا يتيسر النطق بها نطقا سليما بالحروف اللاتينية ، فالدعوة الى العدول عن الكتابة بالحروف العربية الى الحروف اللاتينية تهدف في الحقيقة الى إضعاف العربية لغة القرآن ، ومحاربة الأسلام بهذه الوسيلة .

كما لقن المستشرقون بعض تلاميذهم من العرب الدعوة الى استعمال اللغة العامية بدل الفصحى بحجة أن الفصحى لا تستعمل في الحياة العامة حتى بين المثقفين أنفسهم فهى في واد والحياة في واد آخر ، وهى دعوة ظاهرة البطلان ، لأن اللغة الفصحى هى التي يفهمها من يتكلمون العربية جميعا من مثقفين وغير مثقفين فالعامة حين يستمعون الى آيات القرآن يفهمون دلالتها ، وما تحمل من أوامر وزواجر وقصص ومواعظ ، أما اللغة العربية العامية فلا تفهم الا في نطاق ضيق بين المتحدثين بها في اقليم بعينه . وليس عجيبا أن تختلف العامية في بلد عنها في بلد آخر من بلاد اللغة الواحدة فالانجليزية تختلف عاميتها في انجلترا عنها في أمريكا وهكذا . . وهذه الدعوة لا تهدف في الحقيقة الا الى محاربة الاسلام ، لأن اللغة العربية الفصحى هى لغة القرآن الكريم ، كتاب هذا الدين الذى يربط بين أتباعه برباط متين ، كما أنها اللغة الوحيدة التي يلتقى عنها أهل العربية في جميع أقطارهم في مجال العلوم والآداب والفنون ، وفي أخذهم من تراثهم الرائع في فروع المعرفة المختلفة .

وقد لقن المستشرقون — أيضا — بعض تلاميذ هم من العرب الدعوة الى ترك الاعراب وتسكين أواخر الكلمات العربية تسكينا لازما في جميع الأحوال شأنها في ذلك شأن اللغات الأوربية بحجة أن هذا الأمر ييسر تعلمها ، ويجعل متعلمها في مأمن من الخطأ .

وهذا دعاء باطل يراد به هدم اللغة من أساسها ، ومحاربة الاسلام ، اذ كيف يقرأ كتاب الله جل جلاله وتقرأ أحاديث الرسول صلوات الله وسلامه عليه ؟ !

ان الاعراب في اللغة العربية هو أعظم مميزاتها عن اللغات الأخرى ، ويكفى اللغة العربية شرفا أنها حملت المعجزة التي عجز الانس والجن عن تحديها ، وبهذا

استحقت هذا الوصف الكريم من الله تعالى في قوله جل شأنه : « نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين » (١) .

فليس هناك شك في أن محاربة الاستشراق للغة العربية ومحاولاته العديدة للقضاء عليها أو اضعافها انما هى محاربة للاسلام وتشويش على دعوته .

وينبغى على الدعاة أن يدافعوا عن دينهم وعن اللغة التى يتعلمون بها أمور هذا الدين الحنيف حتى يردوا سهام المستشرقين الى نحورهم « والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون » (٢)

رابعا : العوامل التى تساعد الاستشراق فى محاربةالاسلام

يستفيد الاستشراق في محاربته للاسلام وتشويشه على دعوته من مختلف الأسلحة والوسائل التى تمكنه من بلوغ أهدافه التى أهمها صرف المسلمين عن دينهم حتى لا تقوم لهم قائمة ، ويستغل الاستشراق ما يجده في المسلمين من عوامل الضعف ، فيستفيد من هذه العوامل ويتخذ منها أسلحة يحارب الاسلام بها ، ويشنع بها على دعوته وسأحاول هنا — بعون الله — أن أبين أهم تلك العوامل الموجودة في الأمة الاسلامية — الآن — والتى تشبه الثغرات في صفوف المسلمين بحيث يستطيع المستشرقون أعداء الاسلام والمسلمين وورثة الصليبيين أن ينفذوا منها ، ويستفيدوا منها في التشويش على الدعوة الاسلامية :

١ — الدعوات المضللة التى قامت تحت راية الاسـلام :

يستغل المستشرقون ما يبدو من قول أو فعل من بعض الدعوات المضللة . التى تنتسب الى الاسلام . في الاساءة الى الاسلام والتشويش على دعوته ، ومن هذه الدعوات المارقة المضللة التى قامت تحت راية الاسلام ، وأساء أتباعها بمقولاتهم وسلوكهم اليه الصوفية والبهائية والقاديانية .

أما الصوفية فقد زعموا أنهم يريدون سلوك الطريق الى الله عز وجل ولكنهم بدل أن يسلكوا طريق الكتاب والسنة — الذى لا طريق غيره — راحوا يشرعون لأنفسهم من الدين ما لم يأذن به الله تعالى ، ويصنعون لأنفسهم قواعد للسلوك ،

(٢) سورة يوسف : اية ٢١ ١٩٣ — ١٩٥
(١) سورة الشعراء : ايـــة

تقوم على الزهد والحرمان ورياضة النفس ومجاهدة الشهوات ، ولما وجدوا أن المنهج الاسلامى القائم على الاعتدال والتكامل ومحاربة الغلو والتطرف لا يشبع نزعاتهم السلبية الغالية ، اقتبسوا من الديانات والمذاهب الأخرى وادعو الأنفسهم أحوالاً وواردات ومواجد وأذواقا لا يعرفها الدين وما زال الشيطان بهم يصور لهم من الخيالات مالا حقيقة له حتى أوقعهم في القول بالحلـول ووحدة الوجود وأفضى بهم الى القول بالجبر وبطلان التكليف والتسوية بين الطاعات والمعاصى ، والايمان والكفر ، بدعوى شهود الربوبية في كل موجود (١) .

أما البهائية فقد ظهرت في ايران في القرن الماضى نابعة من الفكر الشيعى فقد بشر الشيرازى الملقب بالباب بقرب ظهور الامام الثاني عشر محمد بن الحسن العسكرى الذى ينتظر الشيعة الامامية الاثناعشرية ظهوره، ثم ظهر كذب الباب عند الشيعة حينما قال إن الامام الغائب سيظهر في تبريز بآذربيجان ، والشيعة يعتقدون أنه سيظهر في مشرق ايران عند جبل يسمى « كوه خدا » أى « جبل الله » فقبضت السلطة على الباب وحوكم ، وأعدم ، وأعان قبل اعدامه ، أن الامام الذى يقصده هو تلميذه حسين صبح أزل الملقب ببهاء الله ، فسميت الدعوة البهائية نسبة الى بهاء الله هذا ، الذى خرج هاربا من ايران ، وزعم أنه نبي أرسل بدين جديد ، مجدد للاسلام ، كما زعم أن كتابا نزل عليه ، وأخذ يدعو لهذه الدعوة المارقة المضللة حتى مات ودفن في فلسطين وقبره في الجزء المحتل منها .

ودعوة البهائية شبيهة بالشيوعية ، فهى تدعو الى التحلل من الدين وترك الحرية للمرأة تفعل ما تشاء ، وتقسم السنة الى تسعة عشر شهرا ، فهى في الحقيقة انسلاخ عن الاسلام وطمس لمعالمه .

وقد ساند الاستعمار وأعوانه من المستشرقين هذه الدعوة ، ليستعينوا بها في تزييف حقائق الاسلام فألفوا كتبا بلغات مختلفة لشرح عقيدة البهائية . (٢)

وأما القاديانية فهى دعوة مارقة مضللة ظهرت في بلاد الهند في أواخر القرن الماضى ، وهى تقوم تحت راية الاسلام ، وقد دعا اليها ميرزا غلام أحمد وكان

---

(١) يمكن الرجوع الى كتاب فصوص الحكم لابن عربى وهـــو من القائلين بوحدة الوجود لتبين ما انتهى اليه امر الصوفية مـن الضلال والالحاد

(٢) ابو الحســـن الندوى : القادياني والقاديانية ، ص ١٩ وما بعدها .

مركزها الهند ، وأتباعها من مسلمى الهند ، ثم امتدت الى خارج الهند ، فظهرت في بعض الدول الآسيوية والافريقية وساندها الاستعمار والاستشراق .

وقد ظهرت هذه الحركة في وسط جو فكرى وسياسى عاصف اجتاح بلاد الهند في أعقاب ثورتها على الاستعمار الانجليزى في سنة ١٨٥٧ ، فقد أصابت المسلمين بعد اخفاق هذه الثورة وحشة الفتح ونكبة الهزيمة ، وعانوا وطأة الاستعمار السياسى ووطأة الاستعمار الثقافي ، وقامت الدولة الانجليزية المنتصرة بنشر ثقافتها وحضارتها في محاولة لزعزعة العقيدة الاسلامية ، واضعاف الثقة بأسس العقيدة ومصادر الشريعة (١) لأن الدين الاسلامى هو الدين الوحيد في الهند الذى كان يدعو الى الجهاد في سبيل الدفاع عن الدين والوطن والعرض والمـــال .

وقد أستغل الاستعمار — أيضا — المحترفين للتصوف في نشر شطحاتهم وخرافاتهم فاستولى على مسلمى الهند اليأس والقاق ، ثم استسلموا للأوضاع الفاسدة ، وأخذوا يتطلعون الى منقذ ينقذهم من الحيرة واليأس ولو بالخرافات والأباطيل .

وفي وسط هذا الجو الفكرى العاصف دعا ميرزاغلام احمد الى القاديانية ، وكان غلام أحمد هذا من امارة البنجاب ، وكان والده من أصحاب الاقطاعات ، ومن ذوى . . النفوذ في قومه ، كما كان من صنائع الانجليز ومن أخلص الدعاة لهم .

وقد عرف عن غلام احمد أنه كان في مطلع شبابه متصوفا ، ثم ترك العزلة ، ودخل في معترك الحياة ، ونصب نفسه للمناظرات والمجادلات في أمور الدين ، فلفت الانظار اليه فاجتمع كثير من العامة عليه ، وأكتسب شهرة وصيتا ذائعا في أوساط المسلمين ، فسولت له نفسه انه ملهم من الله ، فأخذ يتحدث للناس بما زعم أنه ينزل عليه من الهامات ، ويذكر لهم آيات قرآنية وأخرى محرفة ، يحسبها من لا يحفظ القرآن قرآنا ، وفي هذا تلبيس وتدليس وكيد عظيم ، لتحريف القرآن الكريم .

ولم يقف غلام احمد عند هذا الحد بل ادعى أنه نبي يوحى اليه ، وأخذ ينشر مفترياته (٢) متخذا الدين مدخلا يدخل به الى قلوب أتباعه ، ليخدم بذلك أغراضا

---

(٢) توجد كتب فى شـــرح البهائية بالانجليزية والفرنسيةوالفارسية والعربية .
(٢) من يريد مزيدا مـــــن المعلومات فليرجع الى كــــتاب الندوى المذكور

سياسية ، وينفذ خططا رسمها له المستعمرون ، فالى جانب ما تتركه هذه الدعوة المجرمة من افساد للعقيدة الاسلامية في عقول من يصيبهم شررها ، فانها حملت في ثناياها دعوة الى ابطال الجهاد الذى هو فرض على المسلمين ، حين تدعو دواعيه وتقوم أسبابه وبهذا مكن للاستعمار ، ودفع عنه كل ما كان يتهدده من ثورة المسلمين في الهند على وجوده .

« يقول غلام احمد في كتاب نشره على الناس تحت عنوان « ترياق القلوب » :
لقد قضيت معظم عمرى في تأييد الحكومة الانجليزية ونصرتها ، ولقد الفت في منع الجهاد ووجوب طاعة أولى الأمر (الانجليز) من الكتب والاعلانات والنشرات ما لو جمع بعضها الى بعض لملأ خمسين خزانة وقد نشرت هذه الكتب في البلاد العربية ومصر والشام وتركيا وكان هدفي دائما أن يصبح المسلمون مخلصين لهذه الحكومة « الانجليزية » وتمحى من قلوبهم قصص المهدى السفاك والمسيح السفاح والأحكام التى تبعث فيهم عاطفة الجهاد ، وتفسد قلوب الحمقى »

وهذا يدل على أن غلام احمد كان يتخذ دعوة القاديانية وسيلة لتثبيط عزائم المسلمين في الهند حتى لا يثوروا على المستعمرين وحتى يرضوا بالذل والعبودية ، أى أن . . القاديانية منذ نشأتها صنيعة للاستعمار وأعوانه ، وهذا هو سر بقائها بعد وفاة غلام احمد في عام ١٩٠٨ فمازال خلفاء غلام احمد ينشرون دعوتهم بين المسلمين في حركة نشيطة يغذيها أعداء الاسلام بالمال والأفكار ، ويفتحون لها الفروع في اوربا وآسيا وافريقية على أنها داخل اطار الدعوة الاسلامية ، ويتعاون في نشرها الاستعمار والاستشراق والصهيونية .

ان القاديانية ، وهى تنتسب زورا الى الاسلام ،وهى أخطر سلاح يوجه الى صدر الاسلام ، حيث يتخذ منها أعداء الاسلام دعاة لهم ، يضعون على أفواههم ما يريدون وما يدبرون من كيد للاسلام والمسلمين ، بالتشويش على دعوة الاسلام والله من ورائهم محيط .

٢ ـ وسائل الاعلام تشارك الاستعمار فى محاربة لاسلام :

ان وسائل الاعلام بصورتها الحالية في الاقطار الاسلامية تتعاون مع الاستشراق في محاربة الاسلام والتشويش على دعوته ، فقد أصبح المجتمع الاسلامى يواجه

غزوا رهيبا - محملا بعوامل الافساد للمسلمين - من وسائل الاعلام من جرائد ومجلات واذاعة مسموعة ومرئية وأفلام سينمائية ومسرحيات وغيرها ، وخطورة هذا الغزو أنه يدخل الى العقول والقلوب دون أن يلتفت الكثير من المسلمين الى ما قد دخل عليه من أفكار قد يكون بعضها مسموما مما يروجه المستشرقون أعوان الاستعمار ضد الاسلام ، محاربة له وتشويشا على دعوته .

ان وسائل الاعلام عدو خفي يحارب المسلمين بالكلمة والصورة والفكرة ، وهي أسلحة أشد خطورة من الجيوش الزاحفة ، والمدافع المنطلقة ، التي يعرف المسلمون منها وجه العدو الذي يغزوهم .

والشيء المؤسف حقا أن المسلمين في سائر أقطارهم لا ينتبهون الى خطورة وسائل الاعلام ، كما أن الدعاة لا ينبهون الى خطورتها تنبيها كافيا لتحويلها الى أدوات بناء للمجتمع الاسلامي بدلا من كونها أدوات هدم وتدمير .

ان وسائل الاعلام تنشر كثيرا من الوان الفساد والانحلال والالحاد بما تنقله من صورة الحياة في الأقطار الأوربية والأمريكية التي انتشر فيها الالحاد في العصر الحديث نتيجة لاستخفاف الناس بالدين ، بعد أن كشف الناس من متناقضات في المسيحية وفي اليهودية لايقبلها عقل مستنير ، ولا يستريح اليها ضمير حي ، في حين أن الاسلام ليس فيه متناقضات فمن نظر فيه بعقله وجاء اليه بجميع وسائل العلم ، وجد أنه الحق الذي يلتقي مع العقل التقاء مؤاخيا ، وهو يدعو المؤمنين به الى العزة والجهاد دفاعا عن دينهم وأوطانهم وأموالهم وأعراضهم ، الأمر الذي يشكل خطرا على الاستعمار وخططه ضد العالم الاسلامي ويجعله يستغل وسائل الاعلام في تصدير عوامل الافساد للأقطار الاسلامية لصرف المسلمين عن دينهم ، والتشويش على الدعوة الاسلامية .

٣ - الحط من شأن العرب الجاهليين :

ومن العوامل التي تساعد الاستشراق في محاربة الاسلام والتشويش على دعوته أن كثيرا من المثقفين من المسلمين أصبحوا يسايرون المستشرقين في الحط من شأن العرب الجاهليين ظنا منهم أن في هذا خدمة للاسلام ، وهم مخطئون كل الخطأ ، فلقد رمى المستشرقون العرب بتهم مماثلة ، فصوروا حياتهم في الجاهلية ، وكأنهم

وحوّش ضارية ، تعيش في أرض قفر ، ومكان جديب ، فكانت قلوبهم أقفر من أرضهم ، ومشاعرهم أكثر جدبا منها . . هكذا يتحدث المستشرقون عن الأمة العربية في جاهليتها ، ليخلصوا الى القول بأن الاسلام دين بداوة ، لا يصلح في أحكامه وتشريعاته الا في تلك المناطق المتبدية المتوحشة المقفرة ، فهو — كما يزعمون — ليس الدين العالمى الذى يصلح عليه أمر الناس في البدو وفي الحضر ، وفي الحاضر والمستقبل .

وقد خدع بهذا القول كثير من المسلمين الذين تصدوا للرد على هؤلاء المستشرقين فسلموا لهم بما قالوه في العرب الجاهليين ، وفي أن الأمة العربية لم تكن شيئا قبل الاسلام ، وهذا القوم فيه حق ولكن فيه باطلا — أيضا — أما الحق فيه فهو أن الاسلام قد ارتقى بالعرب الى درجات عالية في عالم الفضائل والكمالات ، وجعلهم في سنوات قليلة قادة الأمم وأساتذة الشعوب ، وبناة الحضارة في كل موقع نزلوا فيه .

وأما الباطل في ذلك القول فهو أن الأمة العربية لم تكن خلوا من الفضائل ، فقد كانت تحمل في كيانها أسلم القلوب ، ويكفيها فخرا أن الله تخيرها ، كما تخير موطنها ، وكما تخير بنيها ، لتكون هذه الأمة مطلع شمس دين الاسلام ، وأفقه الذى يشع منه نوره على هذا العالم .

وقد وجد الاسلام في الأمة العربية كثيرا من الفضائل التى زكاها ، وأبقى عليها مثل حماية الجار واغاثة الملهوف ونصرة المظلوم ، واكرام الضيف والغيرة على الحرمات من أموال وديار وأعراض ، فكان ذلك ركيزة للأخلاق الفاضلة التى بنى الاسلام عليها دولته .

فوصف الأمة العربية بالسوء ، وتجريدها من كل فضيلة لا يتفق مع الحق ، وهو تقليد لما يقوله المستشرقون ليتخذوا منه سلاحا يحاربون به الاسلام ، ويشوشون به على دعوته ، وينبغى أن يتنبه المسلمون الى هذا جيدا ، وأن يحذروا التقليد والانخداع بأقوال المستشرقين أعداء الاسلام .

ومن الحق أن نقرر هنا أن الثقافة الاسلامية ، هى في صميمها ثقافة عربية ، برسولها العربي ، وعربية بلسانها الذى نزل به القرآن دستور شريعتها ، وعربية

بعروبة من استقبلوا دعوتها ورفعوا رايتها ، وأذنوا بشريعتها في العالمين ، وعربية بالوطن العربي الذى طلعت فيه شمسها ، وتجلت فيه آياتها ، وذلك ما يشير اليه قول الله تعالى « الله أعلم حيث يجعل رسالته » (١) . ومن فضل الله على العرب أن جعل محمدا — صلى الله عليه وسلم — خاتم الأنبياء والمرسلين عربيا ، و جعل رسالة الاسلام خاتمة الرسالات وجعل أهلها الأمة العربية ، فكانت أكمل رسالة ، في يد أكمل الرسل في خير الأمم ، فكل محاولة للتهوين من شأن العرب ، والحط من قدر العرب الجاهليين مجاراة للمستشرقين في محاربة الاسلام بكل وسيلة .

فينبغى على المسلمين في جميع أقطارهم أن يسدوا الثغرات التى تمزق صفوفهم وتمكن المستشرقين من اتخاذها وسيلة للتشويش على الدعوة الاسلامية .

وأختم هذا البحث ببيان الوسائل التى نحارب الاستشراق بها ، حتى نفسد خططهم ونرد كيدهم في نحورهم ، ونردهم على أعقابهم خائبين خاسرين ، وبالله التوفيق

◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆

خامسا : الوسائل التى نحارب بها الاستشراق :

ان ما يقوم به الاستشراق من حرب سافرة وخفية ضد الاسلام لصرف المسلمين عن دينهم يجب أن يقابل بوسائل قادرة على دحر أعداء الاسلام ، وكشف زيفهم وأباطيلهم وفضحهم بها ولهذا كان من مهمة الدعوة الأسلامية اليوم أن يعمل دعاتها في ميدانين في وقت واحد أحدهما دفاعى والآخر تبليغى .

أما الميدان الدفاعى :

ففيه يرد الدعاة على حملات المستشرقين على الاسلام لمحاولة تشويه حقائقه ، والقاء ظلال مزيفة من التهم عليه ، والتشكيك فيه ، حتى ينصرف المسلمون عن دينهم ، وحتى يتوقف الذين يبحثون عن الاسلام لاتخاذه دينا يملأ الفراغ الدينى الذى خلت نفوسهم منه .

ويحتاج هذا الميدان الى أجهزة متخصصة ، ودعاة متخصصين ذوى كفاءات عالية في العلم ، ومنازل كريمة في الخلق والسلوك ، دعاة ينذرون أنفسهم للدفاع

---

١ ـ سورة الانعام : آية ٢٤

عن دين الله مهما كلفهم هذا الدفاع من تضحيات ، وان أولى العزم والايمان هم وحدهم الذين يقفون هذه الوقفة لله .

ان العاملين في ميدان الدفاع عن دين الله يجب أن يكونوا على درجة عالية من الفقه في دينهم ، وعلى جانب كبير من العلم والاحاطة بما كتبه أعداء الاسلام من المستشرقين وأشباههم ، ولا تتيسر لهم هذه الاحاطة الا اذا كانوا على قدر كبير من الالمام باللغات الأجنبية كالانجليزية والفرنسية والألمانية والروسية ، فيجب أن يتكون العاملون في ميدان الدفاع عن دين الله من جماعات ، تتقن كل جماعة منها لغة أجنبية الى جانب درجتها العالية من الفقه في الدين ، وبهذا يستطيع المدافعون عن دين الله أن يصرعوا أعداء الاسلام ، وأن يفضحوا أكاذيبهم ومفترياتهم وما لفقوا ويلفقون من أباطيل للتشويش على الدعوة الاسلامية .

أما الميدان التبليغي :

ففيه يقوم الدعاة بالدعوة الى دين الله في المواطن التى خلت من الدين ، وفي المواطن التى خف ميزان الدين فيها ، فالناس في هذه المواطن في ربوع العالم المختلفة يبحثون عن دين يجدون فيه الحق الذى يلتقى مع الفطرة الكامنة في كل نفس ، ومع العقل المتشوق الى الحق ، الباحث عن الحقيقة .

ويحتاج هذا الميدان الى دعاة يفقهون أمور دينهم بدرجة كبيرة ، ويكونون على جانب كبير من الفطنة والذكاء ، ويتكونون من جماعات تتقن كل جماعة منها لغة أو أكثر من اللغات الرائجة في أوربا وأمريكا وآسيا وافريقية كالانجليزية والفرنسية والفارسية والاردية ، حتى يحقق العاملون في هذا الميدان الغاية المرجوة ويصلوا الى الهدف المنشود .

ان العلم والفقه في الدين والذكاء والفطنة وسائل لا غنى عنها في التصدى للاستشراق ومواجهة أعداء الاسلام أيا كانت أسماؤهم وصورهم وأشكالهم ، لأن الذى يعرض حقائق الاسلام ان لم يكن على مستوى عال من العلم والفقه والذكاء والفطنة كان ضرره أكثر من نفعه في هذا المقام .

فيجب أن نعد الدعاة الذين يفون بالمطلوب لدعوة الاسلام اليوم في ميدانيها الدفاعى والتبليغى ، وهنا نتساءل : هل أدى المسلمون حق دينهم عليهم ، وهم

يعلمون أنه الحق من ربهم ؟ . الحق أن المسلمين مقصرون متهاونون في أداء هذا الواجب الذى يفرضه الدين عليهم . ان الدين دعوة ، ولابد لهذه الدعوة من دعاة يبلغونها الى الناس ، ويكشفون لهم عن وجه الحقائق فيها ، وهذه هي الحكمة من ارسال رسل الله الى الناس مع ما يحملون اليهم من رسالات الله ، والا لوقف الرسول بمهمته عند وضع الرسالة بين أيدى الناس دون أن يقطع عمره كله واقفا عليها ، مناعا عنها متحملا الاذى والضر في سبيلها ، ثم كيف يكون هذا موقفنا والله قد أناط بنا حمل أمانة الدعوة الى دينه ، فقال جل وعلا : « ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون » (١) .

والدعوة الى دين الله أمر مطلوب من كل مسلم ، وذلك بسيرته المحمودة في الناس، وبخلقه الكريم ، وسلوكه الطيب الذى يراه غير المسلمين عنه ، في أقواله وأفعاله ، فان الدين بأهله ، والناس انما ينظرون الى الدين فيما يرون من آثاره في المتدينين به ، قبل أن ينظروا اليه في حقائقه ، فينبغى على أولى الأمر في الأقطار الاسلامية أن يحسنوا اختيار المبعوثين الى أوربا وأمريكا من الطلاب وغيرهم لانه كثيرا ما يسئ هؤلاء المبعوثون الى الاسلام بسوء سلوكهم ويصيرون أخطر على الاسلام من أعدائه .

أما الدعاة المتخصصون العاملون في الميدانين الدفاعى والتبليغى فيجب عليهم أن يبينوا للناس حقائق الاسلام ، لأن بيان هذه الحقائق كاف لاخماد أصوات أعداء الاسلام مهما كانت مرتفعة ، كما أنه كاف لاحباط خطط هؤلاء الأعداء الذين يقف المستشرقون في مقدمتهم .

وينبغى أن يبين الدعاة للناس أن الاسلام دين الفطرة ، وأنه هو المثل الأعلى للانسانية ، لانه حرر العقل وأطلقه من عقاله اطلاقا يعود على الانسانية بكل خير ، ودفع الناس دفعا ليتفكر في الكون ليسموا الجانب الروحى ، وليفكر في تسخير الأشياء للانسان ليرتقى الجانب المادى .

ويجب أن يبين الدعاة للناس أن الاسلام حرر الانسانية من ظلم البشرية وتناقضاتها ووحد القوى الانسانية التى تقود العالمين الى السعادة القصوى ، ولذلك ختم الله به

١ سورة آل عمران : آية ١٠٥

الديانات السماوية ، وجعل نبي الاسلام صلوات الله عليه آخر لبنة في بيت النبوة العتيد ، فتم بها بناؤه ، وكمل بها رواؤه .

وينبغي على الدعاة أن يبينوا للناس أن الاسلام هو النظام الالهى الكامل الذى لا يمكن للانسانية في سعيها المتصل لبلوغ الكمال الانساني أن نجد أرقي منه في جميع مجالات الرقي ، عقليا ونفسيا وخلقيا وعاطفيا وروحيا وماديا وفرديا واجتماعيا .

ويجب أن يبين الدعاة أن الدين كله لله فهو الذى يتعبد عباده بما يشاء ، ويشرع لهم من الأحكام والحدود والفرائض والآداب ما اقتضته حكمته مما يعلم أن فيه صلاحهم وسعادتهم ، فلا يجوز لأحد أن يزيد في دين الله ما ليس منه ، أو ينقص منه ما هو منه . وأن دين الله واحد ، وهو الاسلام الذى بعث به رسله وأنزل به كتبه ، وأن الأنبياء كلهم أخوة دينهم واحد وأمهاتهم شتى ، وأن الواجب الايمان بهم وما أنزل اليهم جميعا ، قال الله تعالى : « آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا واطعنا غفرانك ربنا واليك المصير (١) .

ينبغي أن يبين الدعاة للناس أن العقيدة الاسلامية تقوم على الايمان بالله الها واحدا لا تنبغى الالهية الا له ، وعلى الايمان بأن له وحده الأسماء الحسنى والصفات العليا .

ويجب أن يبين الدعاة للناس أن الايمان باليوم الآخر وبالبعث والجزاء مما يقتضيه العقل ، تحقيقا لقاعدة العدل ، اذ ليس في المعقول ولا في الحكمة أن تكون هذه الحياه القصيرة هى الغاية من خلق هذا العالم الكبير ، وأن تكون نهاية المؤمن والكافر سواء ونهاية الظالم والمظلوم سواء ، ونهاية البر والفاجر سواء ، قال الله تعالى : « وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجار » (٢) .

١ ـ سورة البقرة : آية ٢٨٥
٢ ـ سورة ص آية ٢٧ ـ ٢٨

وقال سبحانه : « أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون » (١) .

فاذا علم كل انسان انه مسئول عما قدم وأن سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الأوفي « فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره » (٢) . سلك في حياته سبيل الجادة وحاسب نفسه بنفسه ، فلا يمكن أن يصبر على ذنب ارتكبه ، ولا أن يقصر في أداء ما وجب عليه ، وبهذا تستقيم الأمور في هذه الحياة .

فاذا بين الدعاة أن العقيدة الاسلامية ترتكز على أسس ثابتة من الفطرة الانسانية العامة ، والمنطق العقلى المستقيم والنصوص الدينية الصريحة ما استطاع عدو للاسلام من المستشرقين وأشباههم أن يقف في وجهه ، أو يشوش على دعوته .

وهذه هى الوسائل التى يستطيع المسلمون أن يواجهوا بها أساليب الاستشراق ويحبطوا بها جهوده في محاربة الاسلام والتشويش على دعوته ، ويحولوا بينه وبين الوصول الى أهدافه التى أهمها اضعاف المسلمين بصرفهم عن دينهم .



١ ـ سورة الجاثية : آية ٢١
٢ ـ سورة الزلزلة : آية ٧ ـ ٨

خاتمــة

ان كشف الجهود التى يبذلها الاستشراق في محاربة الاسلام بكل سلاح وبأية وسيلة أمر لازم لتوجيه الدعوة واعداد الدعاة .

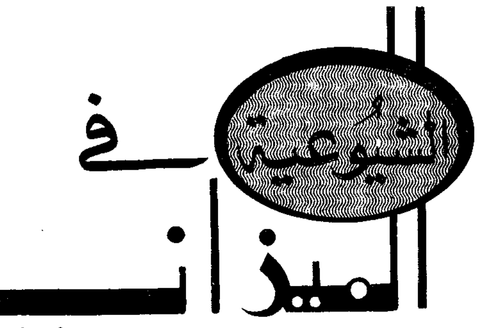
واذا كان الاسلام قد واجه في جميع أزمانه – منذ مطلع الدعوة حتى اليوم – كثيرا من القوى المعادية له ، حتى دخل معارك ضارية متصلة باللسان مرة وبالسنان مرة أخرى فان ما يواجهه الاسلام في العصر الحديث من القوى المعادية له أشد ضراوة ، وأبلغ كيدا مما واجهه من قبل ، ويعد الاستشراق أخطر القوى التي تحارب الاسلام وتشوش على دعوته لأنه يستعين بالعلم في محاربته للاسلام فيستعمل أسلحة كثيرة متنوعة ، ويستفيد من كل وسيلة يمكن أن تصل به الى أهدافه ، وتمكنه من اضعاف المسلمين بصرفهم عن دينهم .

لهذا ينبغى على المسلمين في جميع أقطارهم أن يحاربوا الاستشراق بالعلم والخلق وأن يحسنوا اعداد الدعاة الذين يتصدون للدعوة في ميدانيها الدفاعى والتبليغى حتى يتمكنوا من اخراس ألسنة أعداء الاسلام الحاقدة بتوضيح حقائق دينهم القويم للناس أجمعين ، وبذلك يندحر المستشرقون الذين أرادوا أن يطفئوا نور الله رب العالمين « يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواهم ويأبي الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون ، هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون » (١) .

والله يقول الحق ويهدى السبيل ، وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين .

---

١ ـ سورةالتوبة : آية ٣٢ ـ ٣٣



لفضيلة الشيخ محمد على عبد السميع
كلية الدعوة وأصول الدين

الإنسان متديّن بطبعه :

لقد خلق الله هذا الكون لغاية فاضله وحكمة سامية فلم يخلقه لهوا ولا عبثا وإنما خلقه للدلالة على ذاته وعنوانا على قدرته وإحكامه ثم اقتضت حكمته تعالى أن أرسل من لدنه رسل لينقلوا الناس من دياجير الجهل والظلام ومهانه الأفك والضلال إلى نور العلم والعرفان حتى لا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل قال تعالى : « وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا » .

وإن الناظر في هذا الكون العجيب ليرى الأدلّة ناطقة على حكمة خالقه والبراهين ساطعة على قدرة موجده ولقد درج الإنسان من مبدأ الخليقة على التديّن والإقرار بأن للوجود إلها هو مسيّر أمره ومدبّر شأنه والجماعات الإنسانية على مدى العصور والدهور وإن لم تتفق على من هو ذلك الإله إلا أن الشعور من قوارة نفس كل فرد يناديه بأن قوة قاهرة هى المسيطرة على الوجود وبلتالى يسميها الإنسان بالإله ومرد ذلك الاختلاف بين الجماعة الإنسانية هو أن الديانات السماوية وإن أجمعت على أن إله الكون هو الله تعالى الذى لا إله إلا هو إلا أن كثيرا ما كان ينحرف الناس عن تعاليم تلك الديانات فيرمزون إليه بكوكب تارة أو بحيوان تارة أخرى أو غير ذلك من الأشياء التى يرون فيها القوة الخارقة والقدرة الفائقة لاستشعارهم أن الإله لابد أن أن يكون ذا جبروت لا يبارى واقتدار لا يجارى وفي بعض الأوقات يرمزون إليه بشئ يجدون احتياجهم إليه شديدا وأن حياتهم متوقفة عليه وليس بلازم

أن يكون ذا بأس وقوة كل هذه المعاني وتلك الاتجاهات من الإنسان تدل على اقتناعه في قراره نفسه على أن للوجود إلها هو الذى إليه يرجع الوجود في كل أمر من أموره استمّر الأمر على ذلك قرونا وقرونا وأجيالا وأجيالا يسطع نور الحق حاملا مشعله رسول يرسل أو نبي يبشر ويخبو نوره تارة أخرى عندما تمتد الفترة بين الرسل فتنتكس عقائد الناس ويركسون في الضلالة من جديد حتى أرسل الله محمدا صلى الله عليه وسلم بشيرا ونذيرا ورسولا إلى الخلق كافة فملأ هداه الخافقين وانتشر نبأ رسالته في المشرقين وهناك في أوربا وآسيا كانت المسيحية ضارية شرسة في القرون الوسطى وكان لرجالها سلطان قوىّ وكان للقياصرة في روسيا بأس شديد فتسلّل أحد قساوسة اليهود إلى صفوف هؤلاء القياصرة وكان داعرا منحلا فأشاع الدّعر والعهر بين صفوف هؤلاء القياصرة من حكام روسيا فشوّه بذلك صورتهم ولطّخ بهذا الضنيع سمعتهم فظهروا في أعين الناس بمظهر منبوذ كريه كما ظهر بهذا المظهر ذلك القسيس وهنا أصبح رجال الدين والحكم في نظر العامّة عنوانا على الفساد الخلقىّ والانحلال السّلوكى فتبرّم الناس بالقياصرة رجال الحكم وبالقساوسة رجال الدين وقد كان الناس يئنون من بشاعة حكم هؤلاء وتسلّط أولئك فوجدوا الفرصة سانحة لأن ينفضوا عن أنفسهم غبارا طال ماتراكم عليهم وكتم أنفاس التخلص تغلى في صدورهم فقرّروا أنه لابد من التخلص منهما معا لأن كلا منهما ظهر بصورة حطت من شأنه وهوّنت من احترامه في نفوس الناس .

تبديل وتغيير :

فقام يتزعم الناس رجل يقال له (ماركس) مناديا بسقوط القياصرة فتهلّل الناس لندائه واستجابوا له مندفعين ثائرين غير عابئين بما يترتب على ذلك من نتائج وحتى لا يقوم معارض لتلك الجماعات الثائرة يقف في سبيلهم باسم للدين نادى ماركس وأتباعه بأن الدين خرافة وأن كل منتم إليه مفتر كذّاب ولكى يذيعوا الرعب في نفوس الناس أعملوا المناصل في رقاب رجال الدين إسكاتا للمعارضين ودحراً لِلْمُحْتجّين على قتل من قتل من الحاكمين وحتى لا يوجد بعد ذلك من يناصر هؤلاء أو هؤلاء غيرّوا نظام البلاد السياسىّ إلى نظم أخرى سموها بأسماء خلاّبة ووضعوا عليها لافتات برّاقة لتستهوى الناس وتستميل

البائسين والمحرومين والحديث عنها يطول وليس هذا مجاله أما الدين فلم يغيروه بل أنكروه مدّعين أن الدين لن يصلح نفوسا ولن يربي أرواحا إذ لو كان كذلك لظهر أثره في رجاله الآثمين الذين تحالفوا مع القياصرة وأباحوا لهم ولأنفسهم ضـــروبا من الفساد تقشعرّ لذكرها الجلود وتتقزز لسماعها النفوس .

إنكار وإفـــتراء :

وحتى لا يحاول بعد ذلك إنسان ما أن يردّد صوت الدين أو نغمة التدين أنكروا وجود الله وبفريتهم هـــذه اضطروا إلى القول بأن العالم الذى هو صنعة الله موجود بالصدفة (تلقائيا أى بدون حكمة أو تدبير) أو بالتفاعل أى بتأثير جزيئاته بعضها في البعض بمعنى أن الشئ مؤثر ومتأثر وبذلك نخلص إلى أن مبادئ الشيوعـــية من حيث العقيدة تتلخص في شيئين اثنين :

(١) إنكار وجود الله – تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيرا .

(٢) أن وجود العالم بطريق الصدفة أو التفاعل .

تدليـــل باطل :

ولقد سلك ماركس عليه اللعنة في التدليل على دعواه الباطلة مسلكا عجيبا وتبعه في ذلك (لينين) ومن نحا نحوه فيرى ماركس أن كل موجود لابد وأن يرى وحيث إن الله لا تراه عيوننا في دار الدنيا فاستنتج من ذلك أنه غير موجود وكأنه جعل الإقرار بوجود الله كالتسليم بنتيجة نظرية من النظريات الطبيعية الماديّة لأن المادة عنده مكونة من عناصر وكل عنصر مغاير للآخر فله خصائصه ومميـــزاته وكل عنصر مركب من جزئيات وكل جزيئة لها خصائصها ومميزاتها إذن كل هذه الأشياء متمايزة متغايرة ولا يمكن معرفة تمايزها وتغايرها إلا برؤيتها بالعين أو إحساسها بأحدى الحواس الأخرى التى بها تميّز الأشياء ويفرّق بينها عند الإدراك وكأنه يريد بذلك أن يقول (لا بل قال) إن الله فرد من أفراد المادة يخضع لقوانينها ويقاس بمقاييسها ويوزن بموازينها (تعالى الله عن ذلك علوّا كبيرا) ولو أنه تريّث هنيهة أو تعقل قليلا لوجد الفطرة من أعماقه تناديه إنّ للعالم إلها إليه تهرع في الملمات وتلجأ الى رحمته عند النكبات وهو مغاير لذلك العالم في ذاته وصفاته وإلاّ ما كان للجوء إليه دون غيره معنى أو مدلولا وما صرخة ذلك المهندس الشّيوعىّ مستغيثا بالله

عندما هوى ابنه من جانبه من أعلى الصرح الا تعبيرا صادقا ودليلا قاطعا على أن الفطرة مهما طمسها الضلال وطغى عليها الكذب والبهتان لابد وأن يشعّ وميضها بين تلك الجحافل الآثمة ويلمع بريقها من خبايا تلك الافتراءات الملحدة معلنا أن للوجود إلها خلقه بقدرته وسيرّ أمره بإرادته ولو أن الملحدَيْن الخبيثين ماركس ولينين استجابا لنداء الفطرة لأيقنا بأن للعالم إلها ولكن كيف يكون منهما ذلك وقد أغرقا في الكـــذب والافتراء والإلحاد والكفران ولندع اعتقادهما فذلك لا يعنينا و نناقش الفكرة والدليل فهى التى في الأمر تهمنا وتعنينا .

ففكرتهم أو مبدؤهم هو أنه لا وجود لله ودليلهم أن الله لم تره أعيننا وحيث إن الأمر كذلك فهو غير موجود

نقاش وإبطال :

إننا إذ نناقش هذا الدليل نجد أن بطلانه أهون من أن يوجه إليه طعن وأن انهياره ليس بمحتاج لعناء .

فنقول اذا كان لابد من رؤية كل موجـــود وأن الشئ الذى لا يرى لا يكون موجودا فماذا تقو ون في الروح التى بها حياة الفرد هل هى موجودة مع كونها لم تر أم أنها ليست موجودة ؟ إن قلتم بالأول فقد غايرتم بين الموجودات في صفة هى مردّ الحكم وإن قلتم بالثاني فقد ادّعيتم افكاو زور لأنها موجودة بالضرورة إذ بها تكون حياة الفرد والعقل الذى به نفكر وندرك هل موجود أو معدوم ؟

إن قلتم إنه معدوم فقد افتريتم كذبا وقلتم بهتانا وإداًّ وان قلتم إنه موجواد ولا مناص لعاقل أن يقول غير ذلك فهل ثبتت لديكم رؤيته أم أنكم تقولون بوجوده والحال أنكم لم تروه فإن قلتم بالأول فالواقع يصفع عقولكم ويبطل دليلكم وإن قلتم بالثاني فقد أقررتم بوجود شئ لا نستطيع رؤيته وإذا كان الأمر كذلك فلماذا تعترفون بحكم بالنسبة لأمر وتنكرونه بالنسبة لآخر وهو أن بعض الموجودات لا تمكن رؤيتها وبذلك يكون الله تعالى موجودا ومع ذلك لا تراه الأبصار « لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير » .

تعصب ممقوت :

ان ماركس وأتباعه الذين اتخذوا الشيوعية لهم عقيدة ومبدءا لا يواكبون مسار العلم والعقل بل يشايعون التعصّب للباطل ومظاهرة الضلال والجهل اذ من القواعد العامة والأمور الثابتة التى

لا تقبل نقاشا ولا جدلا أنّ الأشياء اذا كانت لها صفة توفّرت فيها جميعها يكون الحكم عليها باعتبار تلك الصفة واحدا وتخصيص فرد منها بحكم دون الآخر تعصّب ممقوت وتحيّز مردود من هذا ننتهي إلى أن العقل والروح كل منهما موجود ولم يثبت أن انسانا ما في الوجود رآهما أو رأى واحدا منهما ولا يوجد إنسان ما ينكر وجودهما وحيث ان الأمر كذلك فإذاً تقرر البديهة أن الشيء يكون موجودا ومع ذلك لايرى إذ أن عدم رؤيته لا تطعن في وجوده وقد ثبت ذلك بالنسبة للروح والعقل إذا عدم رؤية الله تعالى لاتطعن في وجوده إذا فالله موجود وإن لم تره العيون وإن العقول السليمة تقرر في جلاء ووضوح ودون شك أو ريب أن الله تعالى موجـود لأنها تدرك البرهان على ذلك في كل شيء دالا على قدرته شاهدا بعلمه وحكمته ناطقا في كل وقت وحين تبارك الله أحسن الخالقين ، وفي أنفسكم أفلا تبصرون أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت وإلى السماء كيف رفعت وإلى الجبال كيف نصبت وإلى الأرض كيف سطحت »

زيادة إيضاح :

إن الأدلّة كثيرة ناطقة وعديدة واضحة وجميعها تدل على وجود الله تعالى فهذا النظام البديع الذى يسير عليه الكون وهذا الإبداع المعجز الذى وجد عليه العالم يدل على أن للكون إلها بقدرته خلق الوجود وبحكمته أبدع كل مخلوق ووجود تلك الأنواع المتعددة وكثرة تلك الخصائص المتباينة أصدق دليل على وجوده تعالى وقولهم إن العالم وجد بطريق الصدفة فهذا أمر لا يسلم به عاقل إذ كيف تنتج الصدفة هذا النظام البديع والمعلوم أن السمع لا يهبه لفرد إلا عالم بقانون السمع وكذلك كل صفة من الصفات التى يسعد بها الإنسان والتى لابد لوجودها من تدخل وقدرة عالمة حكيمة مدبّرة ولا يمكن القول بأن تلك القدرة من جنس تلك الموجودات وإلا لأمـكن غيرها أن ينازعها أو يبطل عملها إذ المفروض أن الجميع متساوون في كل شيء وإن قانون التأثير والتأثر يحتم تقدّم المؤثر على المتأثر والمفروض أن كلا منهما يساوى الآخر تماما فإذاً يكون الشيء على هـذا موجوداً ليوجد ومعدوما ليوجَد وهذا باطل كما وأنه لابّد من كون تلك القوّة المؤثّرة مغايرة لما عداها في كل شيء في ذاتها وفي صفاتها حتى تكون قادرة على الخلق والإيجاد ولا يصح أن تأخذ تلك الصفات عن غيرها

وإلا لكان غيرها مؤثرا فيها وبذلك يكون شأنها شأن غيرها من المخلوقات ومعنى هذا أنه لابد وأن يكون وجودها من ذاتها حتى تتم المغايرة بينها وبين ما توجد وتخلق .

أما قولهم إن العالم وجد بطريق التفاعل فنقول لهم مبطلين ما يدعون إن المادة التى سيتم التفاعل بين جزيئاتها من الذى أوجدها من الذى جعلها قابلة للتفاعل ومن الذى غاير بينها في الصفات والخصائص لابد من قوة مدبرة حكيمة عالمة بقوانين التفاعل والتغاير حتى يمكنها أن تعطى ذلك العنصر من الصفات ما يجعله يتفاعل مع ذلك العنصر خاصة بكيفية خاصة لينتج عن تفاعلها شئ خاص وإلا لو كان التفاعل راجعا إلى عنصرية محضة دون تغاير أو تمايز بين العناصر لكانت نتيجة التفاعل واحدة ولجاء العالم صورة واحدة متماثلة كما ينادى بذلك قانون التفاعل في علم الكيمياء لأننا لو وضعنا في مخبر مادتين فتفاعلتا ثم أحضرنا بعد ذلك آلاف المخابر ووضعنا في كل منها مقدارا من المادتين اللتين وضعتا في المخبار الأول لكانت النتيجة واحدة ونحن إذا نظرنا إلى العالم وجدنا التغاير بين أفراده وعناصره واضحا ملموسا فلو كان موجودا بالتفاعل بين جزيئاته لما وجد ذلك التغاير بين أفراده في خصائصه ومميزاته فهذا معتم وهذا مضئ وهذا حساس تام وذاك جامد لا ينمو وهذا يعيش في الماء ويموت في اليابس وهذا على العكس من ذلك إلى غير هذا مما تراه العين ولا ينكر التغاير بينه وبين غيره إلا مكابر أفاك ومدع كذاب ولله در القائل رداً على منكرى وجوده تعالى :

ربــاه مــالى في الكــروب سواك
فهرعت ربي أحتمى بحمـــاك
ربــاه إني قــد نشــدت سعادتي
فــوجدتها مقــرونة بتقــاك
يارب أنت الخــالق البــارى ومن
ينكــر وجودك يصــبح الأفاك
يا مؤمـــنا قل للذى زعم الطبيعة
مــوجدا من ذا الــذى سواك
يا من تخبط في الضــلالة سادرا
من أبــدع الإيجاد في دنيــاك
إن كنت تسعى للحقــقة صــادقا
متطلعــا للخير في أخـــراك
فــدع التعصب جانبا وانظر معى
مــتدبراً اثم احتكــم لنهــاك
من ذا الــذى قد شق سمعك محكما
ومن الــذى بالنطــق قد حلاك
والعــين من أعطــاك فيها مقلــة
ومن الــذى بالحسن قــد أولاك

ومن الـذى يعل الجبـال رواسيا
وأقـام في شتى السهول ربـاك

ومن الـذى رفع السماوات العلا
من غـير أعمدة تـرى عيناك

مزدانـة بكواكب تجـرى على
طول المـدى لا تخطئ الأفـلاك

هو خالـق الأكوان جـل جلاله
بالخـير والإنعـام قد ربّـاك

يـا منكر الله إنـك مغـرق
في الإفك بـل والله ما أشقاك

إن العجائب في الـوجود كثيرة
وإلى المهيمن ترشـد الإدراك

فالسّم في الأفعى يصون حياتها
وإذا أصـابك بعضه أرداك

والنحل في زهر الرياض غذاؤه
والشهد من عـاني السـقام شفاك

بالمـاء نحيـا والحياة رغيـدة
وإذا طغى يومـا يصير هلاكا

والحـوت يسبح في الخضم موحدا
واليبس يفـى الحوت والأسـماك

في الصخر يحيا الدود غير منغّص
والطـير في كبـد السما أشجاك

والشمس ترسل في النهـار شعاعها
ينمـى الزروع ويقتل الفتـاك

والليـل يمسح بالنعاس عناءنـا
وبـدونه لـن نستطيع حراكا

والنجـم للسفن المواخـر مرشد
والبدر يؤنس في الـدجى مسراك

والعقـل ينتج للأنـام حضارة
وبـدونه لـن تستبين خطـاك

والـروح سرّ في الجسوم وعلمه
عنـد الـذى من فضله أحياك

والقلب ينبض في المنام ونبضـه
للحـق والإيمـان قد نـاداك

تلك العجائب لا تنظم صدفـة
لكنها صـنع الذى يـرعاك

وجميعها فيها الدليل مؤيّـدا
قـولى فمـاذا يا عنيـد دهـاك

والعقـل يدمغ ما تقول بـداهة
وعن الغـواية يا شقى نهـاك

والكون يلهج بالثناء جميعـه
للـه تقـديسـاً وماجـاراك

لكنك الغاوى الأثيم ومن غـوى
نبذ الورود وفضّل الأشـواك

عطلت عقلك ياغـوى حماقة
وتجنّبت صـوت الهـدى أذناك

وركبت من بحـر الضلالة لجـة
وتسابقت نحو الرّدى قـدماك

أما التفاعـل إن نقل هو موجـد
أو مـبدع شيئا فما أغـواك

إن التفاعل في النتائـج واحـد
والكـون فاض تغـاير أخـزاك

هـــذا التغاير في الخصائص مثبت
فعل الإلـــه ومبطـــل دعـــواك
فارجع عن الإنكار إنك مفـــتر
والجهـــل بالبهتـــان قـــد أغـــراك
وانهض لربـــك بالقداســـة هاتفا
سبحانـــك اللهم جـــل عـــلاك
ذات الإلـــه عن المثيل تقدست
لا يشبه القدوس ذا أو ذاك
ودع المآثم تـــائبا مستغفـــرا
فـــالله في جـــنح الظـــلام يـــراك
خطرات نفسك في الظلام أو الضحى
ليست بخافيـــة على مـــولاك
لك خالقى كل الكمال مـــنزها
عمـــا يفيـــد النقص والإشراك
تعطى وتمنع من تشاء بحكمة
والكـــون يا رحمـــان في يمناك
فاحفظ إلهى القلب من زلآتـــه
وجعله ربي مشـــرقا بسناك

هذا بيان مجمل عن الشيوعية وما تنادى به والمؤسف المؤلم أن بعض دول العالم العربيّ وهم يدينون بدين الإسلام ينادون بالإشتراكية بل اتخذوها لهم شعارا ومبدأ ونحن نتساءل من أى لون هذه الاشتراكية هل هى اشتراكية علمية أم اشتراكية ديمقراطية بمعنى هل هى عقيدة أم مذهب إن كانت عقيدة فهى تساوى الماركسية تماما في أهدافها وغاياتها ولا تختلف عنها إلا في الاسم فقط وهذا الذى نقوله بناء على تعريفها وبيان كنهها عند الماركسيين أنفسهم حتى ولو سموا الماركسية بالاشتراكية لأنهم جعلوا من ضمن مبادئهم الشيوعية أنه لا مانع من التضـــليل والكذب والبهتان ووضع أسماء على غير مسمياتها ما دام يؤدى ذلك الخداع والكذب إلى الهـــدف المنشود أما إن كانت اشتراكية ديموقراطية أى إنها مذهب اقتصادى فقط لا شأن له بالعقيدة والخلق فما أغنانا عنه بما عندنا من تراث إسلامى عريق نهض بالعرب من الحضيض إلى أوج السعادة والرقي البشرى يوم أن قاد جماعة المسلمين رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم وهذا التراث الإسلامى العظيم ممثل في الفقه الإسلامى وإن أولئك الذين ينادون بالاشتراكية مذهبا اقتصاديا ويرهقون أنفسهم في الدعوة له والدعاية إليه لو أنهم اطلعوا على الفقه الإسلامى لأغناهم ذلك عن كل هذا العناء يا قومنا أجيبوا داعى الله وأحكموا بما أنزل على نبيه ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون إن الاسلام دستور كامل أسعد البشرية يوم أن استظلّت بظلاله ويسعدها اليوم إن هى التزمت أحكامه وارتضت

قضاءه ففيه السياسة والاقتصاد والحرب والسلم والسلوك والاجتماع والروح والمادة وجميع ما يحتاج إليه بنو الإنسان في حياتهم إن الإسلام من وضع خالق البشر العليم بما يصلح شأنهم ويقوم معوجهم ويسعد جماعتهم وينهض بهم إلى أسمى درجات السعادة والرقي لذلك أودعه كل ما يحتاجون اليه في معاشهم ومعادهم قال تعالى : (ما فرطنا في الكتاب من شيء)

ولله در القائل :

بالمصطفى الهادى تألق صبحنا
وتبددت بجيوشها الظلماء

قد جاء والإلحاد في طغيانه
وعلى الأمور يسيطر الجهلاء

فأقام بالتوحيد أعظم ملة
فيها لمن يبغى العلاج شفاء

وهى للحياة سدادا ورشادها
هى للوجود الكوكب الوضاء

هى للشعوب بلاسم لجراحها
هى في الهجير الروضة الغناء

دستورها القرآن فاض هداية
وبغيثه جدب الحياة رخاء

في هرم الزمان ولم يزل في هديه
للمسلمين العزة الشماء

ياقومنا اضربوا على أيدى المتطرفين الملحدين الذين يدينون بالشيوعية فإنهم في جسم الأمة الإسلامية كالسرطان يهدمون كيانها ويقوضون كل مقوماتها ولا تربطهم بفرد فيها رابطة من خلق أو دين إذ الرابطة بينهم هى مبادئ الشيوعية فقط دون غيرها من روابط اجتماعية أو أسرية أو روحية أو قومية أو وطنية بمعنى أن الشيوعى في مشرق الأرض أولى بالشيوعى في مغربها من أمه وأبيه أو ابنه وأخيه فكل القيم منهارة في نظر الشيوعى أمام عقيدته التى يبذل في سبيلها كل شيء فهل يصح ونحن نؤمن بالله وبرسوله أن ندع الخطر يستشرى ونحن سكوت زاعمين أننا لن نمكنهم من الوصول إلى مركز القيادة والسلطة فهذا لا يعفينا من المسئولية وإلا كان مثلنا كمثل من أرادوا خرق السفينة ليصلوا إلى الماء دون عناء فإن تركهم من هم في أعلاها غرقوا جميعا وإن منعوهم سلموا جميعا فنحن إن وقفنا عند هذا الوضع السلبيّ كان ذلك أخذا للأمور الخطرة بسهولة لا توائم بعض ما يجب أن تؤخذ به من الاهتمام والجدّ يا قومنا إن الأمر جدّ خطير فالشيوعية بلاء ومحنة وهى كما سبق أن قلت كالسرطان يعايش الإنسان زمنا طويلا ولا يظهر له خطر ولا يبدر منه أذى حتى إذا

ما اكتملت قدرته على الهجوم وشرست استطاعته على الفتك انقض عاتيا لا يرحم جباراً لا يتفاهم كل همه الوصول إلى غايته والحصول على مأربه مهما شرد أو قتل أو هدم أو دمّر لأن الغاية عنده تبرر الوسيلة وهل يوجد أحطّ مستوى ممن يبيح لنفسه الخداع والكذب والتضليل والتمويه بل يجعلها من مبادئه وأخلاقه ما دامت تصل به إلى مقاصده وأهدافه ياقوم إن الشيوعية في تقديرها لبعض الأمور وخاصة المعنوية منها أخطر من بعض فصا ئل الحيوان وإن ادعى معتنقوها سموّ إحساسهم ورقة وجدانهم وإن تباكوا على الإنسانية المعذبة التى يدّعـون أنهم يريدون إسعادها وتخليصها من نير الذل والاستعباد وتحكم الإقطاع والاستغلال وجموح رأس المال المستبدّ الذى لا يعرف رحمة ولا شفقة في نظرهم إلى غير ذلك من العبارات الخادعة الخلابة التى يخدعون بها الشعوب ويغشون بها الجماعات حتى إذا ما وقعت في الفخ الذى نصبوه واحتواها الشرك الذى حاكوه ذاقت من الذل ألوانا يشيب لها الولدان وتضطرب لذكرها الأبدان .

أى سعادة في نظام يجعل إنكار الإله عقيدة والتناحر بين الطبقات مبدأ وإشاعة الهلع بين الأفراد طابعا وخيانة الإبن لأبيه والزوجة لزوجها بالتلصّص عليهما سلوكا ومنهجا ثم أى سعادة في هذا النظام الذى يسلب الفرد قسرا ما امتلك بحجة التأميم لصالح الدولة لأنها هى التى يجب أن تملك وسائل الانتاج ورأس المال أليس ذلك قتلا لغريزة حب الاقتناء التى هى جزء من مقومات الانسان التى تدفعه إلى العمل راضيا بما يجد من مشقة وعناء ثم هذا الانتاج الذى هو ثمار شقاء الطبقات الكادحة المحرومة إلى أين يذهب ومن الذى في خيره ونعيمه يتقلّب أليست تلك الفئة الباغية الحاكمة التى تقبض على نواصى الأمور بقبضة من حديد ولا ترى الشعوب إلا سوط الإرهاب تلوح به في الفضاء بدا ليفى والاستعباد لابسة قفازا من الحرير تخدع الشعوب بملمسه وهى لا تعرف ما بداخله من ظلم وفساد وعتو واستبداد

لا تصح المقارنة :

إنه لا تصح المقارنة بين نظام هذا طابعه وتلك المذكورة آنفا أهدافه وغاياته وبين الإسلام الذى هو في أسمى درجات الرقي بين النظم الاجتماعية التى سعد بها بنو الإنسان فلا استغلال فيه ولا عسر في العمل والإنتاج إنما عن اقتناع وإيمان يعمل الإنسان في

الإسلام لأن له ثمرة ما يعمل وهو مع ذلك يؤدى ما عليه من واجبات يسهم بها في بناء المجتمع الإسلامى السعيد الذى هو حلية نافعة في جسمه الكبير وبهذا يعلن الإسلام بين بنيه ما استحق الحياة من عاش لنفسه فقط فهو بذلك يحقق الخير لنفسه ولغيره فالإسلام بذلك نظام محكم فليس أنانية محضة كما هى الرأسمالية المستقلة وليس حرمانا محضا كما هى الشيوعية الملحدة بل هو وسط بين نقيضين فحرم الرّبا وحث على الإنفاق والصدقة بعد تأدية فرض الزكاة « لايؤمن من بات شبعان وجاره جائع » قال تعالى : « واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا وبذى القربي واليتامى والمساكين والجار ذى القــربي والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم »

فهل يداني هذا النظام قانون ما من القوانين التى تستنها الدول تخفيفا لآلام الفقراء والعاجزين ثم هو لا يجرد الإنسان من الامتلاك بل جعل له ذلك الحق بشرط ألا يعتدى على حق غيره أو يسلبه ماله فإن فعل ذلك فله في الدنيا خزى وعار وفضيحة ونكال « والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاءا بما كسبا نكالا من الله » .

إن الإسلام عالج مسألة الاقتصاد علاجا لم يسبق إليه ولن تستطيع دولة ما أن تصل إلى ما وصل إليه من علاج يحقق الرفاهية لأهله والمساواة الصحيحة بين ذويه فنظام الزكاة والكفارات والمغانم وغير ذلك من وجوه البذل يجعل من المسلمين أمة متكافلة بالمعنى الصحيح وفي الوقت نفسه لا يعوق الإنسان عن الكسب الكريم الشريف بل يشجعه ويحث عليه « ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده وإن نبي الله داود كان يأكل من عمل يده » فلا تواكل في الإسلام ولا تعطيل للطاقات ولا مصادرة للأموال والممتلكات لأن كل نظام فيه أقيم على أساس سليم فكل فرد في الدولة الإسلامية عضو من أعضائها تحسّ به ويحسّ بها وترعاه ويعمل من أجلها بل يتفاني بحقٍّ في سبيلها مدفوعا لذلك بشعور صادق وإيمان عميق لأنه يراها الأمّ الحانية والراعى الذى لا يدّخر وسعا في سبيل سعادته بخلاف الشيوعى فهو يعمل ولكن على مضض يعمل وهو ينتج ولكنه من وجل ينتج بل في وسط اللهيب وعلى القنا يسير لأنه يرى أن يد البطش القاسية مسلطة عليه والجاسوسية القذرة متربصة به فهو لا يأمن على نفسه وليس بمستريح

ضميره طول حياته لأنه خدع بألفاظ لم يجد لها مدلولات وبعبارات لم يلمس لها مفهوما فهو على يأس يعيش متمنيا ساعة الخلاص ولكن هيهات هيهات أن تمكنه مما يريد تلك الشرذمة الطاغية المتسلطة عليه فهى لن تدع له فرصة يمتكن فيها من الفرار من ميدان الذل والاستعباد والتسخير والاستقلال لأنهم يرون ذله عزالهم واستعباده سيادة لجماعتهم ولذلك كثيرا ما نسمع أن أفرادا غافلوا الحراس وفرّوا من المعسكر الشرقي إلى المعسكر الغربيّ لأن الحرمان استبد بهم واليأس قد سدّ كل طريق أمامهم فوجدوا الأخلاص إلا بركوب المخاطر والتعرض للهلاك باقتحامهم الأسوار هذا من الناحية الاقتصادية التى هى الشغل الشاغل للعالم أجمع أما ما عدا الناحية الاقتصادية فإن نظاما يقوم على مبدأ الروح والمادة اللذين هما العنصر المكوّن للإنسان لاشك أنه يسعد المرء في دنياه وفي أخراه ولهذا ما حققه الإسلام لمعتنقيه بخلاف نظام يقوم على نكران الروح ويجعل الحياة مادة صرفة وأن الشيوعى ما هو إلا قطعة من آلة ما دام تسير فيها الوقود فهى تعمل ولا تفكر وتسير وحذار أن تتلفت حولها أو تسأل عن شئ بداها فنظام هذا طابعه لاشك يشقى معتنقيه ويجعلهم يرزحون طول حياتهم تحت عبء الهمجية الداعرة والفوضوية التى لا تقرّ نظاما مهذّبا أو دستورا كريما ساميا يرتقى ببنى الانسان عن مستوى الهوام والحيوان وبذلك اتضح الأمر لذى عينين وأميط اللثام عن نظامين ومنهجين أحدهما في أسمى درجات الرفعة والعلوّ وهو الإسلام والثاني من أحط دركات الحضيض والامتهان وهو الشيوعية وتلكم ما هى إلا نظام الإلحاد والكفران .

ولم يزل أعداء الأمة يمكرون

لفضيلة الدكتور محي الدين رمضان
كلية الآداب بجامعة اللاذقية

إن في عالم فكرنا المعاصر ظاهرة لا تخفى على أحد ، تلك هي اضطراب المفاهيم الإسلامية لـــدى أغلب فئات الأمة ، حتى كأنها مبتدعات الأفراد والجماعات . فلا تكاد هذه المفاهيم تستقل بذاتها ولا بمضمونها ، ولا تكاد تأتلف في جزئياتها ، ولا تلتئم في أساليبها . وهكذا هي سواء في أمور العقيدة والعبادات التي يرثها المسلم دون مناقشة ولا تمحيص أم في أمور العلاقات فيما بين الفرد والجماعة أم في أمور الحكم والتشريع أم في أمور المعاملات وغير ذلك

وأسباب ذلك كثيرة تتلخص في فوضى مناهج التربية وتضارب أفكارها ومبادئها ، وهو شيء مُمهّد له منذ أمد ، وأنفق الممهدون له جهدا ووقتا طويلا ، ولم يكن ارتجالا أو خبط عشواء ، وإنما هو النافذة التي فاجأ هؤلاء المتربصون منها هذه الأمة ، بعد أن أعيت عليهم المذاهب مدى قرون عديدة . وكانت هذه النافذة هي الثقافة والفكر والتربية ومناهجها والتعليم وأساليبه ، فأجدى هذا أي جدوى بعد أن فُلّ السيف وأُخرس المدفع ودحرت الجيوش .

فكل ما يتصل بالثقافة والفكر وأسباب نشرهما والحرص على إذاعتهما والعناية بهما وما يستوجب هذا كله كانت مفاتيح بأيدي هؤلاء الناس الذين وجهوا العقول ، واستمالوا القلوب ، حتى أذلوا الرقاب ، وخلصوا إلى النفوس ، وامتلكوا كل زمام دون أن يتكبدوا ما تكبده أسلافهم جيوشا وعتادا وجهودا وأموالا ثم لم يفلحوا . واتخذت هذه الجهود الماكرة صورا شتى بدأت برجال الثقافة والبعثات العلمية

والمعونات الطبية ثم المعاهد التبشيرية تناثرت هنا وهناك ، وانتهت إلى صور أخرى يراها البصر ، ولا تدركها البصيرة . وقد كثرت وسائل الإعلام من صحف ومجلات ونشرات وسينما وراءٍ (١) وتطورت أساليب التوجيه والتأثير ، وأنجزت هذه كلها مراحل من المخططات العديدة التي كان همها الأكبر هو تنشئة شخصية ليس لها طابع مميز إلا أن يكون تبعا إمعة ، تتنكر لأمتها وماضيها ، وتستهين بتراثها ، وتنعى عليه ، وتتعلق بالأجانب ، وبما أتوا به ، ويقلدونهم ، ويرون فيهم أئمة يقتدون بهم ، ويحرصون على القول بآرائهم واعتقادها ، والتسليم بها . وهؤلاء الذين استطاعت تلك المعاهد والبعثات أن تحتويهم وتربيهم وتعلمهم ، وكانوا طلائع فئات من الشباب والرجال ، صاروا إلى مناصب في طول البلاد وعرضها ، وقاموا ، بما نشئوا عليه وعُلّموه ، بما عوّل عليهم معلموهم ومربوهم ، فأدوا عنهم ما كان موكولا إلى هؤلاء من الجديد الخطر تربية وفكرا وثقافة ؛ ونابوا عنهم في مهمتهم ، وبهذا تواروا عن الأنظار كغرباء ، يمكن أن يبعث ظهورهم عند الأمة على الاستيقاظ والانتباه ، وهذا من مكرهم وغفلة الأمة عما يدبر لها . وليس هذا كله من هؤلاء المكيدين بدعا ولكنه صورة متجددة الشكل متفقة المضمون . وهو شيء تشرحه الآية الكريمة وتدل عليه قوله تعالى :

(ودّ كثير مِن أهل الكتابِ لو يردّونكم من بعد إيمانكم كفارا حسدا مِن عند أنفسهم مِن بعد ما تبيّن لهم الحق) « البقرة ١٠٩ » . وهذه الرغبة العارمة عند هؤلاء هي الدافع لهم إلى كل محاولة لصرف المجتمع المؤمن عن الجادة بكل وسيلة ودون توان ، ورغبة الإفساد سببها الحسد الذي ذكر في الآية ، وهذا الحسد إنما هو لخير ما أوحى به تعالى من كتابه العزيز إلى رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم ، وهو ما تقدّم ذكره في آية هى قوله عز وجل : (ما يودّ الذين كفروا مِن أهل الكتاب ولا المشركين أن يُنزّل عليكم من خير من ربكم) « البقرة ١٠٥ »

ولا يتحقق لهؤلاء ما يرغبون فيه ويسعون إليه إلا بنشر الفساد بين الناس . ولا يتم لهم الفساد ، ولا يتأتي إلا بأسباب وأساليب ، ولابد لهم من سعي وجهد . وأيسر

---

١ ـ هو التلفزيون .

أسباب الفساد وأجدى أساليبه تزيين المعاصي والمباعدة بين الدين وأهله ، وتهوين أمر الكفر والعصيان ، وهو ما حرض عليه أهل الكتاب من بني إسرائيل بعد أن كفروا وطغوا فقال فيهم عزّ من قائل : « ويسعون في الأرض فسادا والله لا يحب المفسدين) « المائدة ٦٤ » .

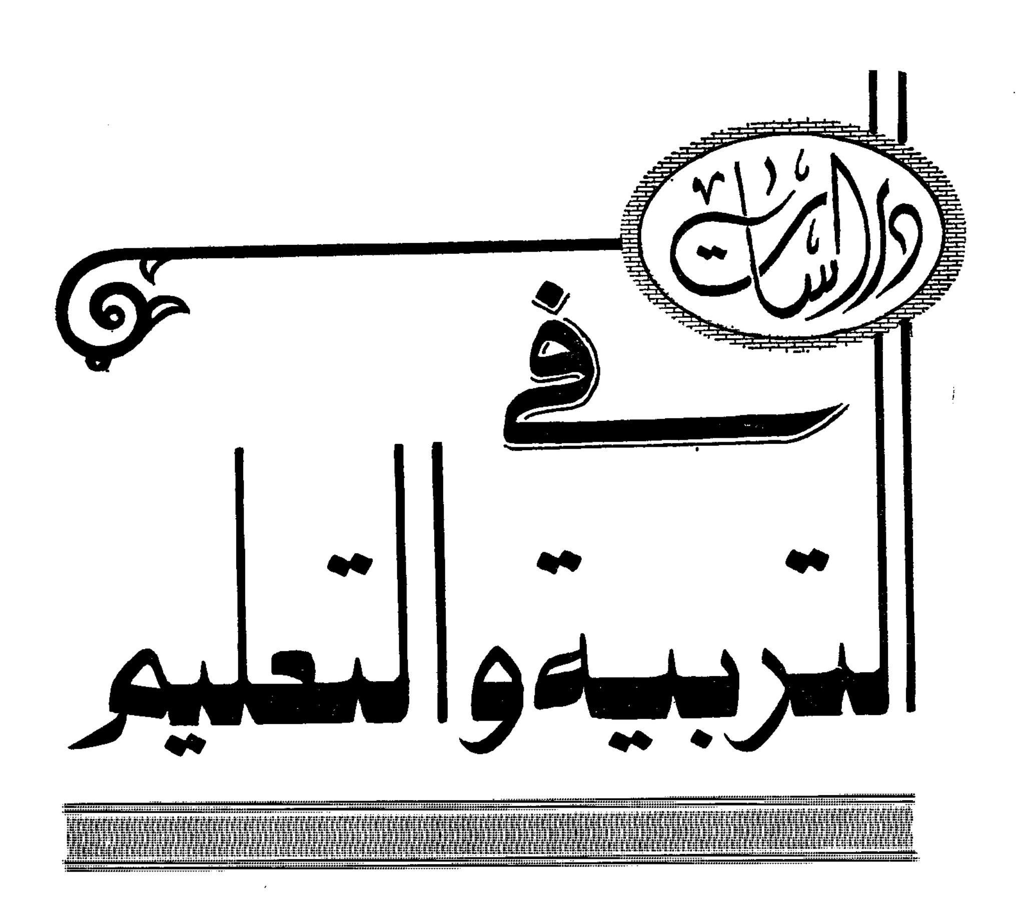
وكذلك إشاعة الفاحشة بين المؤمنين ، وهي إحدى الطوامّ القواصم التي تحلق الدين ، وتوهي أواصر المجتمع ، وقد قال سبحانه فيها : (إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لا تعلمون) « النور ١٩ » .

وتكفى الملاحظة الخاطفة إلى ما يتصل بهذه الظاهرة من عناية مصممي الأزياء وثياب الجنسين وأشيائهما ،وما يتعلق بالرجل والمرأة جنسين متميزين وما ينشأ من تأثير أحدهما في الآخر إغراء وإثارة ، فذلك يكفي في الكشف عن غرض هؤلاء الناس .

وهناك ظواهر كثيرة يجدر بأهل الغيرة من علماء وباحثين وكتاب أن يولوها عنايتهم في رصدها والكشف عنها وتحليلها بما يقف جمهور الأمة على وجهها وينبه أولي الأمر كيما يوجهوا بما يناسب ويحول دون هؤلاء المتربصين وكيدهم .

وينبغي أن يقترن هذا بالتوجيه والتربية الكفيلين بحماية الفرد والجماعة من هذه الأشراك الخفية . ويتم هذا التوجيه وتلك التربية في كل بيئة من بيئات المجتمع : الأسرة والعمل والطريق والمدرسة ، وذلك أن هذه البيئات متكافلة متواشجة الصلة جدا .

اللاذقية　　　　الدكتور محي الدين رمضان


دراسات
في
التربية والتعليم

لمحة عن التربية الإسلامية

لفضيلة الدكتور محمد نخش – كلية الشريعة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على محمّد النبى الأمين وأشهد ألا اله الا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمّدا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلي آله وصحبه أجمعين ، أما بعد .

فالتربية الاسلامية هى الوسيلة للسعادة في الدارين الأولى والآخرة بها تتكون شخصيّة المسلم المؤمن بربّه ، والمطيع لأوامره ، والمتجنب لنواهيه ، المتمسك بدينه ، الذى يؤدى رسالته في الحياة بأمانة ويعمل للآخرة متبعا الكتاب والسنّة محاربا كل بدعة ، مطيعا لربه العليم (وما آتاكم الرسول فخذوه ، وما نهاكم عنه فانتهوا) (١) ومقتديا بسنة نبيه الكريم ، صلى الله عليه وسلم (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر) . (٢)

والتّربية معناها التنمية للقوى العقلية والخلقية والجسدية ، وكلمة الأدب الواردة في قول الرسول صلى الله عليه وسلم « « أدبنى ربي فأحسن تأديبى »(٣) معناها أن الله سبحانه وتعالى هو الذى ربّى نبيه ليكون خير قدوة للبشرية ، وقد منحه سبحانه هذه الشهادة الممتازة ، « وانك لعلى خلق عظيم » (٤) .

وقد حرص النبى صلى الله عليه وسلم على تربية الرجال والنساء ، والأولاد ، مثلما جاء في الأحاديث الثلاثة التالية ، « أوقفوا أنفسكم وأهليكم بتقوى الله وأدبوهم » (٥) و « أكرموا أولادكم وأحسنوا أدبهم » (٦) .

« ومروا أبناءكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين ، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر سنين ، وفرقوا بينهم في المضايع » (٧) .

١ – سورة الحشر الاية ٧

٢ – سورة الاحزاب الاية ٢١ .

٣ – النهاية فى غريب الحديث والاثر لابن الاثير ج ١ ص ٣ .

٤ – سورة القلم الاية ٤ .

٥ – رواه البخارى

٦ – رواه ابن ماجة .

٧ – رواه أبو داود والحاكم واحمد فى مسنده

التربية الأبويّة :

ان هذا تقسيم تدريجى محكم الحلقات في أصول التربية الأبويّة الاسلامية ، وضعه خير البريّة ، ليسـايـر أرقي النظريّات التربويّة الحديثة ، فمعظم ما يقوم به الانسان مرجعه الى العادات والعقوبات الوسيلة الناجحة لمعالجـة الانحرافات ، وكلما كانت في سن مبكرة أثمرت ثمرة طيبة ، والتفرقة بين الآباء والأبناء في المضاجع منذ العاشرة ، يجعل لهم شخصيّة مستقلة .

ولنستمع الى قوله تعالى « واذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما اختأذن الذين من قسبلهم » (١)

هذا الاستئذان رمز لكل الآداب الأخرى ، صغيرة كانت أو كبيرة ، فيه توجيه حسن للسلوك الفردى ، وتهيئة للسلوك الجـماعى اللازم في مواجهة الحياة ، وهو أعظم هبة يهبها الله ورسوله المؤمنين في تعليم تلك البراعم الصغيرة ، وهو شرع يتوارثه الأخلاف عن الأسلاف ، وتقليد فيه خير لكافة الأجيال فيه يعرف الفرد ما له من حقوق وما عليه من واجبات . وهو الأدب الحسن الذى يسيطر على النوازع والرغبات .

وبه يتحقق هذه الأمنية الغالية « ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين اماما » (٢)

والذى يعلم ولده فيحسن تعليمه ، ويؤدبه فيحسن تأديبه فقد عمل في ولده عملا حسنا » ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا » (٣) .

وهذا الواجب يتقاسمه الوالدان بصفتيهما الأبويّة ، ويشاركهما في هذا الواجب أب روحىّ وهو المدرس ، فاذا شعر بمسئوليته تجاه الله والمجتمع ، عرف أن التربية أمانة في عنقه ، وأن جزاءها تضعيف الأجر » من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة »(٤)

فالآباء هم القدوة للأبناء ، اذ يقلدونهم في سلوكهم الحسن منه أو الردئ ، فليكن الأب لابنه مصباح هداية ، وليحذر أن يكون مفتاح غواية .

١ ـ سورة النور الاية ٥٩
٢ ـ سورة الفرقان الاية ٤٤
٣ ـ سورة النساء الاية ١٢٤
٤ ـ سورة النساء الاية ١٢٤

وللموعظة الحسنة أثرها بجانب السلوك السّوى ، وخير ما تلقنه للأبناء وصايا الرحمن على لسان لقمان لابنه ، فهى تجمع بين الايمان والتوحيد ، والدعوة الى الخلق القويم ، « واذ قال لقمان لابنه وهو يعظه : يا بنى لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم . . يا بنى أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك ان ذلك من عزم الأمور ، ولا تصعّر خدك للناس ولا تمش في الأرض مرحا ان الله لا يحب كل مختال فخور » (٢) .

ولرسول الله صلى الله عليه وسلم وصايا عديدة ، من اقتدى بها حصل على مزايا جليلة (٣) .

يقول الله صلوات الله وسلامه عليه في وصيّة له : اضمنوا لى ستاً أضمن لكم الجنة ، اصدقوا اذا حدثتم ، وأدوا الأمانات اذا أئتمنتم وأوفوا بالعهد اذا وعدتم ، غضّوا أبصاركم ، واحفظوا فروجكم وكفّوا أيديكم (٤)

ان هذه الوصية الجليلة من جوامع الكلم ، تجمع آداب السلوك الاجتماعيّة اللازمة لسعادة البشريّة .

فالله خلق الانسان وأنشأ له الارادة ، فعليه الاختيار اما أن يفعل الخير فيصير من الأبرار ، واما أن يفعل الشر فيصبح من الأشرار ، والجزاء معروف فلهذا الجنة ولذلك النار .

ولذا يحرص الآباء المسلمون على تعليم أبنائهم تعاليم الدين ويبدأون بحفظ القرآن الكريم ، لتتحد البواعث الدينية في نفوسهم مع البواعث الشخصيّة منذ نعومة أظافرهم .

وهذه هى الوسيلة السليمة لتنشئتهم النشأة القويمة التى تؤتي ثمارها الطيبة باذن ربها .

التربية المدرسيّة :

والمدرسة من أكبر العوامل في تكوين الشخصية ، خصوصا في المرحلة الأولي حيث يتصل الطفل بغيره من الصبيان ممن هم في مثل سنه أو ممن يكبرونه أو يقلون عنه قليلا ، ويتصل أيضا بالمدرس الذى يعده التلاميذ قدوتهم ويقلدونه في سكناته وحركاته ، فمحاكاة الحركات والأعمال أسبق من محاكاة المعاني والآراء .

ففى المرحلة الأولى من حياة الصبي يقع

---

٢ ــ سورة البقرة الاية ٢٤٥

٣ ــ سورة لقمان الاية ١٣ : ١٨

٤ ــ من وصايا الرسول لطـه عفيفى (عشرة اجزاء)

٥ ــ اخرجه احمد فى مسنده وابن حيان فى صحيحه

سلوكه في دائرة تأثير المعلم ، وتأثير الصبيان الذين يختلط بهم ، وتأثير آبائه في المنزل ، فان صلحت هذه الدائرة نما الطفل وترعرع بين الفضيلة وان فسدت انغمس الصبي في متاهات الرذيلة ولهذا يجب الحرص على أن يتنفس أبناؤنا فلذات أكبادنا في جو اسلامي صحي .

فمن الخير للانسان المبادرة بتكوين العادات الفاضلة في الأبناء حتى تتأصل فيهم ، وتنزل منزلة الطبع ، لأن الاقلاع عن العادات المرذولة اذا تمكنت يكون شاقا عسيرا .

من هذه الصفات الخلقية التى يجب أن يتحلى بها الصبيان الطاعة لله ورسوله أولا وقبل كل شيء ثم لأولي الأمر . وفي القرآن آيات كثيرة تحث على الطاعة بل تأمر بها . فقد أمر الله المرأة أن تطيع زوجها ، والابن أن يطيع أباه ، والمعلم يحل محل الوالد ، ومنزلته هي نفس منزلته ، ولذلك تجب طاعة الصبيان له .

ومن الصفات الخلقية التى يجب أن يتعودها الصبيان النظام لأن الفوضى مفسدة للمجتمع ، ومضيعة للتعاون الضرورى للحياة الانسانية .

ويجب أن يكون للاشراف الاجتماعي والرياضى دوره الفعال في الاستعلاء بالغريزة الجنسية عندهم ، وقد حذر القابسي الفقيه السني من خطورة الاختلاط بين الطلبة بقوله :

« وانه لينبغي للمعلم أن يحرس بعضهم من بعض ، اذا كان فيهم من يخشي فساده ، يناهز الاحتلام ، أو يكون له جرأة » .

وهو أسلوب وجيز العبارة ، لطيف الاشارة ، يدل على عفة في نفس المؤلف ، تحمله على الابتعاد عن الاطالة في مواطن الفحشاء والمنكر . (١)

والاعلاء بالغريزة الجنسيّة والتسامى بها يأتي من استغراق الجهد واستنفاد الطاقة وتحويلها الى عمل نافع للفرد والمجتمع وليكن قولُ الله رائدنا « فاذا فرغت فانصب والى ربك فارغب » (٢) .

فالعبادة وبخاصة الصوم وقاية للمؤمن ، فهى تملأ قلبه بالطمأنينة ، وتذهب عنه وساوس الشيطان اذ يتقن أن ما يفعله هو استجابة لأمر الرحمن حين يقول : « وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا حتى يغنيهم الله من فضله » (٣) .

---

١ ـ الدكتور احمد فؤادالاهواني : التعليم فى راىالقابسىص ١١٨

٢ ـ سورة الانشراحالاية ٧ ، ٨

٣ ـ سورة النور الاية ٣٣ .

وبهذا الأسلوب تنتصر الارادة علي الهوى ، والانسانية على الحيوانية ، وان لنا في قصة يوسف لعبرة .

تربية الدعاة :

ولتخريج الدعاة الي الله يستلزم الأمر تهيئة بيئة اسلاميّة سليمة يعيش العاملون فيها و نفوسهم مفعمة بحب الرحمن ، الذى خلق الانسان علمه البيان ، وقلوبهم مؤمنة بخلود رسالة الاسلام وصلاحيتها لكل زمان ومكان .

يجب أن تكون عقيدة المعلم والمتعلم مبنيّة على التوحيد لله رب العالمين وفهم القرآن فهما دقيقا . فعلى الانسان أن يعيش مع آياته الكريمة ، حتي يكون خلقه القرآن . فهو الكتاب الوحيد الذى يرافقه في رحلته طيلة حياته ، يحل به كل مشكلة ، وينتصر به على كل معارضة ، ويفوز به في الدنيا والآخرة ، انه مفتاح السعادة ، وباب الرحمة .

ويجب أن تدرّس السنة المحمّدية ، فبها ينتظم المجتمع على أسس قويمة ، فهي تزكية للنفوس الانسانيّة ، وهي هادية لفهم الآيات السماوية ، انها الوحي الثاني من ربّ البرية .

وأن يهتم الدارسون بالكشف عن جوانب العظمة في حياة الرسول صلي الله عليه وسلم ، وصلاحية هذه الشخصيّة الكريمة لتكون قدوة لجميع الأجيال ، وأسوة حسنة لجميع طبقاتها وافرادها انها الشخصية التى لا تسعد البشرية ، ولا تتزن الحياة ولا يقوم المجتمع الصالح الا بالاقتداء بها واتخاذها اماما ورائدا(١)

ويتفرع من هذين الأصلين ، الثابتين كتاب الله وسنة رسوله علوم الدنيا والدين ، فلننظر مثلا في فرع كالشريعة الاسلاميّة ولنطبق ما فيها من حكمة بالغة ، ومقاصد نبيلة ، مع مراعاة تطور العصر الحديث ، وما جدّ فيه من نظريات وأفكار شملت الحياة بأسرها ، وتناولت العلوم كلها .

ولنأخذ بعين الاعتبار أن تكون علوم اللغة العربية أدوات لمعرفة ما في هذين المصدرين من كنوز وضعها الله لعباده رحمة بهم وجعلها خيرا وشفاء لما في صدورهم .

وكما نعلم أن كتاب الله لم يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها فعلوم البشر النظرية أو العقليّة ضئيلة ، وهي مستمدة من علم الله الذى لا حدود له

---

١ ـ نحو التربية الاسلامية الحرة لابى الحسن على الحسن الندوى ص ٩٣

ولا يمكن الاحاطة به ، فلنتخذ القرآن سراجنا الى السعادة .

فالله يرشد عباده في كثير من آياته الى الحيلة الأجتماعية الفاضلة فيحثهم على الزواج وينفرهم من الزنا ، وينظم الحياة الأسرية على المحبة والمودة المتبادلة والأواصر المتينة المبنية على أسس سليمة

ولا قيمة للعبادات اذا لم تكن لصالح الجماعات المحتاجة الى الاعانات كما في قوله تعالى : « فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون الذين هم يراءون ويمنعون الماعون » (١) .

ولما كان المال عصب الحياة ، فقد ورد في القرآن الكريم الحث على الانفاق في صور شتّى ، كالصدقة ، والزكاة وعتق العبد واطعام المسكين ، والعناية باليتيم .

وقرن سبحانه وتعالى الاحسان بالوالدين بعبادته الحقة ، فقال : « وقضى ربّك ألاّ تعبدوا ألا ايّاه وبالوالدين احسانا . »٣
والله يعلم أعمالنا كبرت أم صغرت « وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر الا في كتاب مبين » (٤) ، وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير » (٤) بل أكثر من ذلك » ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه » (٥) .

والهدف من وراء ذلك ، هو ألاّ يعمل الانسان الاّ الخير ، ولا يفكر الا في الخير » « واعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم فاحذروه » (٦) .

أن يعلم كل فرد أن الله رقيب عليه ، وأنه أقرب اليه من حبل الوريد ، وأنه يحاسبه بالعدل الذى هو أساس ملكه ، سبحانه وتعالى لا يظلم أحدا » فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره » (٧) .

يا أخي أعبد الله كأنك تراه ، فان لم تكن تراه فانه يراك ، فالايمان بالله وحده ، والتزام عبادته ، والاعتصام به سبحانه ، هي الوسائل الفعالة في التربية المؤدية الى حياة الضمير ويقظته . والعبادة العملية هي الطريق الصحيحة الى تثبيت ذلك وتدعيمه .

---

١ ـ سورة الماعون الاية ٧
٢ ـ سورة الاسراء الاية ٢٣
٣ ـ سورة يونس الاية ٦١
٤ ـ سورة الحديد الاية ٤
٥ ـ سورة ق الاية ١٦ .
٦ ـ سورة البقرة الاية ٢٣٥
٧ ـ سورة الزلزلة الاية ٧ ، ٨

« فالصلاة وهي الركن الركين في الاسلام ، عبادة الغرض منها معرفة الله ، وذكره في كل وقت ، ودوام الذكر هو السبيل الي يقظة الضمير ، لهذا السبب نص الفقهاء على وجوب انصراف المرء في الصلاة الي ذكر الله ، مع عدم الانشغال بأى أمر من أمور الدنيا ، والصلاة المفروضة على المسلمين يؤدونها في خمسة أوقات متفرقة من كل يوم لدوام الذكر(١) ، » (وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين » (٢) .

ولا تصح الصلاة بغير وضوء ، لأنه شرط للصلاة والوضوء غسل وطهارة ونظافة ، والنظافة من الفضائل الشخصيّة العظيمة الأثر في الصحة ، كما تنتقل فائدتها الى النفس فتطهرها ، ذلك أن الشعور بالنظافة الظاهرة يهيّئ الانسان الي النظر في المعاني بنفس الأسلوب فيعف اللسان ويطهّر الفكر .

فالانسان مطالب بطهارة الجسم ، كما هو مطالب بطهارة القلب والنفس ، لذلك ينبغى أن يكون صادقا عفيفا ، أمينا ، حافظا للعهد . (٣) .

وأسلوب القرآن حكيم في الترغيب في الدين ، والترهيب من الخروج على مبادئ الاسلام والمسلمين . لعلمه سبحانه بالطبيعة الانسانية التى فيها التفكير والتدبير ، وفيها المحبة والكراهية وسلوك الفرد يتحرك بدافع من الرأى والنظر ، ويتحرك بقوة الخوف والغضب وقد وصف الله الجنة في محكم آياته ، ليكون الناس علي بصر بما يلقون من ثواب هو النعيم الذى اليه يشتاقون .

وفي نفس الوقت صور الجحيم ، وما فيها من عذاب أليم ، ليكون المجرمون على علم بما ينتظرهم يوم الدين .

وهكذا يرسم الدين الاسلامى للناس قواعد التربية السليمة التى ينبغي أن يسيروا عليها ، ولن يضل الناس طالما تنسكّوا بالقرآن والسنة علي الرغم مما يسود العالم من فساد رأى يدعى بالحرية ووقاحة فكر تنعت بالجرأة ، وفلسفة مادية ملحدة تحاول تفسير كل شيء علي هواها ، انها مضللة مفسدة .

ان الدين الاسلامي ينظم أفعال المرء مع نفسه ، وأفعال المرء مع غيره ، فالله سبحانه ينصح الانسان بالاقتصاد في المال ، كما يقتصد في تناول الطعام

---

١ ـ الدكتور احمد فؤادالاهوانى : التعليم فى راى القابسىص ١٠٢

٢ ـ سورة الذاريات الاية ٥٥

٣ ـ الدكتور احمدفؤاد الاهوانىالتعليم فى راى القابسى ص ١١٥

والشراب لصلاح حاله وصلاح جسده فيقول : « ولا تجعل يدك مغلولة الي عنقك ، ولا تبسطها كل البسط » (١) ويقول « وكلوا واشربوا ولا تسرفوا » (٢) هذه فضيلة الوسط بين الافراط والتفريط ، التي تتلاءم مع الحياة الواقعية .

ويرى جولد زيهر : « أنه اذا أردنا الانصاف ، ينبغي أن نؤمن أن في مذهب الاسلام قوة صالحة توجه الانسان نحو الخير ، وأن الحياة المتفقة مع التعاليم الاسلامية حياة أخلاقية لا غبار عليها ذلك أنها تتطلب الرحمة نحو جميع مخلوقات الله ، والوفاء بالعهود ، والمحبة والاخلاص وكيف غرائز الأنانية » (٣)

فالاسلام شريعة سمحة تدعو الانسان الى الخير والرحمة ، وتحثه على الاخلاص والمحبة ، وتقضى على الانانية التى هى آفة البشرية .

واذا كان أصحاب الكهف مثلا للشباب المستبصر الذى لم تطمس ظلمات الكفر في بيئته شعاع فطرته ، ولم تشب أوضاع الضلال صفاء استقامته ، فان المجتمع الاسلامى لا يترك شبابه لهذه المعاناة ، ولا يعرضهم لهول هذه المحن ، فهو مجتمع يقوم على الايمان بالله وتحقيق شريعته ، ومن هنا فهو حريص علي أن يحمى ناشئته من الفتنة ، ويقيهم سبل الضلال والغواية ، فلا يكل توجيههم الي قلوب مريضة ، ولا يترك زمامهم بأيد ملوثة ، بل يوفر لكل ناشئ فيه جوا صالحا تزكو فيه الفطرة وتتفتح أزهارها .

فأئمة الضلال حين يتولون التوجيه والتنشئة يصبغون الأجيال بصبغتهم ، ويوجهون بها الي طريقهم ، فيضل المجتمع ويشقى (١) وهذا مصداق لقوله صلى الله عليه وسلم : « كل مولود يولد علي الفطرة فأبواه يهوّدانه أو ينصّرانه أو يمجسانه » (٢) .

فاذا شب الفتيان على العقيدة السليمة ، ورسخت في نفوسهم العادات الحميدة استحقوا أن يوصفوا بما وصف به أهل الكهف من قبلهم » « انهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى » (٣) .

ان أهل الكهف قد راعهم ما تردى فيه قومهم من الشرك بالله فاعتزلوا بهتانهم ، ونجوا بأنفسهم حتي لا يصيبهم

---

١ ـ سورة الاسراء الاية ٢٩

٢ ـ سورة الاعراف الاية ٣١

٣ ـ د . احمد فؤاد الاهواني :التعليم فى راى القابسى ص ٩٦

١ ـ الدكتور مصطفى عبدالواحد: المجتمع الاسلامى ص ١٦٧ .

٢ ـ اخرجه الطبراني والبيهقى

٣ ـ سورة الكهف الاية ١٣

ذلك البلاء ، ولا تتسرب اليهم تلك الأدواء .

انهم لجأوا الي الكهف ينشدون من الله الرحمة وأن يثبت قلوبهم على الايمان به ، ويهديهم بنور الحقيقة ، ويفتح لهم أبواب المعرفة ، ليبنوا بسواعدهم الفتيّة ، وعزائمهم القوية مجتمعا جديدا خالصا من أدران الوثنيّة ، والشرك برب البريّة .

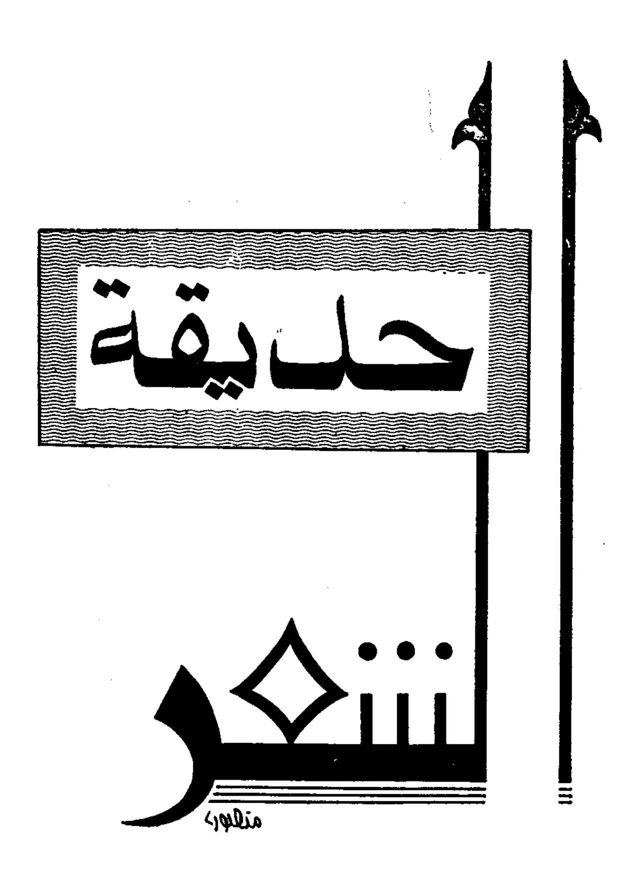
والدعاة من الشباب المسلم يصنعون باذن الله الخير للناس كلهم ، فينقذون العالم من الظلام الذى يعمهم ، ومن المفاسد التى سرت بينهم الي حد بعيد حتى أصبح الناس منها في كرب عظيم .

والشباب المؤمن يملك القوة ، ولمتحمل المسئولية ، مستجيبا لأمر ربه ، ناشرا رحمته وعدله .

وأملنا أن يحقق هذا الشباب رسالة السماء ، ويكسب العالم الأمن والصفاء . ويعيش الناس في سعادة وهناء في ظل شريعة الاسلام السمحاء .

وأخيرا فهذه كلمة كتبتها موجزة ، ولكن التربية الاسلامية تحتاج الي دراسة مستفيضة ، أرجو الله تعالى أن يوفقنى الي القيام بها ، فالعالم في حاجة ملحّة اليها ، وستكون ان شاء الله الهادية له من الضلال والظلام والمنقذة له من الغرق والآلام .




حديقة
الشعر

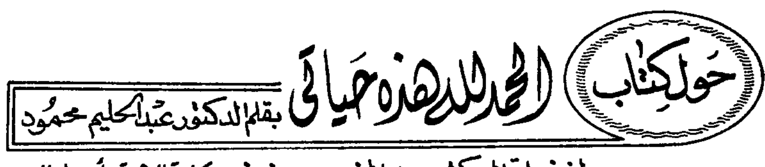
قال لى صاحبى ...

لفضيلة الشيخ معوض عوض إبراهيم
كلية الشريعة وأصول الدين

قال لى صاحبى ، وإني لرَادٍ لك ما قصةٌ من الأبناء
أترى القوم يحمدون مقالى ويجيبون في ارتياح دعائي
أم تراهم كما أراهم أسارى شهواتٍ ، لا يسمعون ندائي
قلت حدّثِ فما أظنك إلا نا صحا للعدا وللأصدقاء
قال : إن الكثير قد صرفتهم فتَنُ العيش عن حياة النقاء
واستباهم فكرٌ جديد دخيلٌ حَسْبُهُ أنه من الأعداء
وهو لو فكروا سرابٌ وزيف ليس يزكو في نور وحى السماء
وَيْحَ من يترك اللآلي . ويرضَى دونها بالحجارة الصَّمَّاء
واللآلى ماذا تكون من القرآ ن أو هَدْيِ سيْد الأنبياء ؟ !

قلت هذا مصابنا في أناس أمعنوا في الجهالة الجهلاء
لستُ أَلفِي الرجالَ منهم رجالا كالأوالى ، ولا النِّسا كالنساء
فادعهم جاهدا ، فأني سأدعو كي يعودوا من عالم الأهواء
علّنَا أن نكون لله جُنْداً يقتدى الدين في دواعى الفداء
ويقيم الحياة في كنف الإسلا مِ نهج السلام والعلياء

المكتبة الإسلامية



لفضيلة الدكتور عبد المنعم حسنين – كلية الدعوة وأصول الدين

نشر الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الجامع الأزهر أخيرا كتابا تحت عنوان « الحمد لله هذه حياتي سجل فيه جزءا من الأحداث التي مرت به منذ ولادته إلى حصوله على درجة الدكتوراه وذكر في نهاية الكتاب أن جزءا ثانيا من الكتاب سيصدر في المستقبل وقد تتلوه أجزاء أخرى على حسب الأحداث التي مرت بحياة فضيلته التي جاوزت ثلثي قرن من الزمان .

وأحب أن أقول إن قيام شخص بكتابة تاريخ حياته عمل لا يمكن أن يتم بصراحة وحيدة وتنزه عن المبالغة ، لأن الإنسان مهما تحرى الدقة والأمانة لا يمكن أن يتخلى عن عواطفه وبخاصة نحو نفسه ، فالإنسان يحب نفسه حبا مفرطا يجعله لا يرى عيوبه ويدفعه إلى مداراة هذه العيوب إذا استطاع إلى ذلك سبيلا ، والإفراط في ذكر المحاسن والمزايا ، فلا يعقل أن ينقد إنسان نفسه أو يذكر عيوبه ونواقصه ، ولذلك لم نر كاتبا تحدث عن نفسه وذكر عيبا خطيرا فيه أو منقصة تخل بالشرف أو تقوض دعائم الخلق القويم ، وكثيرا ما تنشر المذكرات الخاصة بشخص بعد وفاته فإذا هي تناقض ما كتبه في كتاب نشره على الناس في حياته ، وهذه هي طبيعة الإنسان في كل عصر وأوان ، لا يرى عيوب نفسه ، واذا رأى بعضها لا يذكر عيبه أمام الناس حتى ولو ذكره في مذكراته الخاصة التي يعلم أنها لن تنشر في أثناء حياته ، فإن نشر شيئا من مذكراته في أثناء حياته حذف منه ما سجله من عيوب نفسه .

وهذا ما نلاحظه في كتاب الدكتور عبد الحليم محمود « الحمد لله هذه حياتي » فهو في هذا الكتاب الذي يعد من قبيل الكتابة الذاتية لا يذكر شيئا يعيبه ، لا في خلقته ولا في خلقه وسلوكه ، ولا في حياته في داخل مصر وخارجها ، وحتى

الأحداث التى ذكرها ، وبدا فيها عيب لم ينتبه الشيخ إليه حين ذكره ، وظن أن في ذكره نوعا من الظرف أو التظرف وشيئا من الدعابة التى يمتع بها القارىء ويسرى بها عن الفارق في الاطلاع على تاريخ حياة الشيخ وما جرى فيه من أحداث كلها طيبة في رأيه بدرجة جعلته يحمد الله على حدوثها في الصورة التى حدثت بها .

وفي رأيي أن شيخ الجامع الأزهر كان ينبغى عليه أن يعف عن مثل هذه الكتابات الذاتية التى لاتحمل غير معنى الدعاية لنفسه ، والتباهى بماضيه وحاضره ، وأن يستعمل قلمه ومواهبه في الدعوة إلى دين الله ، وفي إرشاد الحيارى الضالين من أبناء المسلمين ، وفي محاربة الفساد والانحراف ، وفي إخراس صوت الشيوعيين ، وفي دعوة الناس إلى عبادة الله إله واحد لا شريك له ، وترك عبادة غير الله .

ولكن شيخ الجامع الأزهر آثر أن يدعو لنفسه ، ويعرف بشخصيته ويظهر نفسه في صورة لم يكن يتمنى لنفسه أفضل منها ، ويتحدث عن فرنسا حديثا يشبه ما كتبه طه حسين في كتابه الأيام وماكتبه كل مبهور بالغرب ، مشيد بما فيه من حضارة مادية زائفة ممسك عن الحديث عن الإلحاد والفساد الخلقى ومحاربة للإسلام والحضارة الإسلامية وتلفيق الأباطيل والإلقاء بها في ساحة الشريعة الإسلامية الغراء — برغم أن شيخ الجامع الأزهر كتب ما كتب ونشره على الناس في كتابه « الحمد لله هذه حياتي » وهو في موقع المسئولية مسئولية حمل أمانة الدعوة إلى دين الله ، ورد كيد أعدائه وبيان حقيقة الإسلام ، وحاجة البشرية إلى دين الحق .

وسأعرض نماذج مما جاء في كتاب شيخ الجامع الأزهر أرجو أن تكون كافية لبيان ما فيه وبالله التوفيق .

يقول الشيخ في كتابه المذكور ص ٣٩ « وكان يوما مشهودا ذلك اليوم الذى ختمت فيه القرآن الكريم . لقد كان والدى في فرح غامر وكان البيت كله في بهجة وسرور شاملين ، وكانت حفلة حافلة بأطايب اللحم والزبد ختمت بالذكر شكرا لله تعالى » .

ويقول في ص ١١٣ حين ذهب لأداء امتحان العالمية : « أما والدى فإنه قد أسرع إلى ضريح العارف بالله الإمام أحمد الدرديرى واعتكف بمنزله بمسجده — يقرأ من القرآن ما تيسر وبخاصة سورة يس ويتضرع إلى الله أن يوفقنى ويكتب لي النجاح ».

فهو في أكثر من مناسبة يبين تعلقه بالفرق الصوفية وبالأضرحة وهو يعلم علم اليقين أن الفرق الصوفية روجت كثيرا من البدع والخرافات ونشرت التواكل بين كثير من المسلمين وصرفتهم عن العمل الجاد الذى دعا إليه الدين ، كما يعلم الشيخ أن الرسول صلى الله عليه وسلم نهى عن اتخاذ القبور مساجد وبناء المساجد عليها .

والعجيب أن الشيخ يقرر بعد هذا أنه هو الذى صمم على السفر إلى فرنسا برغم معارضة والده في هذا الأمر ، فهو يقول في ص ١١٣ — ١١٤ من الكتاب : « كان والدى — عليه رحمة الله — يحب أن يراني مدرسا بالأزهر ، لقد كان ذلك يسعده كل السعادة ولكنه فوجىء برغبتى الملحة في السفر إلى فرنسا لإتمام دراستى في جامعاتها ، إنه لم يكن يتوقع ذلك ، ولا يدور شئ منه في خلده ، وأخذ يثنينى عن عزمى بشتى الوسائل ولكن محاولاته لم تفلح ، وأعلنت في عزم مصمم التمسك برأيي في السفر ، ولو لم يكن بيدى شئ من المال وأخيرا رضى والدى بعد لأى »

ثم يصف الشيخ نزوله إلى مارسيليا بفرنسا فيقول في ص ١١٧ — ١١٩ « ويبدو أن الوقت الذى نزلنا فيه كان وقت إنصراف العمال للغداء ، لقد رأيت السرعة في كل اتجاه ، ونشاط الحركة في كل ناحية ، ورأيت النساء والفتيات وكأنهن يقفزن في سير ن من السرعة ، كما كن يتحدثن في سرعة أيضا ، وهن فرحات مستبشرات سعيدات يضحكن في سرور وبشاشة ولست أدرى لماذا . واردت على ذهنى صور من الشعر العربي تصور الجمال في النساء العربيات . وثب إلى ذاكرتي قول ذلك الشاعر الذي يعبر عن المثل الأعلى في جمال المرأة بقوله :

« مشى القطاة ونطقها إيماء ؟»

إن المرأة — هنا — لاتمشى مشى القطاة وليس نطقها — كما يقول الشاعر — إيماء فأين إذن نؤوم الضحى »

ثم يقول الشيخ : « ورأيت في مارسيليا أمرا آخر – نحن أشد ما نكون حاجة إلى الانتباه له ، وإلى الالتزام به ، لأنه من شعب الإيمان – ذلك هو النظافة ، نظافة الشوارع ، ونظافة المحال ، ونظافة الناس جميعا ذكورا وإناثا ، صغارا وكبارا ، وتجتمع النظافة مع التنسيق والتناسق ، فيبدو الجو كله فتنة للناظرين » .

هذا ما كتبه شيخ الجامع الأزهر بالحرف الواحد ، وهو غنى عن التعليق ، فتمجيده للغرب واضح وكأن الأمر نظافة ظاهرية شكلية أما نظافة الباطن ، وطهارة العقيدة ، وعدم الإضرار بالشعوب الإسلامية ، والإساءة إلى الإسلام من جانب الغرب فكل هذه أمور لا تهم الشيخ ولا تلفت نظره في البداية ، وإنما الذى لفت نظره فور وصوله الجمال والنظافة الظاهرية .

ومن عجب أن الشيخ بعد حديثه بإعجاب عن هذه النظافة الظاهرية يقول : « ولكن الأمر الهام الذى أحب أن يتنبه إليه الجميع ويفكروا فيه هو أننا – وكنا مجموعة قضى بعضنا سنوات في فرنسا من قبل – بمجرد أن نزلنا إلى مارسيليا ، وأخذنا نطوف هنا وهناك ننظر إلى واجهات المحال التجارية ، وإذا ببعضنا يصل وبسرعة إلى إقامة علاقات ببعض الفتيات » .

ثم يقول في ص ١٢٠ « إن الطالب ينزلق إلى الشراب وإلى الصلة الآثمة في مجال الجنس وإلى التخلى عن كل الفروض الدينية والأخطر من ذلك سفر الفتيات إلى فرنسا » إلى أن يقول « ولا ريب أن الفتاة ستقاوم لأول مرة رعاية بدينها وخلقها وشرفها ولكن الجو الذى تعيش فيه سيدفعها حتما إلى الصلة الجنسية » ثم يقول : « إننى هنا لا أتحدث بالمنطق ، وإنما أتحدث عن واقع محسوس ، وما دام الأمر كذلك فإن كل نقاش فيه سيتهافت أمام الواقع » .

وكلام الشيخ ليس في حاجة إلى شرح وتفسير كما أنه ليس في حاجة إلى تعليق، فكيف يطلب علما في مثل هذه البيئة الفاجرة ، وبخاصة إذا كان العلم الذى يطلبه دينياً ؟ ! . .

وقد تحدث الشيخ عن دراسته في هذه البيئة الفاجرة الملحدة ، فقال إنه بعد حصوله على الليسانس فكر في رسالة الدكتوراه ، وأراد اختيار موضوع يتصل بفن الجمال غير أن الموضوع رفض ففكر في موضوع يتصل بمناهج البحث ولكنه رفض أيضا ، واخيرا اتصل بالأستاذ مسينون واتفق على أن يكتب عن التصوف الاسلامى من خلال دراسة الحارث بن أسد المحاسبي .

يقول الشيخ في ص ١٧١ من كتابه المذكور : « ونعمت في اللحظات الأولى من وصولى بهذا الذوق الراقي في كل شئ وهذه النظافة التى تجدها أينما تسير » إلى أن يقول : « وبهرتنى الحضارة لأوربية في مظهرها هذا الخارجى الذى يتمثل في النشاط والنظافة والذوق » .

ثم يقول في ص ١٧٢ « ودخلت الجامعة وبدأت الدراسة في علم الاجتماع ومادة الأخلاق وتاريخ الأديان وكانت هذه المواد يتزعم دراستها وتدريسها الأساتذة اليهود ، الذين تتلمذوا على الأساتذة اليهود ! . . وكانت هذه المواد كلها تسير في تيار محدد هو أنها علوم مجتمع » أى أنها لا تتقيد بوحى السماء ، ولا تتقيد بالدين على أنه وضع إلهى فهى تدرس في موضوعاتها على أنها مظاهر اجتماعية ومظاهر إنسانية » .

ثم يقول في ص ١٧٣ « ودراسة الدين والأخلاق إذن تتجه إلى النشأة والمظاهر وعوامل التطور ، وظواهر النطور وليس للسماء في الدراسة من نصيب ، إلا وصف الظاهرة نشأت في المجتمع ! . . »

ويقول في ص ١٧٤ : « ومن هنا كانت الظاهرة التى تجدها في طلبة الجامعات في أوربا من الاستخفاف بكثير من العقائد وبكثير من القيم وينتهى الطالب بالإلحاد »

ثم يقول في ص ١٧٦ : « إن اليهود يهدفون من وراء كل ذلك إلى السيطرة على العالم وألا يقف في وجههم قوة من إيمان أو قوة من خلق » .

ويقول الشيخ في ص ١٧٧ : « ولم يكن من السهل علىّ في أثناء هذه الدراسة الاستمساك الواثق بالقيم والمثل التى نشأت عليها ، ولولا عون من الله سبحانه وتوفيق

منه لصرت كواحد من هؤلاء الآلاف الذين يدرسون في الجامعات الأوربية ، ثم يخرجون منها ، وقد تحطمت في نفوسهم المثل الدينية الكريمة »

هذا ما كتبه الشيخ عن الدراسة في فرنسا بل في الجامعات الأوربية بعامة ، والواقع أن ما كتبه ليس جديدا فهو معروف منذ عاد طه حسين من فرنسا وبدأت ظاهرة التشكيك تظهر في كتاباته وفي كتابات كل من درس في أوربا قبل سفر الدكتور عبد الحليم محمود في تصميم وإصرار على الدراسة في فرنسا برغم معارضة والده .

صحيح أن الشيخ يؤكد أنه لم يتأثر بموجة الإلحاد ويزهو بثباته وتمسكه بمبادئ دينه الحنيف ، ولا يثبت لنفسه إلا كل فضيلة على طريقة من يكتبون كتبا عن أنفسهم بأسلوب الكتابة الذاتية كما يسمونها — ولكن الشيخ لم يحاول وهو في موقع المسئولية أن يمنع سفر الطلاب والفتيات للدراسة في أوربا مع علمه بأن الكثيرين منهم يذهبون لدراسة العلوم الإسلامية في هذه البلاد التى تطغى فيها موجة الإلحاد .

أنا لا أنكر أن الشيخ تحدث عن بعض جوانب الإسلام ضمن حديثه عن نفسه: واستعراضه لتاريخ حيته وانتقد وجود كليات الحقوق التى تخصص عشرين ساعة في الأسبوع للقوانين الأوربية ، أى للفكر الأوربي في التشريع أى أنها تعرض على الطالب أن يستعمر فكره لأوروبيون في مجال التشريع ، وأن يلغى ذاتيته الإسلامية في هذا المجال بينما تخصص هذه الكليات ساعتين فقط للتشريع الإسلامى وقال إن منهج الاتباع هو الطريق الذى ينبغى أن يسلكه المسلم في حياته ، وإذا سار المسلم فيه فردا أو سار فيه المسلمون مجتمعا فإن الله سبحانه وتعالى يكتب له الهدوء والطمأنينة والسعادة ، ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم » .

لا أنكر على الشيخ حديثه عن الإسلام ضمن حديثه عن نفسه في كتابه « الحمد لله هذه حياتي » ولكن الذى أنكره عليه في هذا الكتاب أنه لا يليق به وهو يشغل منصب شيخ الجامع الأزهر أن يتحدث عن نفسه بهذه الصورة وأن يباهى بكل ما يصدر عن الصوفية وما يدعو إليه التصوف ، وأن يشغل الناس بالحديث عن نفسه في وقت

يتبغى أن يصرف فيه جهده في الدعوة إلى دين الله والحكم بما أنزل الله والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ومحاربة البدع والخرافات ، ومقاومة موجة الإلحاد ، ورد كيد أعداء الإسلام الذين يحاربونه بكل وسيلة ممكنة ويستغلون وسائل الإعلام المختلفة في حربهم السافرة ضد الإسلام وحقائقه الناصعة .

ولعل شيخ الجامع الأزهر يقلع عن إصدار مثل هذه الكتب ، ويصدر كتابا توضح حقائق الإسلام وترشد الحيارى الضالين إلى الدين الحق الذى يتفق مع الفطرة فطرة الله التى فطر الناس عليها .

والله يقول الحق ويهدى السبيل وبالله التوفيق ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز .

وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين .

الدكتور / عبد المنعم محمد حسنين

الأستاذ بكلية الدعــوة




الفتاوى

حكم من يسخر من القرآن وأهله

لسماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز

الحمد لله . . والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه :

أما بعد : فقد اطلعت على ما نشرته مجلة الدعوة في عددها الصادر في يوم الاثنين الموافق ٢٧ – ١ – ١٣٩٧ هـ تحت عنوان « عكاظ تسخر من القرآن وأهله » ثم ذكرت تحت هذا العنوان ما نصه : وطلعت علينا عكاظ في عددها الصادر بتاريخ ٧ – ٤ – ١٣٩٦ هـ لتسخر من القرآن وأهله ولتقول ما نصه :

« والرجال يعتقدون أن المرأة كائن آخر . والمرأة في تعبيرهم ناقصة عقل ودين وهم يعتقدون أن الرجال قوامون على النساء انتهى ما نقلته مجلة الدعوة .

ولقد دهشت لهذا المقال الشنيع واستغربت جدا صدور ذلك في مهبط الوحي وتحت سمع وبصر دولة اسلامية تحكم الشريعة وتدعو إليها ، وعجبت كثيرا من جرأة القائمين على هذه الجريدة حتى نشروا هذا المقال الذى هو غاية في الكفر والضلال والاستهزاء بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم والطعن فيهما ، وليس هذا ببدع من القائمين على صحيفة عكاظ ، فقد عرفت بنشر المقالات الداعية الى الفساد والالحاد والضرر العظيم على المجتمع . كما عرفت بالحقد على علماء الاسلام والاستطالة في أعراضهم والكذب عليهم ، لانه ليس لدى القائمين عليها وازع ايماني ولم تردع بوازع سلطاني فلهذا اقدمت على ما أقدمت عليه من الكفر والضلال في هذا المقال الذى لا يقوله ولا ينشره من يؤمن بالله واليوم الاخر . ولا يقوله وينشره من يحترم كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم .

ولمزيد التثبيت والرغبة في الوقوف على أصل المقال ومعرفة من قاله ، طلبت الصحيفة المذكورة المنشور فيها هذا المقال ، فأحضرت لى . فألفيتها قد نشرت

ما نقلته عنها مجلة الدعوة حرفيا ونسبت ذلك الى من سمت نفسها (أمل عبد الله) ولم تعلق الصحيفة شيئا في انكار هذا المقال فعلم بذلك رضاها به وموافقتها عليه .

ومعلوم ان الذى جعل الرجال قوامين على النساء هو الله عز وجل في قوله تعالى في سورة النساء : « الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم » الاية . فالطعن في قوامة الرجال على النساء اعتراض على الله سبحانه وطعن في كتابه الكريم وفي شريعته الحكيمة وذلك كفر أكبر باجماع علماء الاسلام كما نص على ذلك غير واحد من أهل العلم منهم القاضى عياض في كتابه (الشفاء (كما أن الذى وصف النساء بنقصان العقل والدين هو النبى صلى الله عليه وسلم وذكر عليه‌الصلاة والسلام أن من نقصان عقلها ان شهادة المرأتين تعدل شهادة الرجل الواحد وذكر أن من نقص دينها أنها تمكث الليالى والايام لا تصلى و تفطر في رمضان بسبب الحيض ، وان كان هذا النقصان ليس عليها فيه اثم .

ولكنه نقصان ثابت معقول لا شك فيه ولا اعتراض على الرسول صلى الله عليه وسلم في ذلك لأنه أصدق الناس فيما يقول وأعلمهم بشرع الله وأحوال عباده . فالطاعن عليه في ذلك طاعن في نبوته ورسالته ومعترض على الله سبحانه في تشريعه وذلك كفر وضلال لا ينازع فيه أحد من أهل العلم والايمان ، والأدلة النقلية والعقلية والشواهد من الواقع ومن معرفة ما جبل الله عليه المرأة وميزها به عن الرجل ، كل ذلك يؤيد ما أخبر الله به سبحانه من قوامة الرجال على النساء وفضلهم عليهن ، وما أخبر به النبى صلى الله عليه وسلم من نقصان عقل المرأة ودينها بالنسبة الى الرجل . ولكن لا يلزم من ذلك أن يكون كل فرد من أفراد الرجال أفضل ولا أعقل من كل فرد من أفراد النساء ، وكم لله من امرأة أفضل وأعلم وأعقل من بعض الرجال ، وانما المراد تفضيل الجنس على الجنس وبيان أن هذا أكمل من هذا والأدلة القطعية شاهدة بذلك كما سبق . وقد اتضح من كلام صاحبة المقال — أمل عبد الله — أنها أرادت من طعنها على قوامة الرجال على النساء ومن اعتراضها على نقصهن في العقل والدين ان ذلك يسبب أنقسام المجتمع وعدم ترابطه وتعاونه وذلك يؤيد ما ذكرنا آنفا من كون المقصود بالمقال المذكور هو الطعن في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم واتهامها بأنهما سبب التخلف وانقسام المجتمع وعدم تعاونه . ولاشك أن هذا من أوضح الكذب وأبطل الباطل . وليس في اعتقاد ما دل عليه

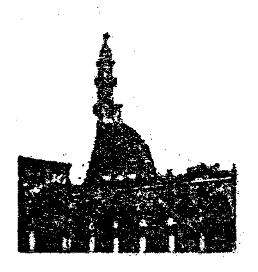
كتاب الله عز وجل وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم في قوامة الرجال على النساء ونقص عقول النساء ودينهن ما يوجب الضرر على المجتمع الاسلامي وانقسامه وعدم ترابطه وتعاونه ، بل ذلك من تزيين الشيطان وايحائه الى أوليائه من الجهال والمشركين ومن سار في ركابهم ، كما أنه لا يلزم من ذلك أهدار المرأة من حساب المجتمع ولا اعفاؤها من المشاركة فيما يصلح المجتمع من النصيحة لله ولعباده والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والدعوة الى الحق وغير ذلك من الأمور الواجبة على الجميع بل هى مأمورة بذلك ومفروض عليها القيام بما تستطيع في هذا السبيل كما قال الله عز وجل « والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر » الآية . قال سبحانه : « ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما » والآيات في هذا المعنى كثيرة ، وقد قبل النبى صلى الله عليه وسلم مشورة أم سلمة يوم الحديبية وحصل بذلك نفع كبير . وقصة خديجة رضى الله عنها في بدء الوحى وما حصل بها من الخير الكثير والتفريج عن النبى صلى الله عليه وسلم معروفة لدى أهل العلم والوقائع من هذا النوع في التاريخ الاسلامى كثيرة .

وأنه لعجب عظيم ان يجترىء أصحاب هذه الصحيفة على نشر هذا المقال مع انتسابهم للاسلام وقبضهم المعونات السخية من دولة الاسلام لتشجيع صحيفتهم واستمرار صدورها . ولكن لا عجب في الحقيقة فقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى اذا لم تستح فاصنع ماشئت » وفي الأمثال السائرة المتداولة : من أمن العقاب أساء الأدب . وقد روى عن عمر وعثمان رضى الله عنهما أنهما قالا « ان الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن » وأن هذه الصحيفة قد تجاوزت الحدود واجترأت على محاربة الدين والطعن فيه بهذا المقال الشنيع جرأة لا يجوز السكوت عنها ، ولا يحل لوزارة الاعلام ولا

للحكومة الاغضاء عنها بل يجب قطعا معاقبتها معاقبة ظاهرة بأيقافها عن الصدور ومحاكمة صاحب المقال والمسئول عن تحرير الصحيفة وتأديبهما تأديبا رادعا واستتابتهما عما حصل منهما لان هذا المقال يعتبر من نواقض الاسلام ويوجب كفر وردة من قاله أو اعتقده أو رضى به لقول الله سبحانه « قل أبا الله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم » الآية . فان تابا والا وجب قتلهما لكفرهما وردتهما . ولا يخفى على ذوى العلم والايمان ان هذا الأجراء من أهم الواجبات لما فيه من الحماية لكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وشريعة الله الكاملة ولما في ذلك أيضا من ردع كل من تسول له نفسه أن يفعل ما فعلته صحيفة عكاظ ويجترىء على ما اجترأت عليه .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه .

الرئيس العام لادارات البحوث العلمية
والافتاء والدعوة والارشاد
عبد العزيز بن عبد الله بن باز



أخبار الجامعة

مجلس الجامعة

« من أخبـــار الجامعة »

الدورة الرابعة للمجلس الأعلى للجامعة :

عقد المجلس الأعلى للجامعة دورته الرابعة برياسة صاحب السمو الملكى الامير فهد بن عبد العزيز ولى العهد ونائب رئيس مجلس الوزراء ، والرئيس الأعلى للجامعة — حفظه الله — في المدة من ١٦ الى ١٨ من رجب ١٣٩٧ هـ بمقر الجامعة بالمدينة المنورة :

وافتتح سموه هذه الدورة بكلمة قال فيها :

بسم الله الرحمن الرحيم ، والصلاة والسلام على اشرف المرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين . .

من دواعى سرورى في هذا اليوم أن أفتتح أنا وزملائي أعضاء المجلس الدورة الرابعة للمجلس الأعلى للجامعة ويسرني في هذه المناسبة أن أنقل تحيات جلالة الملك خالد لأعضاء المجلس وتمنياته الطيبة لهم بالتوفيق والنجاح في هذا العمل المثمر .

ومما يشرفنى أن أساهم في شد أزر هذه الجامعة من جميع النواحى سواء ادارية أو مالية أو اجتماعية — واني لأرجو من صميم قلبى أن تستمر هذه الجامعة في حالة تطور مستمر ، وأن تكون قدوة ان شاء الله لجميع الاقطار الاسلامية وأن تمتد الى جميع النواحى في مشارق الأرض ومغاربها في كافة البلاد الاسلامية ، وأن المملكة العربية السعودية ملكا وحكومة وشعبا سوف تبذل ما تستطيع من جهد لدعم هذه الجامعة التى بنيت على أسس سليمة . . وختاما أرجو لكم التوفيق ، وارجو أن نبتدئ عملنا في هذا اليوم بالخير والبركة ان شاء الله ، واشكرا لكم .

ومن أهم قرارات المجلس الأعلى في هذه الدورة ما يلى : —

اقتراح افتتاح فرعين للجامعة :

أيد المجلس الأعلى اقتراح الجامعة افتتاح فرع لها في كل من « اندونيسيا » و « نيجيريا » على أن تقوم الجامعة باجراء الدراسات التمهيدية لذلك ، وعرض النتيجة في الدورة التالية —

تعيين أعضاء بهيئة التدريس بالجامعة :—

وافق المجلس الاعلى على تعيين كل من : —

— فضيلة الشيخ محمد حماد الانصارى استاذا مشاركا

— وفضيلة الشيخ محمد المختار الشنقيطى استاذا مساعدا

بهيئة التدريس بالجامعة .

— وفضيلة الشيخ عمر محمد فلاته استاذاً مساعداً

★ ● ★

اللائحة التنفيذية ، ولائحة المتعاقدين :

أقر المجلس اللائحة التنفيذية للجامعة ، وكادر المتعاقدين من أعضاء هيئة التدريس والمدرسين المساعدين (المحاضرين) والمعيدين بالجامعة .

★ ● ★

وفود الدعوة في الخارج :

اوفدت الجامعة في العطلة الصيفية هذا العام ٩٦ / ١٣٩٧ ﻫ وفودا للدعوة الاسلامية الى كل من : اندونيسيا ، نيجيريا ، غانا ، تونس ، وموريتانيا ، وفرنسا ، المانيا الغربية ، سويسرا ، ماليزيا .

★ ● ★

تعيين عمداء لبعض الكليات :

تم تعيين كل مـن :

— فضيلة الدكتور محمد بن حمود الوائلى عميدا لكلية الشريعة .

— الشيخ عبد العزيز محمد القويفلى عميدا لكلية القرآن الكريم والدراسات الاسلامية .

— الشيخ محمد امان على جامى عميدا لكلية الحديث الشريف والدراسات الاسلامية .

محاضرات الجامعة في موسمها الثقافي هذا العام :

القيت في هذا الموسم ١٥ محاضرة من اساتذة الجامعة ، ويجرى طبع هذه المحاضرات في كتاب مستقل لتوزيعه تعميما للفائدة .

معسكر الجامعة في « بلجرشي » :

أقامت الجامعة في العطلة الصيفية هذا العام معسكرا لطلاب الجامعة الذين لم يسافروا الى بلادهم واشترك فيه عدد منهم من اقطار مختلفة واستمر مدة شهر في مدينة بلجرشي في المنطقة الجنوبية من المملكة ، ومن أهم أهدافه :

شغل أوقات فراغ الطلاب بوجوه النشاط العلمية والعملية التي تنمي معارفهم ، وتكشف عن مواهبهم ، وتهذب سلوكهم ، وتعمق التدين العملي في حياتهم .

تقوية عناصر التعارف وأواصر التآخي والتآلف ، وتعزيز سبل التعاون فيما بينهم ، وتوثيق صلتهم باساتذتهم .

تدريبهم على الدعوة الى سبيل ربهم ، واكسابهم المهارات في هذا المجال .

تعريف غير السعوديين ببعض مناطق المملكة التي يتوقون الى معرفتها .

وقد امضى الطلبة أوقاتهم في هذا المعسكر في تنفيذ البرامج المعدة لهم من قبل ادارة المعسكر باشراف بعض الاساتذة من الجامعة ، مع الاستجمام والاستمتاع بجو المنطقة .

★ ● ★

حفـــل التخرج :

اقامت الجامعة بعد عصر يوم السبت ١٦ من رجب ١٣٩٧ ه بقاعة المحاضرات بها الحفل السنوى لتكريم المتخرجين والمتفوقين في العام الدراسى ٩٦ / ١٣٩٧ ه برعاية صاحب السمو الملكى الامير فهد بن عبد العزيز ولى العهد ونائب رئيس مجلس الوزراء ، والرئيس الاعلى للجامعة .

وقد تفضل سموه الكريم بحضور هذا الحفل ، والقاء كلمة فيه ، نشرت افتتاحية لهذا العدد من المجلة كما تفضل بتوزيع الشهادات على الخريجين .

والقى في هذا الحفل كل من فضيلة نائب رئيس الجامعة وفضيلة رئيس قسم الدراسات العليا ، واحد الخريجين كلمة بهذه المناسبة . وفيما يلى كلمة نائب رئيس الجامعة عبد المحسن بن حمد العباد .

بسم الله الرحمن الرحيم

« نص الكلمة »

الحمد لله رب العالمين وصلوات الله وسلامه وبركاته على المبعوث رحمة للعالمين نبينا محمد وعلى آله واصحابه ومن تبعهم باحسان الى يوم الدين ، أما بعد :

فانها لفرصة طيبة ومناسبة عظيمة أن تحتفل أسرة الجامعة معبرة عن سرورها واغتباطها بتخرج الدفعة الثالثة عشرة من خريجى هذه الجامعة المباركة وقد زاد في السرور وضاعف البهجة أن يتم هذا الحفل برعاية صاحب السمو الملكى الأمير فهد بن عبد العزيز ولى العهد ونائب رئيس مجلس الوزراء والرئيس الأعلى للجامعة .

صاحب السمو الملكى الرئيس الأعلى للجامعة : يسرني أصالة عن نفسى ونيابة عن أسرة الجامعة أن أتقدم بالشكر لسموكم الكريم على العناية التامة والتشجيع المستمر الذى تلقاه هذه الجامعة من سموكم الكريم فبالرغم من كثرة أعمالكم قدمتم هذا اليوم الى المدينة لرئاسة المجلس الأعلى للجامعة في دورته الرابعة وفي العام الماضى قدمتم اليها لرئاسة المجلس في دورته الأولى وفي ذلك تعبيرا عملى عن حرص سموكم على هذه الجامعة وتشجيع لهذه الجامعة يزيد في نشاطها ويشد من أزرها لتواصل مسيرتها الخيرة في سبيل تحقيق الأهداف السامية التى انشئت من أجلها .

ان الجامعة يسرها كثيرا أن تحتفل هذا اليوم بتخرج الدفعة الثالثة عشرة من كلية الشريعة وتخرج الدفعة الثامنة من كلية الدعوة وأصول الدين وفي العام القادم بمشيئة الله تحتفل بتخريج الدفعة الأولى من كلية القرآن الكريم والدراسات الاسلامية وفي العام الذى يليه يتخرج الدفعة الأولى من كلية اللغة العربية والآداب وفي العام التالى الذى يليه بتخرج الدفعة الأولى من كلية الحديث الشريف والدراسات الاسلامية ولقد بلغ عدد الخريجين في الدور الأول هذا العام مائة وثلاثة وثمانين جامعيا منهم مائة وثلاثة وخمسون من خارج المملكة وينتمون الى خمسة وثلاثين قطرا من أقطار العالم ثمانية عشر قطرا من آسيا وسبعة عشر قطرا من افريقيا وباضافة خريجى هذه الدفعة الى المتخرجين في الأعوام الماضية وعددهم ألف ومائتان وسبعة وسبعون جامعيا يكون عدد الحاصلين على الشهادة العالية (الليسانس) من كليتى الشريعة والدعوة وأصول الدين في الجامعة حتى الآن الفا واربعمائة وستين جامعيا ينتمون الى اثنين وستين قطرا من أقطار العالم .

صاحب السمو الملكي الرئيس الأعلى للجامعة :

ان حكومة المملكة وفقها الله تقدم للمسلمين في أنحاء العالم المساعدات المادية والمعنوية وإن أفضل شئ قدمته وتقدمه للعالم تعليم أبنائه ليقوموا بالدعوة الى الخير والتحذير من الشر فهؤلاء الخريجون هم في الحقيقة أنفس هدية تقدمها حكومة المملكة للعالم وأى هدية أنفس وأغلى من دعاة الى الجنة وهداة الى الصراط المستقيم (ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال انني من المسلمين) .

واني لأرجو أن يكتب الله لجلالة الملك خالد حفظه الله ولسموكم الكريم ولكل من ساهم في تحقيق أهداف هذه الجامعة مثل اجورهم واجور من استفاد خيرا بسببهم فان من دل على خير فله مثل أجر فاعله ، ومن دعا الى هدى كان له من الأجر مثل اجور من تبعه لا ينقص ذلك من اجورهم شيئا .

صاحب السمو الملكي الرئيس الأعلى للجامعة :

لعالمية هذه الجامعة وشمول نفعها وسمو أهدافها تلقى دائما من حكومة المملكة وفقها الله كل تأييد ودعم مادى ومعنوى وتحظى بالعناية والرعاية ويتمثل الدعم المادى باعتماد المبالغ الكبيرة في ميزانيتها سنويا أما التأييد المعنوى فلا حدود له وأبرز أمثلته أن جلالة الملك فيصل رحمه الله هو الرئيس الأعلى لهذه الجامعة ثم بعد تولى جلالة الملك خالد حفظه الله تفضل باسناد رئاستها لسموكم الكريم فانتقلت رئاستها العليا من يد قوية أمينة الى يد قوية أمينة وما قدوم سموكم الى المدينة هذا اليوم لرئاسة المجلس الأعلى للجامعة في دورته الرابعة وقدوم سموكم في العام الماضى لرئاسة الدورة الأولى الا نموذج مما تلقاه الجامعة من سموكم الكريم من رعاية وعناية — ومن آثار اهتمام حكومة المملكة أدام الله توفيقها — بهذه الجامعة وعنايتها بها وحرصها على تعميم نفعها ما حصل لها من توسع في مجال الدراسات العالية وفي مجال الدراسات العليا فحصل لها نمو أفقى يتمثل بافتتاح ثلاث كليات خلال ثلاث سنوات فقد افتتحت كلية القرآن الكريم والدراسات الاسلامية في عام ٩٤ / ١٣٩٥ هـ وافتتحت كلية اللغة العربية والآداب في عام ٩٥ / ١٣٩٦ هـ وافتتحت كلية الحديث

الشريف والدراسات الاسلامية في عام ٩٦ / ١٣٩٧ هـ وبحمد الله ان الجامعة الاسلامية سبقت الى افتتاح كلية القرآن الكريم والدراسات الاسلامية وكلية الحديث الشريف والدراسات الاسلامية – وهما أول كليتين من نوعهما في العالم ، وحصل للجامعة نمو رأسي بافتتاح قسم الدراسات العليا لمنح درجة الماجستير ثم الدكتوراه وقد افتتح هذا القسم في أول العام الدراسي ٩٥ / ١٣٩٦ هـ وخلال أشهر قليلة بمشيئة الله يبدأ في هذه القاعة بمناقشة الرسائل المقدمة لينل درجة الماجستير .

أيها الأخوة الخريجون ، يسرني أن أهنئكم باتمام دراستكم العالية في هذه الجامعة وبهذا التكريم الذى ظفرتم به وهو رعاية سمو الرئيس الأعلى للجامعة حفل تخرجكم وتفضله بتسليم شهاداتكم لكم وأحب أن ألفت انظاركم الى أن نيل هذه الشهادة لا يعنى انتهاءكم من الدراسة وانما يعنى وصولكم الى بداية طريق العلم ودخولكم ميدان العمل ودراستكم في هذه الجامعة انما هى وسيلة الى غاية نبيلة هى الدعوة الى الخير والتحذير من الشر وأسأل الله تعالى أن يزيدكم علما وهدى وأن يوفقكم لما فيه رضاه ونفع عباده .

وفي الختام اشكر الله على نعمه التى لا تعد ولا تحصى ثم اشكر لحكومة المملكة وعلى رأسها جلالة الملك خالد بن عبد العزيز الرئيس الفخرى لهذه الجامعة وسمو ولى عهده الأمير فهد بن عبد العزيز الرئيس الأعلى للجامعة على رعايتهما وعنايتهما بهذه الجامعة العالمية ولا يفوتنى أن أشكر سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز الذى بدأت مسيرة هذه السفينة على يديه فقادها خلال خمسة عشر عاما الى بر النجاة وشاطئ السلامة وكان له الفضل بعد الله في ثباتها واستقرارها على طريق الحق والهدى

كما اشكر العاملين في هذه الجامعة من مسئولين وهيئة تدريس على الجهود الطيبة التى بذلوها في صالح هذه الجامعة وأسأل الله تعالى أن يثيبهم خيرا وان يبارك في جهود الجميع انه سميع مجيب .

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين .

نتائج الإمتحانات

كلـــية الشريعـــة

اسم الخريج	الجنسية	التقدير
محمد معصوم صادق المراغى	قطرى	ممتاز
صالح سعيد باقلاقل	حضرمي	ممتاز
على محمد احمد عبدالله الزبيرى	يمني	ممتاز
مسعود عالم بن مولوى محمد	باكستاني	ممتاز
عبدالقادر احمد عبدالقادر	مصرى	ممتاز
محمد عبد الحميد بن فيض محمد	باكستاني	ممتاز
عبدالقادر منصور منصور	سورى	ممتاز
ادريس عبدالقادر الدراوى	مغربي	ممتاز
اسماعيل ابوبكر عبدالفتاح ال مصلح	قطرى	ممتاز
فضل الرحمن دين محمد	هندى	ممتاز
احمد بن ميرين سياد	ايراني	ممتاز
عبدالرحمن محمد عبدالفتاح	مصرى	ممتاز
سلطان سند عبدالمطلب العكايلة	اردني	ممتاز
عبدالفتاح حسن عمار	لبناني	ممتاز
محمد عبدالسلام بن تحايكت	مغربي	ممتاز
فيصل محمد حسن المحمد	اردني	ممتاز
محمد بن يعقوب طالب	سعودى	ممتاز
محمد الحسن جعفر عمر	سوداني	ممتاز
حسن محمد مقبولي الاهدل	يمني	ممتاز
فاروق سعد معوض الحربي	اردني	ممتاز
طلال بن مصطفى احمد عرقسوس	سعودى	ممتاز
محمد مطر عثمان الزهراني	سعودى	ممتاز
لطفى عليان عثمان شبير	اردني	ممتاز
عبدالله بن عبدالمحسن عبدالعزيز ابابطين	سعودى	ممتاز
محمد ايوب بن محمد يوسف بن على بن سليمان .	سعودى	ممتاز

اسـم الخريج	الجنسية	التقدير
جبر حماد سليمان ابوغليون	اردني	ممتاز
محمد اسحاق خان	باكستاني	ممتاز
فيحان شالي عتيق المطيرى	سعودى	ممتاز
عبدالله بن محمد الامين الشنقيطي	سعودى	ممتاز
اسماعي على	تايلندى	ممتاز
قاسم عبدالحليم صالح يوسف	اردني	جيد جدا
محمود صالح شريتح جابر	اردني	جيد جدا
محمد على على الاحمد العمرى	اردني	جيد جدا
نصر ابراهيم فضل البنا	اردني	جيد جدا
سعيد احمد سعيد جعوان	سعودى	جيد جدا
سعيد سالم سعيد الصفراني الجهني	سعودى	جيد جدا
فاز بن فزاع عطية المحمادى	سعودى	جيد جدا
محمد المختار بن محمد الامين الشنقيطي	سعودى	جيد جدا
راشد سعيد بوسف شهران	اردني	جيد جدا
محمد محمود احمد سيدابات	موريتاني	جيد جدا
عبدالرزاق على خليل الفحل	سعودى	جيد جدا
عيسى زكي عيسى محمد شقرة	اردني	جيد جدا
النمارى عقي	مغربي	جيد جدا
نائف نافع ضيف الله العمرى	سعودى	جيد جدا
عبدالعزيز عبدالله رحماني	هندى	جيد جدا
سليمان بن على بن محمد السعود	سعودى	جيد جدا
وليد احمد محمد سليمان	اردني	جيد جدا
سليمان سعيد محمد	سوداني	جيد جدا
احمد محمد حمود عبيد	لبناني	جيد جدا
ابراهيم حسن حسين السكجى	اردني	جيد جدا
مبروك معوض حمدان الجهني	سعودى	جيد جدا
محمد على بن عبدالفتاح القارى	سورى	جيد جدا
سليم ساكت سليمان المعاني	اردني	جيد جدا
شهير على شاه مولانا قدرت شاه	باكستاني	جيد جدا
احمد فقى محمد رسول	عراقى	جيد جدا
بشير حسان حامد	سوداني	جيد جدا
عبدالله ديرية ابتدون	صومالي	جيد جدا
فضل الله الامين فضل الله	سوداني	جيد جدا

اســم الخريج	الجنسية	التقدير
عبدالمنان بن عثمان جولحة	سورى	جيد جدا
فضل المولي بخيت ابراهيم	سوداني	جيد جدا
احمد بن حسن هادى طيب المسروحى	يمني	جيد جدا
عبدالرحمن عبدالعزيز بن صالح الصالح	سعودى	جيد جدا
محمد احمد كلنزى	يوغندى	جيد جدا
اسماعيل دكورى	مالي	جيد جدا
محمد اسحاق بير محمد جاكرى	ايراني	جيد جدا
محمد ابوالبشر رفيع الدين	برماوى	جيد جدا
يونس حسين عيد جاموس	اردني	جيد جدا
عادل نعمان الحاج سليم الجنيدى	اردني	جيد جدا
شفيق احمد مفتي رشيد احمد	باكستاني	جيد
على بن حسن على العبدلي	سعودى	جيد
عبدالغفور الهي بخش	باكستاني	جيد
عباس صالح كانة	ليبيرى	جيد
عبدالرحمن بن عبدالرحمن شميلة الاهدل	يمني	جيد
السىسى محمد بن محمد بن احــــمد	مغربي	جيد
مبارك حسان حمد الحبيشي الجهني	سعودى	جيد
محمد بن صالح بن عبيد المنامي	سعودى	جيد
عاصم عبدالله ابراهيم خليل الحيلي	اردني	جيد
محمد شريف طاهر مصطفى	عراقى	جيد
محمد البشير النيفر	تونسى	جيد
صالح حامد عثمان	ارتيرى	جيد
سومنترى زكريا شافعى	اندونيسي	جيد
عبدالعزيز بن محمد اسماعيل المصباحى	يمني	جيد
ناصف ناصر احمدحسن عبدالله	اردني	جيد
سليمان كونفى	فولتاوى	جيد
عبدالغني العياشى حجاج	مغربي	جيد
محمد يوسف بن عبدالسلام	افغاني	جيد
هيثم علوان مصطفى	عراقى	جيد
نزار محمد عرعور	سورى	جيد
عبدالحميد محمد عبدالفتاح نصر	اردني	جيد
الزاوى الحسن	مغربي	جيد
عبدالستار عبود ريس السامرائى	عراقى	جيد
منصور بن ناصر بن ناهض الدعجاني	سعودى	جيد

اسم الخريج	الجنسية	التقدير
عبدالرحمن بن علي بن راجح الفهادى	سعودى	جيد
عثمان عوض حبيش	يمني	جيد
رضوان اديمو يوسف	نيجيرى	جيد
مصطفى حسن السيد محمود الحسن	باكستاني	جيد
محمد صالح بن عبدالرحمن العلاف	سورى	جيد
محمد بن محمد سدين بن محمود	موريتاني	جيد
محمد رئيسى رمباوا	اندونيسي	جيد
عمر حسين عبدالعزيز خريس	فلسطيني	جيد
مصطفى عبدالجليل عبدالرحمن جارى	سعودى	جيد
عبدالله محمد احمد المعصار	يمني	جيد
وقار على بن محمد	مغربي	جيد
محمد عمر محمد	عراقى	جيد
محمد حسن حمد	سوداني	جيد
رفيق احمد مفتي رشيد احمد	باكستاني	جيد
محمد عثمان الانجوى بن محمد خليل	باكستاني	جيد
حسين رجب ككوزا	أوغندي	جيد
احمد اسماعيل محمد بسيط	اردني	جيد
حسن معلم على عبده	صومالي	جيد
عبدالسلام محمد السفياني	مغربي	جيد
على ماطر مهدى مدخلي	سعودى	جيد
جبير بن دين	ماليزى	جيد
على صالح حسن	يمني	جيد
ابراهيم بن عبدالعزيز بن سالم الدعجان	سعودى	جيد
عبدالله فياض العلي عبدالرحمن	اردني	جيد
عرفه احمد محمد	ارتيرى	مقبول
عثمان شراوى ادريس	اندونيسي	مقبول
حسن محمد نور حسن تركستاني	سعودى	مقبول
حاريوس رسلي	اندونيسي	مقبول
ابراهيم بن عبدالرحمن	سنغافورى	مقبول
حسين عبدالله الفيصل	سعودى	مقبول
فاروق محمد حسين جاسم	عراقى	مقبول
حسان مجاهد الشامي	يمني	مقبول
عمرو حماد كيوانوكا	اوغندي	مقبول
داود محمد ادريس	سوداني	مقبول

كلية الدعوة واصول الدين

اسم الخريج	الجنسية	التقدير
عبدالغفور عبدالحق حسين بر	ايراني	ممتاز
فاروق حسين محمد امين	مصرى	ممتاز
عبدالاحد امبكي	سنغالي	ممتاز
خادم حسين الهي بخش	باكستاني	ممتاز
خليل الرحمن سجاد	هندى	ممتاز
عبدالحميد مظاهرى ندوى	بورماوى	ممتاز
سهيل حسين	باكستاني	ممتاز
عبدالوهاب خليل الرحمن	هندى	ممتاز
عبدالحكيم عبدالسلام	هندى	ممتاز
يوسف محى الدين على ابو هلالة	اردني	ممتاز
محي الدين حسن السيد متولي	مصرى	ممتاز
محمد يوسف عبد	صومالي	ممتاز
زياد محمد منصور	سورى	ممتاز
مسعدى سلطاني	اندونيسي	ممتاز
محمد شريف فماوكومبو	كيني	ممتاز
على الشيخ احمد ابوبكر	صومالي	جيد جدا
عبدالحفيظ فلورنشو احمد	نيجيرى	جيد جدا
حسن محسن بن على جابر	يمني	جيد جدا
محمد زين الهادى الحاج على كرار	سوداني	جيد جدا
سلامة كامل سلامة داود	اردني	جيد جدا
محمد ادريس السلفى حافظ عبدالقادر	باكستاني	جيد جدا
جاويد اعظم عبدالعظيم	هندى	جيد جدا
نعمان هزاع عبده	يمني	جيد جدا
اختر جمال محمد لقمان	هندى	جيد جدا
ابطحى كينوبي ابراهيم	يوغندى	جيد جدا
عبدالعزيز قبلان معوض الحجيلي	سعودى	جيد جدا
تراورى ساليف	عاجي	جيد جدا
عبدالهادى باسلطانة	اندونيسي	جيد جدا
محمود احمد عبدالله ثروت	سعودى	جيد جدا
على عبده يحي شرف	يمني	جيد جدا

اسم الخريج	الجنسية	التقدير
محمد اسلم صديقى فضل كريم صديقى	باكستاني	جيد جدا
محمد وهيب ادم سهم الدين	غاني	جيد جدا
مهدى عبدالله ككوزا	يوغندى	جيد جدا
احمد سانو	فلتاوى	جيد جدا
سليمان منصارى سعيد	سيراليوني	جيد جدا
محمد شمس الهادى نور	اندونيسي	جيد
عبدالملك عبدالغور سابازى	ايراني	جيد
خالد على ابراهيم صندقجى	سعودى	جيد
مايوسوه بن ميتالونج	تايلندى	جيد
عبدالله بن ماما ابراهيم	تايلندى	جيد
ايكيب ماكيب صالح ادريس	اندونيسى	جيد
على محمد محمد اكرم على	باكستاني	جيد
غلام مصطفى حسن خوش محمد	باكستاني	جيد
محمد بسام عبدالله الشريف	اردنى	جيد
جمال الدين محمد الخطيب	مصرى	جيد
محمد بن احمد السندى	باكستاني	جيد
محمد عبدالغني سالم	يمني	جيد
مدثر محلي	نيجيرى	جيد
محمد انور ركن الدين	كشميرى	جيد
مركاركتي المعروف باسم كنهي موين ابن بابتي	هندى	جيد
محمد احمد المبارك محمد	سوداني	مقبول
فرحان عبدالدائم سيف القاضي	يمني	مقبول
محمد بدرالدين حاج طالب	ماليزى	مقبول
عبيدالله حاج ابوعبدالله محمود	تايلندى	مقبول
ماودرى زين الدين ناسوتيون	اندونيسي	مقبول
منيع بن محمد بن منيع العسيرى	سعودى	مقبول

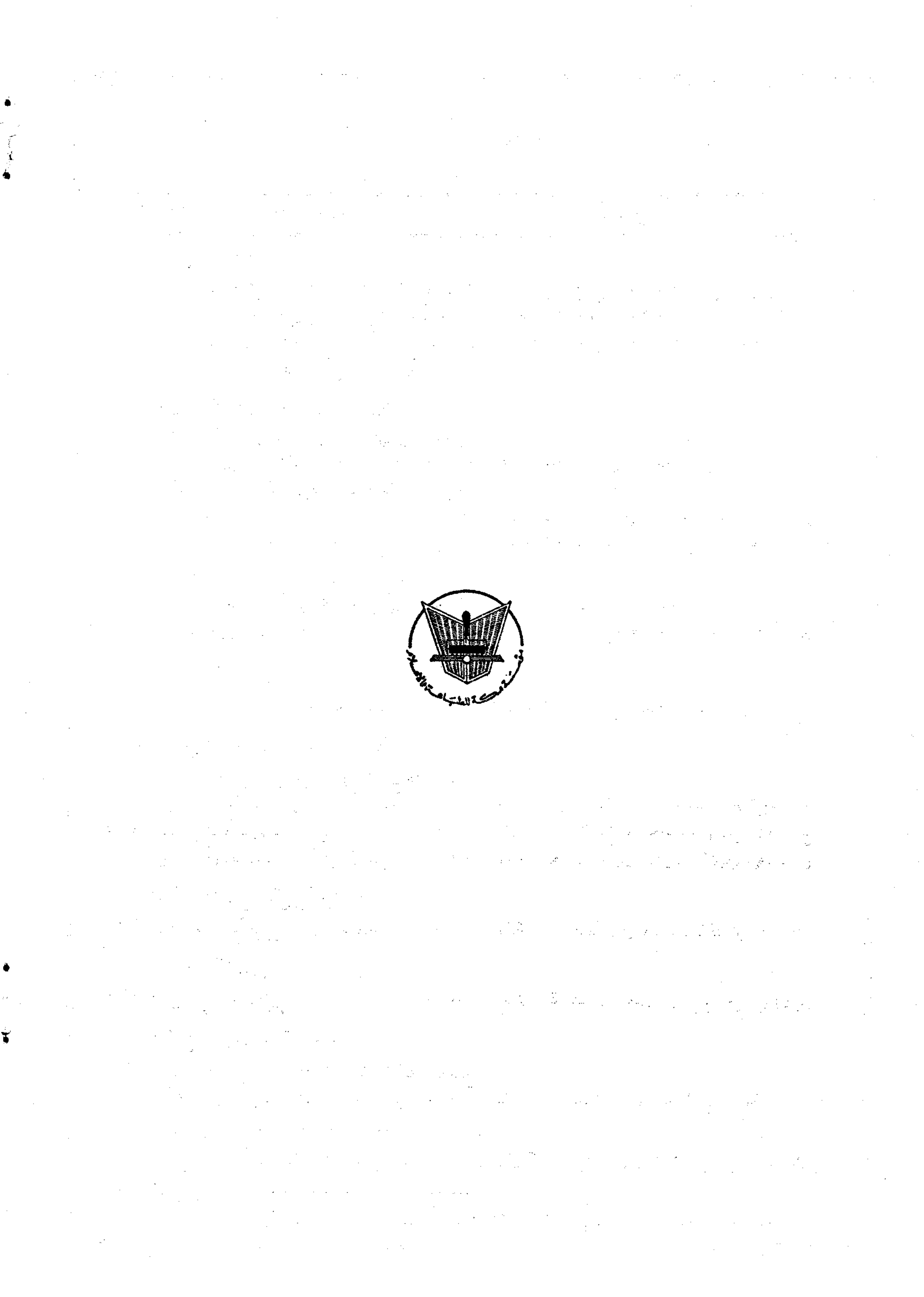
بيان باقطار خريجى كليــة الشريعة وكلية الدعوة واصول الدين فى الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة فى الـــدور الاول عام ٩٦/١٣٩٧هـ وعــدد الخريجين من كل قطر

القطـر	كلية الشريعة	كلية الدعوة	المجموع
المملكة العربية السعودية	٢٦	٤	٣٠
الاردن	٢١	٣	٢٤
اريتريا	٢	٠	٢
أفغانستان	١	٠	١
أندونيسيا	٤	٥	٩
ايران	٢	٢	٤
باكستان	٩	٧	١٦
بورما	١	١	٢
تايلند	١	٣	٤
تونس	١	٠	١
ساحل العاج	٠	١	١
سوريا	٥	١	٦
السودان	٧	٢	٩
السنغال	٠	١	١
سنغافورة	١	٠	١
سيراليون	٠	١	١
الصومال	٢	٢	٤

القطـر	كلية الشريعة	كلية الدعوة	المجموع
العراق	٦	٠	٦
غانا	٠	١	١
فولتا العليا	١	١	٢
فلسطين	١	٠	١
قطر	٢	٠	٢
كشمير	٠	١	١
كينيا	–	١	١
لبنان	٢	٠	٢
ليبريـا	١	٠	١
مالى	١	٠	١
ماليزيا	١	١	٢
مصـر	٢	٣	٥
المغرب	٨	٠	٨
موريتانيا	٢	٠	٢
نيجيريا	١	٢	٣
الهنـد	٢	٦	٨
اليمن الجنوبية	١	١	٢
اليمن الشمالية	٩	٥	١٤
يوغندا	٣	٢	٥
	١٢٦	٥٧	١٨٣

فهرست

الصفحة	الموضــــوع	الكاتب
	افتتاحية العدد	
٣	كلمة صاحب السمو الملكي الامير فهد عبدالعزيز ولي العهد ونائب رئيس رئيس مجلس الوزراء والرئيس الاعلى للجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة فى للحفل السنوى لخريجي الجامعة عام ١٣٩٧/٩٦ هـ والمقام مساء يوم السبت ١٣٩٧/٧/١٦ هـ بمقر الجامعة	
	دراسات فى القرآن وعلومه	
٧	دراسات حول اعجاز القرآن الكريم في القرن الثالث	لفضيلة الدكتور صادق ابراهيم خطاب ...
١٥	القاضى عياض ومفـــهومه للاعجاز القرآنى	لفضيلة الدكتور أحمد جمال العمرى ...
٢٩	اخى	لفضيلة الشيخ عبدالرؤوف اللبدى ... ...
	دراسات فى السيرة والتاريخ	
٣٥	ثمار من غرس النبوة ـ رجال ومواقف	لفضيلة الشيخ محمد الشال ... ...
٤٣	فتح العرب للاندلس	لفضيلة الشيخ محمد ابوزيد طنطاوى ...
	تعقيب لاتثريب	
٧١	ابراء للذمة وتذكيرا بالحق	لفضيلة الشيخ محمد المجذوب ... ...
	الفكر وللفلسفات المعاصرة	
٧٩	الاستشراق وجهوده واهــدافه فى محاربة الاسلام والتشويش على دعوته	للدكتور عبدالمنعم محمد حسنين ... ...
١٠٧	الشيوعية فى الميزان	لفضيلة الشيخ محمد على عبدالسميع ...
١١٩	ولم يزل أعداء الامة يمكرون	لفضيلة الدكتور محيى الدين رمضان ...
	دراسات فى التربية والتعليم	
١٢٥	لمحة عن التربية الاسلامية	لفضيلة الدكتور محمد نغمش ... ...
	حديقة الشعر	
١٣٧	قال لي صاحبي	لفضيلة الشيخ معوض عوض ابراهيم ...
	المكتبة الاسلامية	
١٤١	حول كتاب « الحمد لله هذه حياتي بقلم الدكتور عبدالحليم محمود	لفضيلة الدكتور عبدالمنعم حسنين ... ...
	الفتاوى	
١٥١	حكم من يسخر من القرآن وآهله	لسماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز
	أخبار الجامعة	
١٥٧	مجلس الجامعة ... ...١٦٣ نتائج الامتحانات	


مؤسسة مكة للطباعة والإعلام